مرحبا بكم عند
الدكتورة نزيهة عظمي
خريجة كلية الطب و الصيدلة بالرباط
طبيبة سابقا بمستشفى أمراض النساء والولادة
السويسي بالرباط
رئيسة قسم أمراض النساء والتوليد سابقا
بمستشفى محمد الخامس بالخميسة
اختصاصية في
أمراض وجراحة النساء والتوليد
أمراض وجراحة الثدي وعقم الزوجين
الفحص بالصدى
25، شارع الحسن الثاني رقم 1 الخميسة
الهاتف الفاكس 039 98 47 77. المحمول 061 26 94 83

تيفراز +

معالم الريف

أسبوعية جامعة مستقلة تصدر مؤقتا مرة في الشهر E-mail : tifrazrif@gmail.com

مدير النشر : حسن الجرموني / رئيس التحرير : سعيد الغزواني / إ.ق. : 0013 - 2003 / م.ص. : 2003-1 / ردمك : 114-6362 / العدد 34 / شتنبر 2008 / الثمن : 5 دراهم

طقوس رمضان بالريف: بين الثابت والمتحول

رمضان: شهر الصيام والازدحام والخصام

تاريخ

حول الأسرى الهولنديين في المغرب خلال القرن 18

■ ذ. محمد أمزيان

فكر

نحو وطنية مغربية جديدة

■ ذ. عبد الوافي المسناوي

تعليم

التعليم بين هاجس الإصلاح وكبوة الإخفاق

■ ذ. محمد بالقاسم

رياضة

تحاور رئيس المكتب المسير لفريق شباب الريف الحسيمي

ملتمس غير رقابي

صحتنا في خطر

لا شك أن كل متتبع للشأن المحلي يدرك جيدا الوضعية المزرية لصحتنا بالإقليم، ومن خلال الملف الذي كانت قد أعدته، مشكورة، جريدة تيفراز في عددها (29)، أماطت اللثام عن الكثير من الجوانب المرتبطة بالوضعية الصحية على مستوى إقليمنا، خاصة فيما يتعلق بالخصاص المهول، الذي بات يعاني منه هذا القطاع محليا، على مستوى الموارد البشرية والذي له أهمية بالغة فيما يرتبط بالتأثير على الأداء المهني، الشيء الذي يجعل من الكلام عن جودة الخدمات الصحية أمرا تافها وغير ذي معنى. بيد أنه رغم ذلك، كنا قد أبدينا نوعا من التفهم للمبررات التي أدلى بها المدير العام الجهوي للمستشفى الإقليمي محمد الخامس للجريدة، وقلنا مع أنفسنا لا بأس من التريث قليلا ما دامت الأشغال داخل المستشفى جارية، وحاولنا إقناع أنفسنا بمزيد من الانتظار بالرغم من أن الفوضى التي كان يعرفها المستشفى المحلي كانت تستوجب المزيد من الاحتجاج ما دام الأمر متعلقا بصحة الإنسان التي لا تقبل الانتظار. لقد صرح السيد المدير للجريدة بأن الإصلاحات ستكتمل خلال أواخر شهر يوليوز الماضي، فما الذي حصل؟ الإصلاحات الآن توقفت بشكل نهائي نتيجة عدم كفاية الميزانية المرصودة للمشروع، وهي عبارة عن هبة من المملكة السعودية لفائدة المستشفى الإقليمي. ومعلوم أن مجموعة من المراقبين كانوا يحتملون ذلك ويفضلون إعادة بناء المستشفى من جديد لأن التكاليف ستكون أقل، غير أن الجهة المتبنية للمشروع، في شخص وكالة تنمية أقاليم الشمال، فضلت مشروع الإصلاح على البناء اعتقادا منها أن التكلفة ستكون أقل. وهاهم المرضى القاصدون للمستشفى والذين أعطيت لهم مواعيد إجراء العمليات خلال شهر شتنبر يقابلون بتمديد هذه المواعيد إلى أجل شهر نوفمبر، وهاهم بعض الأطباء يعيشون حالة إجازة دائمة بسبب عدم استكمال الإصلاحات، إذ كيف يمكننا تصور 15 طبيبا جراحا (وهو عدد الجراحين بمستشفى محمد الخامس) يشتغلون في غرفتين للعمليات فحسب. أضف إلى ذلك، أن مستشفى الأنكولوجيا الذي تم التصريح بأنه سيفتح أبوابه خلال شهر غشت لا يزال في غرفة الانتظار، الشيء الذي يعني استمرار المعاناة لأبناء المنطقة المرضى بهذا الداء الخطير وهم كثر على أية حال.

أعتقد أنه حان الوقت لوقف هذا النزيف الذي يعاني منه قطاعنا الصحي، وعلى الجميع أن يتحمل مسؤولته، فالمنازعات التي يعيشها المواطنون بشكل يومي داخل المستشفى، واللامسؤولية التي تيدو على العديد من العاملين داخل هذا القطاع الحساس ينبغي أن تواجه بالصرامة المطلوبة، لأننا قد نستطيع العبث في كل شيء إلا فيما يخص صحة المواطن التي لا تقبل أي نوع من العبث.

● أنور السعدي

شرفة للتأمل:

المهرجان المتوسطي الرابع للحسيمة:

تظاهرة مرتجلة وأهدافها لا تتجاوز بعض المصالح الضيقة

فجأة تجندت السلطات المحلية بالحسيمة لتنظيم المهرجان المتوسطي الرابع، وإذا كانت فكرة المهرجان إيجابية في حد ذاتها، وقد سبق للجمعيات الثقافية والمدنية بالمدينة منذ سنوات أن طالبت بضرورة تنظيم مهرجان ثقافي خاص بالمدينة لما قد تحققه تظاهرة من هذا النوع من حظوظ فعلية لإخراج المدينة من هامشيتها الثقافية، وتمكينها في المقابل من بنيات تحتية لاحتضان الممارسة الثقافية والفنية والجمعوية على مدار السنوات، فإن المثير للإنتباه هو أن الجمعية المنظمة للمهرجان _ بتنسيق مع الولاية ومجلس المدينة _ قد استفردت بالمشروع وهيأت له شروط التحقق على مقاس فهمها، فأرادته أن يكون مهرجانا للأعيان، وواجهة لتمرير ثقافة استعراضية فولكلورية بمعناها الفرجوي الضيق، فقد تم إقصاء كل الفعاليات والجمعيات الثقافية النشيطة بالمدينة وتم التعبير رسميا_ باعتبارها جمعيات خارج التغطية _ عن ضرورة تنظيم مهرجان تحت الطلب، يختبئ وراء شعار "التنمية أولا وأخيرا"، ولا سبيل لذلك حسب هذا الفهم إلا إلصاق تسمية "المهرجان المتوسطي" به ليكون فعلا مهرجانا يحفظ ذاكرة المنطقة (هكذا)!!

وإذا كان هذا الفهم الاختزالي للخصوصية الثقافية لا يخرج طبعا عن الفهم السائد للمسألة الثقافية، والذي تكرس أيام أم الوزارات، تارة بترديد شعار الخصوصية، وتارة بترديد شعار التنمية المحلية _ المعطوبة أصلا _، فإن الواقع يؤكد بأن الجهات الرسيمة (ومن ضمنها القطاع الوصي عن الثقافة) ما زالت تنظر للثقافة من بوابة الطقوس الاحتفالية التي سيجت المغاربة عقودا خلت، وربت أجيالا على الفرجة الاستهلاكية وطقوس " قولوا العام زين". والحال أن التنمية الشاملة لا يمكن أن تتحقق في غياب أبسط شروط الإنتاج الثقافي الحقيقي، ومن ضمنه ضمان البنيات الثقافية الكفيلة بإخراج المدينة من عزلتها، ويكفي أن نسجل بأن مدينة الحسيمة لا تتوفر على قاعة ثقافية أو سينمائية بسيطة لاحتضان أبسط شروط عقد الندوات أو اللقاءات الثقافية أو احتضان تظاهرات فنية ومسرحية...، لقد تم صرف عشرات الملايين على هذا المهرجان الباهت التي اتسمت جميع فقراته وأنشطته بالعشوائية والارتجالية، فلو تلك الأموال الطائلة تجندت لها السلطات الاقليمية والمحلية والمنتخبة وسخرتها في بناء مرفق ثقافي أو سينمائي عمومي لقدموا بذلك خدمة كبيرة للساكنة ولنشطاء الحقل الثقافي والفني.

إن تجميع أبناء وبنات الإقليم حول وصلات غنائية من الراي وموسيقى الفلامينكو وتمكينهم من مشاهد فولكلورية ليس هو المشكل، بل إن المشكل أساسا هو إفراغ مثل هذه التظاهرات من محتواها الثقافي المطلوب، وتكريس ثقافة مخزنية طالما عبرنا عن رفضها لمنطلقاتها، وهي _ والحالة هاته _ لا تنسجم حتى مع الشعارات التي تطلقها الدولة نفسها؛ فتحديث العقليات وتأهيل البلاد على كافة المستويات وتمكين الشباب من فضاءات حقيقية للتعبير الثقافي هي المداخل الحقيقية لتأهيل الناشئة وتجنيبها ثقافة البخور وأهوال القبور والميوعة...

إن المدينة محرومة من كل الفضاءات لتأطير الطفولة والشباب تأطيرا ثقافيا وتربويا يكفل لهم الحق في المنافسة الفنية والإبداعية على غرار بعض مناطق المملكة، ويضمن لهم إمكانيات التعبير الثقافي الحر، فإذا كان مصير المدينة قد ارتهن منذ عقود في أيادي حفنة من الإقطاع والدواليين في لعبة محكمة لتوزيع الأدوار بين الأعيان وبعض النخب، فإنه حان الوقت للتفكير الحقيقي في وضع أسس للتنمية المحلية على قواعد اقتصادية واجتماعية وثقافية تراعي التوزيع العادل لثروات المنطقة، وتمكين الإقليم من الاستفادة من مشاريع للتنمية الجهوية، وتمتين أسس الشراكة والتعاون مع كافة فعاليات المجتمع المدني المحلي لا الاستمرار في المنطق القديم بطرق قد تبدو للبعض جديدة.

إن انهيار النسيج الاقتصادي للمدينة وتخلف جل المؤسسات العمومية الخدماتية وضعف البنيات التحتية وتدهور البنية الطرقية واتساع دائرة الفقر والعطالة وتنامي ظاهرة الأنشطة الاقتصادية غير المهيكلة...، كل هذا يتطلب برنامجا تنمويا حقيقيا لتأهيل المنطقة وإخراجها من هامشيتها، أما الحديث عن المهرجان فإنه لن يستقيم إلا بإدراجه ضمن مخطط تنموي يراهن بشكل أساسي على تأهيل البنيات الاستقبالية للمدينة وخلق هوامش ممكنة للاستثمار المحلي سيما وأن المدينة تعرف خلال الصيف توافد الآلاف من العمال المهاجرين...

كان بودي ألا أتكلم هذه اللغة، والتي قد يصفها البعض بالخشبية أو العدمية، ولكن واقع الحال يؤكد بأن المنطلقات التي تتأسس عليها تظاهرة من هذا النوع لا تعدو أن تكون تظاهرة مرتجلة وأهدافها لا تتجاوز بعض المصالح الضيقة للمنظمين المستفردين بها رغم التمويهات العديدة التي يريد بها أصحابها أن يثبتوا عكس ما نقول.

● محمد مرابط

قسيمة الاشتراك السنوي

الاشتراك العادي: داخل المغرب 100درهم .
أوروبا وباقي العالم: 40 أورو.
الاشتراك التشجيعي: مفتوح....
تتم عملية الدفع بواسطة: شيك بنكي - تحويل بنكي - حوالة بريدية - نقدا

الاسم: .....
العنوان: .....
الهاتف: .....

رقم الحساب البنكي: - 2111153601290017 وكالة محمد الخامس - الحسيمة
العنوان: 22شارع المرابطين - الحسيمة: الهاتف: - 039982250الفاكس: 039980584

مواقع بيع جريدة ومنشورات تيفراز

الرباط: كشك الروبيو بشارع محمد الخامس.
وجدة: كشك الحي الجامعي.
الناظور: مكتبة الطالب.
طنجة: كشك الصحافة قرب سينما طارق ببني مكادة.
فاس: - مكتبة آيت باعمران - الليدو
- كشك الرامي - شارع محمد الخامس
- كشك الحي الجامعي ظهر المهراز
تطوان: مكتبة الادريسي

تيفراز

رقم الإيداع القانوني:2003/0013
ملف الصحافة: 03-1
عنوان المراسلة:
شارع المرابطين رقم 22– الحسيمة
الهاتف:039982250
الفاكس:039980584
رقم الحساب البنكي:
2111153601290017
البنك الشعبي–وكالة محمد الخامس– الحسيمة
التصفيف: والاخراج: تيفراز
السحب: مطبعة شمس
التوزيع: سوشبريس

تعليق حركة النقل البحري والجوي من وإلى الحسيمة

يثير سخطا واستياء في صفوف أبناء جاليتنا المقيمة بالخارج

أصبح الكثير من المختصين في مجال النقل يعتبرون هذا القطاع عنصرا أساسيا في التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للدول، بل هناك من يرى أنه يلعب الدور الرئيس في تنظيم أنشطة المجتمعات وتكاملها، كما أنه يساهم في توزيع السكان مع استعمالات الأراضي عن طريق تحديد اختيار هؤلاء السكان للمناطق التي يسكنون ويعملون فيها، وبالتالي يساهم هذا القطاع في تطور المدن وتشكلها عن طريق ازدياد الحركة التجارية والعمرانية بالطريقة التي تجعل من قطاع النقل عاملا جوهريا- يقول هؤلاء المختصون- في نمو المدن و وصولها إلى الحجم الذي نراه اليوم، بل عاملا جوهريا في نمو النشاط الاقتصادي للبلدان.

إن سبب نزول هذه المقدمة " الأكاديمية" هو التوقف المفاجئ الذي عرفته حركة النقل البحري الذي كان يربط صيفا ما بين ميناء الحسيمة ومدينتي أميريا ومالقا الاسبانيتين، وكذا التعليق الذي تعرفه بين الفينة والأخرى الخطوط الجوية التي تربط مطار الشريف الادريسي ببعض العواصم الأوربية، والزيادة في أثمنة تذاكر النقل الجوي، وحذف بعض الامتيازات التي تعمل بها الشركات العالمية للطيران... في الوقت الذي أصبح فيه منطق المنافسة يفرض على الخطوط المغربية تخفيض الأثمنة وتحسين الخدمات وتنويعها.

فقد اعتبر العديد من المتتبعين أن تحقيق التنمية المنشودة بالمنطقة لن تمر إلا عبر فك العزلة القائمة عن طريق فتح خطوط النقل الجوي، البحري والبري، وهو الأمل الذي ما زال يراود سكان المنطقة وأفراد الجالية المغربية المقيمة بالخارج، والتي كانت دائما تطالب بفتح خطوط النقل البحري وتعزيز الخطوط الجوية ما بين الحسيمة والدول الأوربية، حتى يمكن تسهيل عملية العبور لنسبة كبيرة من المهاجرين المغاربة، وكذلك من أجل المساهمة في تنشيط الحركة السياحية والتجارية بين البلدين".وبالفعل، استبشر سكان الحسيمة ومعهم أفراد الجالية المغربية المنحدرة من الإقليم والمناطق المجاورة خيرا بتشغيل خط بحري يربط ميناء المدينة بمدينة أميريا الاسبانية، والسنة الماضية زادت فرحة هؤلاء المهاجرين بفتح خط جديد يربط أيضا نفس الميناء بمدينة مالقا الاسبانية، غير أن هذه الفرحة لم تدم طويلا حيث تم تعليق العمل بهذه الخطوط البحرية صيف هذه السنة، وبالتالي عودة كابوس الحصار والعزلة التي عرفتها المنطقة خلال السنوات الماضية إلى أذهان سكان المنطقة.

فقد أقبلت كل من شركة "كوماريت" و" فيري رضوان " اللتين تؤمنان الخطوط الرابطة بين مالكا-الحسيمة وألميريا-الحسيمة على تعليق العمل بهذه الخطوط خلال موسم العبور الحالي من دون الإعلان عن ذلك مسبقا، ولا الإفصاح عن الأسباب التي تقف وراء ذلك، كما أن الجهات الوصية لم تقم بتقديم أي معلومات في هذا الإطار من شأنه إفادة المهاجرين، الشيء الذي ترك أفراد الجالية المغربية المنحدرة من هذه المناطق تعيش على إيقاع الغموض الذي يكتنف عمليتي العبور والعودة بميناء الحسيمة.

وكانت الخطوط الملكية المغربية قد قامت منذ ما يقرب السنة في سابقة مماثلة بنفس العملية، حيث ألغت الخط الرابط بين مطار الشريف الادريسي بالحسيمة ومطار أمستردام الهولندية، وقبلها بقليل قامت بالزيادة في ثمن تذاكر السفر بنسبة 30%، وتطبيق السعر الموحد بغض النظر عن المواسم و الفصول، زيادة على إلغاء الامتياز الذي تعمل به مختلف شركات الطيران العالمية والذي يمنح للأطفال ما بين عامين و 12 عاما تخفيضا بنسبة 25 بالمائة و المسنين ب10 بالمائة.

وقد استقبل العديد من أفراد الجالية المغربية الذين ينحدرون من الحسيمة، تازة، تاونات وبعض المناطق التابعة لإقليم الناظور خبر تعليق العمل بهذه الخطوط البحرية بكثير من الحسرة، لكونهما كانا يشكلان صلة وصل بينهم وبين عائلاتهم في أرض الوطن، واعتبروا تقاعس الجهات المسؤولة عن توفير الشروط الضرورية لاستمرار عمل هذه الخطوط طيلة السنة، وبالخصوص في فصل الصيف الذي يعرف توافد الجالية على أرض الوطن، هو نوع من الجريمة التي سوف يضيفها التاريخ إلى سجل تهميش هذه المنطقة وإقصائها.

كما خلق قرار الخطوط الملكية المغربية موجة سخط عارمة في صفوف أفراد الجالية المغربية المقيمة بالخارج، وانخرطت آنذاك أزيد من 50 جمعية بكل من هولندا وبلجيكا في إطلاق حملة لجمع توقيعات الاستياء والشجب، و إرسالها إلى كل من سفارتي المغرب بالبلدين وإلى ديوان المظالم، داعية أفراد الجالية المغربية إلى مقاطعة منتوجات شركة الخطوط الملكية المغربية، ومطالبة من الملك محمد السادس التدخل لثني مسؤولي الشركة عن مثل هذه التدابير وفك ما أسموه بالعزلة عن مواطنيه بكل من هولندا وبلجيكا. وإذا كانت الأسباب الحقيقة والمباشرة التي تقف وراء تعليق العمل بالخطوط البحرية ملتبسة، فإن العديد من المهتمين يرون أن مسؤولية الدولة والجهات المسؤولية ثابتة وقائمة مهما كانت الأسباب، واستغرب هؤلاء المهتمون كيف أنه يسمع بين الفينة والأخرى تدخلا عالي المستوى أو تدخلا حكوميا من أجل هيكلة هذه الشركة أو تلك، سواء في هذا القطاع أو ذاك حتى وإن كان الأمر يتعلق بشركات خاصة ومشاكل داخلية، غير أنه لم نر شيئا من هذا القبيل من أجل تعزيز انفتاح هذه المنطقة على العالم الخارجي.وارتباطا بأسباب تعليق العمل بهذه الخطوط، فقد كانت مصادر من إحدى الشركات البحرية قد أشارت إلى أن " القرار اضطراري وراجع بالأساس إلى عدم قدرة الشركة على الاستمرار في تحمل تكاليف مالية تشكل عبئا كبيرا للشركة خلال بقية شهور السنة التي تشهد فيها حركة العبور انخفاضا، إن لم يكن انعداما كليا لهذه الحركة، حيث غياب حركة تجارية واقتصادية بين منطقة الحسيمة وإسبانيا أو مع بقية الدول الأوربية، ورغم اتخاذ هذا القرار، فهدف فك العزلة عن منطقة الشمال والحسيمة بالخصوص لازال قائما".

غير أن مصادر أخرى ترى أن تعليق العمل بهذه الخطوط ليس راجع أساسا إلى عدم قدرة هذه الشركات على ضمان التكاليف المالية التي يتطلبها تسيير البواخر التابعة لهذه الشركات بفعل ضعف حركة العبور، وإنما راجع أيضا لموقع ميناء الحسيمة ضمن ميناء الناظور وطنجة باعتبارهما قطبين كبيرين في الملاحة البحرية، وقادرين على استقطاب شركات عالمية كبرى في النقل الدولي تستطيع مجاراة أية منافسة محتملة في السوق، أو تقوم فقط بكراء البواخر في الفترات التي تعرف فيها عملية العبور والعودة الذروة في الحركة.

واعتبرت العديد من الفعاليات المدنية بالخارج أن "تعليق العمل بهذه الخطوط هو المؤشر الحقيقي على مستوى التنمية بهذه المناطق، ومدى اهتمام الجهات الرسمية بضمان اندماج هذه المناطق في مسلسل التنمية المنشودة، لأن قرارا من هذا القبيل يتناقض مع شعار الجهات الرسمية التي تتحدث عن توفير كل الظروف والشروط التي سوف تساعد المهاجرين على المساهمة في التنمية المحلية، قرار يتناقض كثيرا مع الأوهام التي يوزعها علينا في اللقاءات الرسمية مسؤولو الوزارة المكلفة بالجالية والوزير نفسه".

وأضافت هذه الفعاليات أن " تحقيق التنمية بهذه المناطق يبدأ بتوفير الظروف التي تضمن مساهمة أفراد الجالية المغربية المقيمة بالخارج، وتشجيعها على العودة والاستقرار بالمنطقة بهدف إنشاء مشاريع استثمارية حقيقة من شأنها امتصاص البطالة وفتح أفاق النمو الاقتصادي، فالتشجيع على العودة والانخراط في خلق مشاريع كبرى ليس مجرد شعارات لأيام دراسية ولقاءات رسمية، وإنما هو إجراءات على أرض الواقع تتطلب قرارات سياسية واقتصادية ليس من العيب أن تمنح فيها الدولة امتيازات مؤقتة لبعض القطاعات".

● الغلبزوري السكناوي

المطرح الجديد للأزبال "ظهر بوحمود" : بين الوعود الكاذبة والواقع المر

استبشر سكان مدينة الحسيمة بعدما تم إغلاق المطرح العشوائي للنفايات بسيدي عابد وتدشين المطرح الجديد الذي ظلت السلطات البلدية والإقليمية تردد على مسامع المواطنين وعودها الكاذبة بأنه سيكون مطرحا مراقبا يراعي ويحترم كل المعايير المتعلقة بالجودة والمحافظة على البيئة، وما سيكون له من انعكاسات إيجابية على المنطقة وأبنائها _ حسب تعبير السلطات المحلية -، إلا أن الواقع أثبت بما لا يدع مجالا للشك زيف كل تلك الشعارات والوعود، والتي تبين أنها كانت مجرد ذر الرماد في العيون من أجل نيل موافقة ورضى الساكنة المحلية.

فالمطرح الجديد للنفايات المتواجد _ حسب الوثائق الرسمية- بمنطقة "ظهر بوحمود"، لكن على أرض الواقع متواجدة بالمنطقة المسماة "أفراس" والتي تبعد عن المنطقة السالفة الذكر (ظهر بوحمود) بعدة كيلومترات تفصل بينها عدة جبال ووديان، لا يتوفر فيه أدنى شروط المحافظة على البيئة وصحة الساكنة، فبالإضافة إلى تدشينه قبل نهاية أشغال إنجازه، يتم تفريغ النفايات بطريقة عشوائية وتركها دون معالجة أو طمر، الشيء الذي يجعله مبعثا للروائح العطنة التي تزكم الأنوف وتبعث على الغثيان وانتشار مختلف أنواع الحشرات الضارة على مدار اليوم، والتي تعاني من ويلاتها ساكنة كل من دواوير: إزفزافن وأجدير أزغار وأيت هشام... وقد تصل مع مرور الزمن إلى دواوير ومناطق أخرى بعيدة، خاصة إذا علمنا أن هذه الغازات السامة المنبعثة منه يصل مداها إلى أزيد من 20 كيلومترا مع ما تسببه من أمراض جد خطيرة على صحة الإنسان كالسرطان والسل والربو...إلخ، بالإضافة إلى انعكاساتها السلبية على الكائنات النباتية والأشجار والمزروعات بمختلف أنواعها الشيء الذي يهددها بالاندثار، وكذلك تاثيرها الخطير على جودة الهواء والفرشات المائية الباطنية، فيما عجزت السلطات المعنية ومعها الشركة المفوض لها استغلال المطرح المذكور حتى عن توفير الأدوية والمبيدات التي تقضي على هذه الروائح والحشرات، مع العلم أن المطرح الجديد يتواجد وسط منطقة آهلة بالسكان.وإننا إذ نستغرب حقا هذا الصمت المطبق للجمعيات المهتمة بالشأن البيئي والفعاليات المحلية التي تدعي الدفاع عن مصالح المواطنين. فإذا كانت السلطات المعنية لا تقيم لهؤلاء المواطنين وزنا ولا تراعي مصالحهم حتى في الحالات الأكثر إنسانية، فلماذا وجدت أصلا؟ وهل تلك الشعارات الجوفاء والوعود الكاذبة التي قدمتها للمواطنين بلادة منهم أم استبلادا لعقول ومشاعر المواطنين؟ أم أن المصالح السياسيوية والانتخابوية بالنسبة لهم فوق مصلحة الوطن والمواطنين؟

فإذا لم تبادر السلطات الإقليمية المعنية لتدارك هذا الأمر في أقرب وقت ممكن، وتحقيق ولو جزء من تلك الوعود التي قدموها للمواطنين أثناء إنجاز هذا المطرح والمتمثلة في الحفاظ على صحتهم وجودة بيئتهم، فإن الأمور ستتطور إلى ما لا يحمد عقباه وليتحملوا عواقب أفعالهم.

● محمد إزفزافن

على كل حال

■ محمد بوطسغونت

التلاوة...

الدب المغرور بنفسه، أحمد والعفريت، العملاق...كلها عناوين تبقى راسخة في ذاكرة من درسوا كتاب "اقرأ" لأحمد بوكماخ رحمة الله عليه. فكتاب القراءة هذا الذي كان يسمى آنذاك بالتلاوة كان مصدر علم ومعرفة، وهو الذي فتح عيوننا على حب التعلم والدراسة. وفي زمن التلاوة كانت المدرسة وطاقمها الإداري والتربوي يحظيان بتقدير خاص من طرف المجتمع، وذلك لكون الكل كان يعتبر المدرسة وسيلة من وسائل الترقي الاجتماعي، ونتيجة لذلك كان للنجاح معنى وللاجتهاد والمثابرة هدفا ولاحترام الأستاذ واجبا. أما في عصرنا الحالي فبعد أن أصبحت التلاوة تحيلنا إلى أشياء لا صلة لها بالتعلم، إذ أصبحت تعني في القاموس الشعبي المؤخرة، تراجع التعليم وتأخر ولم يعد في عيون الكثيرين إلا رمزا للوقت الثالث، إلى درجة أن التلميذ عندما يتغيب عن الفصل الدراسي ويستفسره المدرس عن سبب غيابه، يجيب وبلا تردد أنه كان مشغولا وكأن المدرسة فضاء لمن لا شغل له. كما أن جيل الآباء الذي كان يردد مقولة"اذبح وأنا نسلخ" انقرض مباشرة بعد تخرج أول فوج من العاطلين ليظهر جيل جديد ينظر إلى المدرسة بازدراء وإلى الأستاذ على أنه ذلك الشخص الذي يتقاضى أجرة شهرية دون عناء..

فاستحضار تاريخ المدرسة المغربية، ليس الهدف منه النكوص إلى الوراء واستنساخ التجربة القديمة لإصلاح واقعنا التعليمي؛ وإنما الغاية منه هي التفكير بعقلانية وفق رؤية متجددة للخروج من المتاهات التي وضعت فيها المدرسة المغربية. فالتعليم خلال فترة الستينات والسبعينات ساهم في تكوين العديد من الأطر والكفاءات لكنه في المقابل كان وراء تخرج أفراد من الأجهزة القمعية ومسؤولين عن الماضي الأسود للمغرب ومجموعات بشرية امتهنت البطالة المقنعة. إن الأزمة في حقيقة الأمر، أزمة شاملة، تمس كل جوانب الحياة، إلا أن طبيعتنا الأنانية تجعلنا نتغاضى الطرف عن عيوبنا ونلقي باللوم على الآخرين. وجراء اللامسؤولية هذه التي أصبحت تلازم كل من يحمل الهوية المغربية، أدخل التعليم إلى غرفة الإنعاش. وعلى إثر ذلك سارعت الوزارة المعنية إلى إعلان الخطة الاستعجالية لإصلاح منظومة التربية والتكوين. كان الأجدر بالوزارة أن تنكب على مشروع أعظم وأشمل من كل المخططات السابقة ألا وهو إعادة الثقة إلى الأسرة التربوية التي فقدت نتيجة خيبات الأمل المتكررة. وذلك بكون الفاعلين المباشرين في الحقل التربوي هم الأساس في كل إصلاح منشود. لذا ندعو الوزارة إلى عدم التسرع واتخاذ تدابير ذات صبغة استعجالية لأن العجلة من الشيطان.

تعزية

تلقينا في المكتب المسير لجمعية ذاكرة الريف بالحسيمة نبأ وفاة الأخ لمعلم عبد الغاني الذي فارق الحياة بعد أن أجريت له عملية جراحية بالمستشفى، لتوافيه المنية يوم السبت 19 يوليوز 2008، وقد عرف المرحوم بسلوكه المتواضع وأخلاقه الطيبة وكان يتمتع بسمعة حسنة وتربطه بالجميع علاقات إنسانية يطبعها الوئام والتسامح خاصة وأنه اشتغل كبقال مدة طويلة من الزمن في محل قرب ثانوية البادسي، فتعازينا الحارة والخالصة إلى زوجته وأبنائه وبناته وكل عائلة لمعلم، ومتمنياتنا لهم بالصبر والسلوان، وللفقيد المغفرة والرضوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الكاتب العام لجمعية ذاكرة الريف
محمد لمرابطي

زوار الحسيمة يواجهون قلة الفنادق وغلاء الشقق

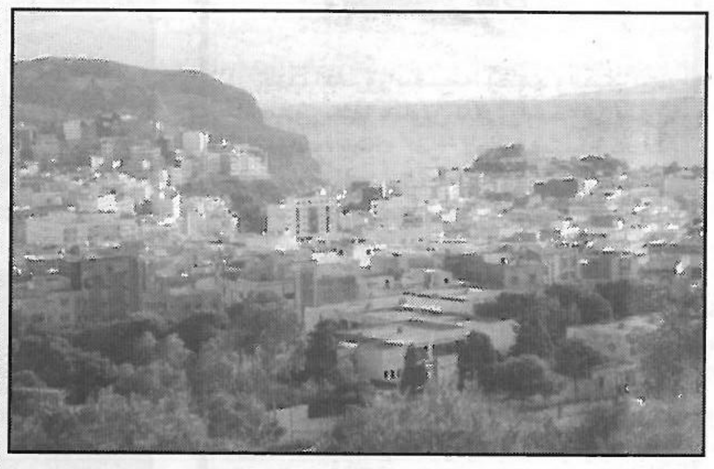

عبر عدد من زوار مدينة الحسيمة عن استيائهم العميق إزاء قلة الفنادق والمآوي العمومية بالمدينة التي تستقطب المئات من السياح المغاربة والأجانب، وقال أحدهم إن الحسيمة لا تتوفر إلا على ثلاثة أو أربعة فنادق مصنفة، ما يثير استغراب كل الوافدين عليها خلال فترة الصيف، وهذا ما يقلق معظم زوار المدينة الراغبين في قضاء عطلة مميزة، ويتسبب في معاناتهم جراء البحث المضني عن مقر لقضاء أيام العطلة فيه يكون مناسبا من حيث الجودة والأسعار، ما يدفعهم إلى استئجار مسكن بالضواحي يبيتون فيه، في حين يقضون النهار على الشاطئ أو في التجوال وسط المدينة.

قال عبد الحق. خ أحد الوافدين على المدينة:" أزور مدينة الحسيمة باستمرار، وألاحظ أنه مازال هناك خصاص على مستوى مأوى الإقامة، خصوصا خلال فترة الصيف، رغم أنها مدينة تتوفر على مؤهلات سياحية مهمة، ورغم وجود بعض الفنادق المصنفة، إلا أنها في متناول فئة معينة نظرا لغلاء الحجز بها". وأضاف أن العشرات من الزوار يلجأون إلى الضواحي هربا من الغلاء الذي يعرفه الاستئجار وسط المدينة، موضحا أن هذا يسبب للزوار مشكلة التنقل، نظرا للأزمة التي يعرفها مجال النقل بالمدينة، بل إنه يكاد ينعدم في بعض الأوقات. وأفاد أن كل هذه الأشياء كافية بأن تثير غضب الزائر، بل إنها يمكن أن تؤدي به إلى الشعور بالتعب والملل اللذين كان ينوي الابتعاد عنهما حين فكر في قضاء عطلته بمدينة الحسيمة.

ولا يخفي عبد الحق إعجابه بجمال المدينة، إلا أنه يرى أن ذلك لا يكفي، ويقول إن المدينة لا بد أن تحتوي على مرافق تلبي كل الطلبات التي تتجلى في توسيع بنياتها التحتية فاتحة الفرصة أمام الزائر لقضاء عطلته في جو يلائم رغبته ويجعله يفكر مرة أخرى في إعادة الزيارة، إلا أنه لا يكتري شقة وسط المدينة بل يختار مسكنا بالضواحي لأن سعر إيجاره يتناسب مع إمكانيته المادية.

أما زميله مصطفى. ن فيرى أن سكان مدينة الحسيمة يعرضون شققهم للإيجار لسد الفراغ الحاصل في البنيات التحتية الذي يقلق العديد من زوار المدينة، خصوصا الذين لم يسبق لهم زيارتها. وقال مصطفى إن هناك من يعرض بيته بأجر خيالي، ما يثير غضب زوار المدينة، وبالتالي يكون أحد أسباب عرقلة مسار التنمية.

ساكنة حي الأهالي بالحسيمة تصعد احتجاجاتها ضد تحويل مقر الاتحاد النسائي إلى قاعة للأفراح

خاضت ساكنة حي الأهالي بتأطير من "جمعية الأمل لساكنة حي الأهالي بالحسيمة" يوم 13 غشت 2008 وقفة احتجاجية لمدة ساعة ابتداء من الساعة السابعة مساء، أمام مقر الاتحاد النسائي المغربي الكائن بشارع سيدي عابد، وذلك ردا على تجاهل المسؤولين لشكاياتهم واحتجاجاتهم المتواصلة منذ سنة 2006، والقاضية بإيقاف استغلال المقر السالف الذكر كقاعة للأفراح، تقام بها حفلات الأعراس والخطوبة والسهرات...والتي أصبحت تؤرق بال السكان المجاورين وتقلق راحتهم بشكل مستمر ويومي، الأمر الذي حول معه حياتهم إلى جحيم لا يطاق حسب تعبير السكان المتظاهرين، والذين رفعوا شعارات مطالبين المسؤولين بالتدخل العاجل لوضع حد للوضعية المزرية التي يعيشونها، مدينين صمت المسؤولين، وكذا تجاهل كل الأطراف لمطالبهم.

وفي عريضة وجهت للسلطات المحلية (السيد الوالي، السيد عامل إقليم الحسيمة، ونسخة للسيد رئيس المجلس البلدي) حصلت الجريدة على نسخة منها مذيلة ب57 توقيعا، والتي يشتكي فيها المواطنون من كثرة الأعراس التي تقام بالنادي المذكور وكذا من ازدحام السيارات واستعمال منبهاتها بكيفية لا تحتمل وجمهرة الناس أمام مقر سكناهم، إضافة إلى استعمال الموسيقى ومكبرات الصوت بكيفية لا تطاق أثناء السهرات الليلية وفي ساعات جد متأخرة من الليل، وهذا بالتوالي عرس بعد آخر في منطقة آهلة بالسكان. وحسب نص العريضة فإن المواطنين المحتجين يرجون من المسؤولين التدخل لإعادة السكينة إلى مساكنهم لينعموا كغيرهم بحقهم في الراحة والهدوء والطمأنينة، علما أن هذه العريضة هي الثالثة من نوعها التي وجهت للسلطات المعنية.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الكثير من السكان المجاورين والقاطنين ببلاد المهجر يفضلون عدم العودة إلى الوطن بسبب الضجيج المتواصل المنبعث من القاعة جراء استعمال الأجهزة الصوتية عالية الصدى، وقد قرر البعض منهم قطع عطلتهم الصيفية ليغادروا المدينة في اتجاه بلاد الغربة بعد أن تحولت عطلتهم إلى شقاء ومعاناة، كما تعرف الناحية

المجاورة للمقر ازدحاما شديدا تسببه سيارات العائلات المدعوة لحضور تلك الحفلات والأعراس، هذا دون أن نغفل الأضرار النفسية المترتبة عن ذلك خصوصا لدى الأطفال الصغار الذين أصبحوا يعانون من اضطرابات نفسية وكذا الأرق الذي أصابهم من جراء عدم تمكنهم من النوم طيلة ساعات اليوم كما أفادنا بذلك أحد الآباء. وفي تصريح للجريدة أفادنا أعضاء الجمعية أنهم عاقدون العزم على مواصلة مسلسل الاحتجاجات حتى تحقيق مطالبهم المشروعة، مستغربين تجاهل وصمت المسؤولين عما يجري، دون أن يتوصلوا بأي رد.

أمام هذا الوضع والذي يعتبره السكان "قد طال كثيرا، ويمثل هذا التجاهل والصمت وصمة عار على جبين المسؤولين في بلد الحق والقانون واحترام حقوق الإنسان"، يبقى التساؤل العريض مطروحا: من المستفيد من كل هذا وضدا على مصلحة المواطنين؟

● فريد الحمدوي

حزب التقدم والاشتراكية بالحسيمة يحيي الذكرى الأربعينية لوفاة المناضل عبد الرحمان طحطاح

أحيى حزب التقدم والاشتراكية بالحسيمة الذكرى الأربعينية لرحيل المناضل التقدمي الأستاذ عبد الرحمان طحطاح فقيد الحركة الأمازيغية، وذلك يوم السبت 15 غشت 2008 بالمركب الثقافي والرياضي بالحسيمة، وقد قرئت في البداية سورة الفاتحة بشكل جماعي داخل القاعة ترحما على روح الفقيد، ثم أعطى المسير الكلمة للأمين العام لحزب التقدم والاشتراكية السيد إسماعيل العلوي الذي أشاد بمناقب الفقيد، وذكر بمهامه النضالية ومسؤولياته السياسية التي تحملها في الحزب وفي نقابة الاتحاد المغربي للشغل بالناضور، وبعده أحيلت الكلمة على الأستاذ مرزوق ورياش الذي أشار إلى دور الراحل في تأسيس جمعية الانطلاقة الثقافية بالناضور والمجهودات التي بذلها في الميدان الثقافي ثم كلمة الاتحاد المحلي عن نقابة الاتحاد المغربي للشغل بالناضور وكلمة فرع حزب التقدم بنفس المدينة، ثم قصيدة رثائية للشاعر حسين القمري قرئت نيابة عنه من طرف المسير، وعلى المستوى المحلي من الحسيمة فقد جادت قريحة الأستاذ محمد الصابري في حق الراحل بكلمات شعرية رقيقة انتظمت في شكل قصيدة كان لها وقع خاص في أنفس المستمعين، لتلقي بعده بنته نادية طحطاح كلمة جد مؤثرة اختلجت لها قلوب الحاضرين التي انغمست في أسف وحزن عميقين، كما قرئت كلمة أحد رفاقه من المهجر، وأخيرا كانت الكلمة التأبينية للكاتب الإقليمي لحزب التقدم والاشتراكية بالحسيمة وعضو الديوان السياسي محمد بودرا الذي ألقى بدوره كلمة قيمة وشاملة في حق الفقيد وذكر أيضا بالأعباء النضالية التي اضطلع بها والتعسفات التي تعرض لها في مساره النضالي، موجها مواساته الحارة لأسرته الصغيرة وعائلته الكبيرة وشاكرا الجميع على الحضور والمساهمة.

● محمد لمرابطي

استغلال سيارات المصالح العامة في الأغراض الشخصية

بالقرب من الحمام وعلى مشارف المقاهي والحانات وعلى أبواب المراكز التجارية والملاعب الرياضية أيام السبت والأحد والعطل الموسمية والوطنية والدينية، تجدها قابعة تنتظر أصحاب السعادة والسيادة للتشرف بالركوب، وهناك نوع آخر يجعلها رهن إشارة العائلة المصونة للتسوق أو زيارة الأهل والأقارب أو التنقل لقاعة رياضة الأبدان أو الأيروبيك، إنها بكل بساطة سيارة الشعب التي تختصم واجباتها الوقودية والميكانيكية من عرق جبين الفقراء، أما الأعيان وذوي النفوذ لهم دنياهم وناسهم؛ لقد أضحت ظاهرة تملك سيارة الجماعة من قبل بعض الرؤساء والمستشارين أو سيارة الخدمة أو المصلحة من قبل بعض رجال السلطة ظاهرة وجب التمعن فيها جيدا، حيث أنهم يستغلونها لأغراض خارجة عن نطاق العمل أو الواجب المحدد لهم، وأحيانا خارج أوقات العمل وخارج الجماعة التي يعمل بها، والطامة الكبرى هي أن البعض يتبضع بها من مدن أخرى " لا عين شافت ولا قلب وجع"، رغم أن المراسيم الوزارية والمذكرات العاملية بخصوص طريقة استغلال سيارات الجماعة وآلياتها محددة ومدققة؛ هذا لدرجة أن بعض هؤلاء المستغلين لمالية الجماعة يركنون سياراتهم للديكور ويستغلون سيارات الجماعة لقضاء مآربهم حتى المهنية التي تخصهم، لقد تحولت هذه السيارات بقدرة قادر لملك خاص، وكل ذلك على حساب ميزانية الجماعة، لسبب واحد هو أن مسؤولي هذه الجماعات ضعاف أو لتكميم أفواه هؤلاء المستشارين، ليبقى السؤال العريض والوحيد الذي يمكن لأي متتبع للشأن المحلي بهذا الإقليم أن يطرحه هو: ما دور تلك الدوريات والمذكرات الضابطة لهذه العملية في إطار ترشيد ميزانيات الجماعات، وأي سلطة للسيد الوالي من كل ما يجري خصوصا أن البعض منهم حول تلك السيارة إلى سيارة للتعليم لفائدة أبنائه وأقاربه ولآخر حولها لسيارة نقل الأثاث ومواد البناء وما خفي كان أعظم، نأمل يوما ما أن نسمع أن السيد والي الجهة قد أوقف سيارة جماعية ما بمكان ما في وقت ما وفي يوم ما، خصوصا أن هذه السيارات مرقمة بحرف "جيم" أحمر اللون.

● محمد مرابط

بـــلاغ من جمعية ذاكرة الريف

حماية أطلال المزمة مهمة تقع على عاتق الجميع

عقد المكتب المسير لجمعية ذاكرة الريف اجتماعا استثنائيا يوم الخميس 28 غشت 2008، خصصه لمناقشة التدابير الممكن اتخاذها للمساهمة في إنقاذ ما تبقى من أطلال مدينة رمزمث التاريخية، وبعد الاستماع للتقرير الذي تقدم به أعضاء الفريق الذين كلفوا بمعاينة الأشغال الجارية داخل أسوار هذه المدينة، التي اتسمت بالعشوائية وعدم مراعاة ما قد يكتنزه المكان من أدوات ومطامير وسراديب... وبعد استحضار الإجراءات التي سبق للمكتب المسير أن أقدم عليها لحمل المسؤولين على العمل للحفاظ على هاته المعلمة التاريخية واستكشافها وتحديد معالمها، وبعد نقاش مستفيض ساهم فيه كل الأعضاء الحاضرين، قرر المكتب المسير متابعة الملف وإيلائه ما يستحق من عناية واهتمام، واعتبر أن حماية أطلال هذه المدينة التاريخية تهم كل الفعاليات المدنية ومختلف المسؤولين، وتم الاتفاق على دعوة عدد من الإطارات الجمعوية المحلية للاجتماع يوم السبت 30 غشت 2008 بمقر الفضاء النقابي الديمقراطي بالحسيمة للتفكير في الصيغ الممكنة للعمل بشكل جماعي لإنقاذ هذه المعلمة.

● المكتب المسير - الرئيس: عمر لمعلم

تنظيم أنشطة إشعاعية خلال شهر رمضان

تخليدا للذكرى 13 لرحيل القائد محمد الحاج سلام أمزيان وبمناسبة شهر رمضان الفضيل، فإن المكتب المسير لجمعية ذاكرة الريف بالحسيمة قرر تنظيم أنشطة وفق البرنامج التالي:

● يوم الثلاثاء 16 شتمبر 2008 على الساعة التاسعة (21:00) ليلا بمقر الفضاء النقابي الديمقراطي، عرض يلقيه الأستاذ محمد لمرابطي في موضوع:

"جوانب من الوقائع الحربية بمنطقة الريف من خلال الكتابات الأجنبية، نموذج المؤرخ خوان باندو".

● يوم الجمعة 19 شتمبر 2008 على الساعة التاسعة (21:00) ليلا بمقر الفضاء النقابي الديمقراطي، تنظيم لقاء يؤطره الأستاذ عمر لمعلم حول موضوع:

"انتفاضة الريف سنتي 1958 و1959، في ذكراها الذهبية".

● يوم الأحد 12 أكتوبر 2008 على الساعة السابعة (07:00) صباحا، تنظيم خرجة إلى دوار أيث بوخرف وإصوفيا...وامنوذ.

● المكتب المسير

المجلس البلدي لمدينة الحسيمة بتنسيق مع جمعية ذاكرة الريف

= بـــلاغ =

ينظم المجلس البلدي لمدينة الحسيمة بتنسيق مع جمعية ذاكرة الريف يومين دراسيين خاصين بتكريم الدكتور أحمد الخمليشي، وقراءة في مجموعة من الكتب التي صدرت مؤخرا، وذلك وفق البرنامج التالي:

يوم السبت 18 أكتوبر 2008

- كلمات الهيئات المنظمة
- عرض بالصور لمسار الدكتور أحمد الخمليشي.
- ندوة حول موضوع: أحمد الخمليشي: شهادات وذكريات.
- ندوة حول موضوع: أحمد الخمليشي: دراسات ومقاربات.

يوم الأحد 19 أكتوبر 2008:

قراءات في الكتب التالية:

- "الريف قبل الحماية" للأستاذ عبد الرحمن الطيبي.
- "الشريف محمد أمزيان: شهيد الوعي الوطني" للأستاذ حسن فكيكي.
- "عبد الكريم الخطابي: التاريخ المحاصر" للأستاذ علي الإدريسي.
- "مذكرات المقاوم عبد العزيز أقضاض الدوائري" الذي أعده للنشر: الأستاذ محمد لخواجة.
- "كدية أومليل" للأستاذ عبد الله عاصم.

ملحوظة: ستقام هذه الأنشطة بقاعة الاجتماعات التابعة لبلدية الحسيمة.

فعاليات مدنية بالخارج تنتقد السياسة الاستثمارية للبنوك بمنطقة الريف

اعتبرت مجموعة من الفعاليات المدنية المقيمة بالخارج أن طبيعة العلاقة التي تربط الجهات الرسمية بالمهاجرين المغاربة أصبحت متجاوزة في الكثير من جوانبها، على اعتبار أن هذه الجهات لازالت تفتقد إلى رؤية وإستراتيجية واضحة حول كيفية مساهمة أفراد الجالية المغربية المقيمة بالخارج في التنمية المحلية المنشودة، ولأنها علاقة لازالت تختصر الهجرة في بعد التحويلات المالية والعملة الصعبة من غير العمل على توفير شروط استمرار هذا التدفق المالي الهام واستثماره في مشاريع اقتصادية كبرى.

وقد اعترف الوزير المكلف بالجالية المغربية المقيمة بالخارج في أحد تصريحاته الصحفية بأنه حقيقية لا يزال هناك الكثير مما يجب القيام به لجذب استثمارات المهاجرين المغاربة، وأن الحكومة سوف تعمل جاهدة على تجاوز هذه المعيقات والعراقيل في مخططها الجديد 2008/2012الذي أعدته بهدف إنجاز سياسة متكاملة في مجال تدبير شؤون الجالية المغربية في الخارج تشمل المجال التعليمي، الاجتماعي و الاقتصادي ودراسة إمكانية تقليص تكلفة التحويلات المالية للمهاجرين.

وقد انتقدت هذه الفعاليات – التي كانت تتحدث بالخصوص عن حجم ومدى مساهمة تحويلات المهاجرين في تنمية منطقة شمال المغرب- السياسية المالية للبنوك المغربية في منطقة الريف التي أصبحت تحتل المرتبة الثانية بعد مدينة الدار البيضاء من حيث الودائع البنكية، من غير أن يتم ترجمة ذلك إلى سياسة استثمارية بالمنطقة، بل تعمد هذه البنوك إلى تحويل هذه الودائع المالية إلى مناطق أخرى ودعم البرامج التنموية بها، حيث يأتي جواب هذه البنوك غالبا بالرفض حينما يتعلق الأمر بتمويل مشاريع استثمارية محلية.

وقال مصدر مسؤول من أحد المراكز المهتمة بموضوع الهجرة والتنمية بشمال المغرب أن الحكومة باتت مطالبة بإعادة النظر في سياستها المتبعة اتجاه المهاجرين بمنطقة الريف بالخصوص، خاصة ما يتعلق بكيفية تشجيع هؤلاء المهاجرين على الاستثمار، وكذلك حث البنوك بالمنطقة على نهج سياسة إنمائية حقيقية، عوض الاهتمام فقط بالحصول على الودائع المالية من طرف المهاجرين، والتي تؤكد التوقعات الاقتصادية للعديد من الخبراء أن رغم تطورها فهي تتجه نحو التوقف خلال الثلاثة عقود القادمة.

وقال المصدر نفسه بأن هناك تخوفات حقيقية من أن تتحول المناطق المصدرة للهجرة بالمغرب – مع مرور الوقت- إلى مناطق تتسم بالهشاشة الاقتصادية إن لم تنجز بها الجهات الرسمية برامج تنموية حقيقية تعمل على تحسين استثمار تحويلات المهاجرين في مشاريع اقتصادية كبرى، وانتشال هذه المناطق من التهميش والعزلة، لأن الدورة الاقتصادية لهذه المناطق أصبحت مرتبطة بتحويلات المهاجرين التي يصرف أغلبها في الجانب المعيشي أو الاستثمار في مشاريع خدماتية صغيرة.

ففي غياب برامج اقتصادية من شانها تاطير هذه التحويلات وتوجيهها إلى استثمارات كبرى تساهم في تنمية المناطق المصدرة للهجرة يبقى _ حسب محمد عامر الوزير المكلف بالجالية المغربية- أكثر من 80 في المائة من تحويلات المغاربة في الخارج موجها لتحسين الأوضاع المادية لذويهم في المغرب، بينما يستثمر 10 في المائة فقط في تمويل الاقتصاد الوطني، وأضاف أنه "رغم أن أغلب استثمارات المهاجرين المغاربة موجهة إلى قطاع العقار فإن مخطط الحكومة منصب على خلق جيل جديد من المستثمرين المغاربة من أفراد الجالية المغربية.

ويرى الأستاذ محمد حمجيق في بحث له حول موضوع الهجرة الدولية وتمدن المراكز القروية، أن استفادة المنطقة من تحويلات المهاجرين المغاربة تظل جد ضعيفة، حيث لا تتجاوز نسبة 8% من مجموع التحويلات لأن شبكة بنكية منظمة تعمل على تحويل هذه الأموال إلى الأقاليم المؤهلة اقتصاديا كمحور القنيطرة – البيضاء. وهي التحويلات التي يتم استثمارها حسب نفس البحث في المجال العقاري بدرجة كبيرة، فيما يظل الاستثمار في القطاع الإنتاجي الفلاحي والصناعي ضعيفا جدا.

وأوضح أحد المهتمين بموضوع تحويلات المهاجرين المغاربة أن نسبة كبيرة من حجم هذه التحويلات يتم استخدامها لإعالة الأسر والعائلة بالمناطق المصدرة للهجرة، حيث تشير الإحصائيات أن نصف هؤلاء المهاجرين يقومون بإعالة أسر يتراوح عدد أفرادها ما بين 4 و6، فيما 30% منهم يعولون أسر يزيد عدد أفرادها عن 6، فيما 20% منهم يعولون أسر يقل عدد أفرادها عن 4، وتتجه نسبة صغيرة من هذه التحويلات إلى المجال الاستثماري في العقار والخدمات.

وتشير بعض الدراسات إلى أن غالبية المهاجرين يلجأون إلى الاستثمار في العقار بحكم مجموعة من الرواسب الثقافية والاجتماعية، حيث كان امتلاك السكن هو الهم الذي أرق الجيل الأول من المهاجرين، والدليل على ذلك يقول أحد الأساتذة الباحثين في الموضوع أنه هناك مدن كاملة ومراكز حضرية بالريف وعموم الشمال المغربي نشأت سنوات قليلة بعد انطلاق الهجرة الدولية إلى أوربا، فقد ارتفع مثلا عدد المراكز الحضرية بإقليم الحسيمة من مركزين سنوات الستينيات إلى 8مراكز سنة 1994.

غير أن الجيل الثاني والثالث من المهاجرين المغاربة يفضلون الاستقرار بدول المهجر، وبالتالي لا يعيشون على ها جس امتلاك سكن وعقار بالبلد الأصلي، الشيء الذي سيساهم في انخفاض حجم هذه التحويلات التي يرى بعض خبراء الهجرة والتنمية بأن استمرار تدفقها مرتبط أيضا بعوامل ثقافية ودينية يجب أن تهتم بها حكومات الدول المصدرة للهجرة، باعتبار هذه العوامل المشكلة للهوية هي الضامنة وحدها لاستمرار جسور الارتباط بين المهاجرين وأرض الوطن، و بالتالي استمرار تدفق التحويلات.

وقال مصدر بنكي أن اتهام البنوك بعدم امتلاكها لسياسية اقتصادية بالمنطقة وعدم مساهمتها في التنمية المحلية فيه نوع من التجني، أو ناتج عن الجهل بالمعلومات و الإحصائيات التي توضح الدور الهام لهذه البنوك في التنمية المحلية بمنطقة الريف وتمويل المشاريع الاقتصادية بها، ومن طبيعة الحال لا يمكن للبنوك أن تمول أو تمنح

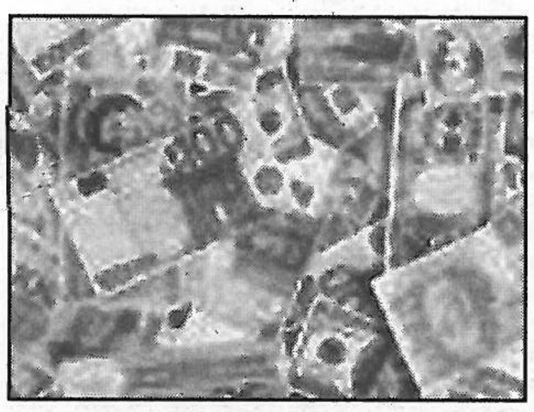

القروض لأي مشروع لأنها -فقط- تحصل على ودائع مالية كبيرة من طرف المهاجرين، ليس هذا هو المنطق الاستثماري.

وأشار مصدر من أحد البنوك التي تستحوذ على نسبة كبيرة من حجم تحويلات المهاجرين والمتهمة بعدم تمويل مشاريع استثمارية بالمنطقة إلى أنه بفعل طبيعة المنطقة وسنوات التهميش والإقصاء الذي عانت منه منذ سنوات، يصعب على البنوك بأن تغامر بتمويل مشاريع استثمارية كبرى تنعدم فيها الضمانات التي تفيد نجاحها، فالبنوك بدورها تراعى مصالحها المالية وأيضا مصالح الزبناء، أما ما عدا هذا فالبنوك تمول المشاريع الاقتصادية بالمنطقة وتقرض لها الأموال حين تؤكد الدراسات نجاح هذه المشاريع.

غير أن الكثير من الملاحظين لحركية الهجرة بمنطقة الشمال يرون أن جردا بسيطا لطبيعة المشاريع المنجزة بالمنطقة والتي ساهمت فيها هذه الأبناك التي تستقبل سيلا من التحويلات المالية للمهاجرين تبقى ضئيلة جدا بالمقارنة مع المشاريع التي يعتمد أصحابها على التمويل الذاتي والعائلي، لأن هذه البنوك أصبحت تعتمد مساطر وإجراءات تتسم بالكثير من البيروقراطية والروتينية، الشيء الذي يجعل الكثير من زبناء هذه المؤسسات يسحبون بطريقة غير مباشرة ملفات طلب تمويل مشاريعهم.

● الغلبزوري السكناوي

أيث بوعياش:
معمل الحليب مصدر الغذاء الكامل والسوائل السامة

رفعت جمعية النسيم للطفولة والبيئة عريضة احتجاجية تحمل 63 توقيعا توصلت الجريدة بنسخة منهان إلى كل من السيد والي جهة تازة الحسيمة تاونات، المكتب الوطني للماء الصالح للشرب تستنكر فيه ما وصفته بالأوضاع المزرية التي تعيشها مدينة بني بوعياش في الميدان البيئي، خاصة الأنبوب الخارجي لمعمل الحليب الذي يطرح مواد سائلة متعفنة، ومن جراء ذلك تضيف العريضة، تعرض الأطفال لبعض الأمراض كالحساسية والربو.والجدير بالذكر ، أن المكتب الوطني للماء الصالح للشرب هو المسؤول على معالجة النفايات السائلة بعد التدبير المفوض الذي حصل عليه من الجماعة الحضرية، إلا انه لم يتحرك لإيجاد حل لهذا المشكل الذي بات يؤرق الساكنة بشكل يومي.

هذا المكتب لم يستطع حتى التدخل لإصلاح قنوات الماء الصالح للشرب التي تتعرض للإتلاف من حين لآخر وسط شوارع المدينة وبالأحرى معالجة المشاكل الناجمة عن الصرف الصحي أو السوائل المتسربة من التعاونية الفلاحية للنكور أو ما بات يعرف بمعمل الحليب، وهذا ما نتج عنه مزيد من التدهور البيئي واكتشاف لمنابع مائية جديدة على شكل "عيون للا الزفت" وسط الطرقات فأين نحن من شعار " الماء مادة ثمينة، فلنحافظ عليها"

● محمد بوطسغونت

جمعية النسيم للطفولة والبيئة بأيث بوعياش
دوري في كرة القدم المصغرة لفائدة أطفال المنطقة

تحت شعار:" الطفولة رهان المستقبل"، نظمت جمعية النسيم للطفولة والبيئة بايث بوعياش دوري في كرة القدم المصغرة لفائدة أطفال المنطقة، وذلك ابتداء من 14 يوليوز إلى غاية 05 غشت 2008 بالمركب الثقافي والرياضي بشراكة مع جمعية سفتولة للتنمية المسيرة للمركب. وقد عرف هذا الدوري مشاركة أزيد من 140 طفلا (20 فرقة) بما فيهم أطفال الجالية المغربية المقيمة بالخارج، وخلال هذا النشاط تم تنظيم حملات تحسيسية وتوعوية في المجال البيئي. وتوج هذا الدوري بتوزيع الجوائز التشجيعية على الفرق الفائزة، وقد مر هذا النشاط الذي كان في نسخته الرابعة في جو حماسي وترفيهي. وللإشارة فإن جمعية النسيم للطفولة والبيئة سبق لها أن شاركت في المهرجان الوطني لأغنية الطفل بالدار البيضاء قبيل حلول فصل الصيف والذي حصلت من خلاله على المرتبة الثالثة وطنيا في الأداء الجماعي بفرقة " عصافير السلام".

بلاغ من جمعية "تودرت" للمتبرعين بالدم بالحسيمة

تنظم جمعية "تودرت " للمتبرعين بالدم بالحسيمة وبتنسيق مع المركز الجهوي لتحاقن الدم بالحسيمة وللمرة الثالثة على التوالي، كلما حل شهر رمضان الأبرك، حملات تحسيسية للتبرع بالدم بساحة محمد السادس بعد صلاة العشاء كل يومي الإثنين والخميس.

وللتذكير، فإن عمليات التبرع بالدم بالساحة المذكورة لها نكهة وتلقيد خاصين لما يحمله هذا الشهر المبارك من تعاطف وتازر والرغبة في التبرع بالدم من طرف عامة المواطنات والمواطنين.

غير أنه خلال هذا الشهر الرمضاني، لم تنطلق هذه العملية مع بدايته لسبب النقص في الموارد البشرية المختصة الذي يعرفه المركز الجهوي لتحاقن الدم بالحسيمة، الشيء الذي يحول دون الوصول إلى هدف إجراء عمليات التبرع بالدم، كما جاء في بلاغ للجمعية يوم 2008/09/08 وقد تم إخبار الرأي العام المحلي وقت ذلك.

المكلف بمهمة الاقتصاد بثانوية "مولاي علي الشريف"
يعتدي على حارس المؤسسة وزوجته وبناته

توصلنا في الجريدة بشكاية تظلم من حارس ثانوية مولاي علي الشريف بالحسيمة السيد عبد الفتاح الخمليشي، يوضح فيها سيناريو الاعتداء الذي تعرض له من قبل (أ.ل) المكلف بمهمة الاقتصاد بنفس الثانوية، ومن ضمن ما جاء فيها:

"في صبيحة يوم الجمعة 8 غشت 2008 وبينما كنت خارجا من المؤسسة لاقتناء بعض حاجيات المنزل إذ بالمشتكى به، الذي اعتاد أن يعتدي علي وعلى أفراد أسرتي طوال المواسم الدراسية الماضية، اعترض سبيلي قائلا لي: "أبعد عني ابنتك وإلا قتلتك"، وكان ذلك أمام مرأى ومسمع أحد الآباء الذي كان في زيارة للثانوية لغرض شخصي، فكان ردي أن طلبت منه الابتعاد عن طريقي، فلم يتمالك أعصابه وارتمى علي بعنف ماسكا إياي من عنقي محاولا خنقي، وضربني في ضلوعي كدت غثرها أفقد تنفسي، فتدخل الأب المذكور سابقا لإبعاده عني حيث عدت إلى سكناي بالمؤسسة التي أشتغل بها، ولم يمض سوى وقت قصير حتى تبعني المعتدي حاملا عصا غليظة ومشوكة وهو يصيح بأعلى صوته "اخرج يا ابن الشيخة" فاتقيت شره ولبثت بمنزلي دون أن أبرحه، فخرجت زوجتي وبنتاي يستفسرنه عن الأمر، فكان رد فعله ان قابلهن بالشتم والسب بأفحش الألفاظ ناعتا زوجتي ب"العاهرة" وبنتاي ب "الدلافين" وبكلمات نابية لا أقوى على ذكرها. وقد ترتب عن ضربه لي ضررا سببلي عجزا لمدة 20 يوما كما تؤكده الشهادة الطبية المرفقة...وكما تعرفون، ليست هذه المرة الأولى التي يعتدي فيها علي وعلى أفراد أسرتي، بل سبق له أن مارس هواياته العدوانية عدة مرات فكنت دائما أدعو الله أن يجنبني شره.

وفي الأخير أناشدكم أن تنصفوني بعدما ضاق بي الحال، وتخففوا من معاناة أفراد أسرتي، وتجدوا حلا لهذه الوضعية المحبطة التي أعيشها. ولي اليقين أنكم ستتخذون المتعين لإنصافي...".

وللإشارة، فقد خلف هذا الاعتداء استياء عاما في الشارع المحلي والأسرة التعليمية بالنظر إلى ما لحق أسرة الخمليشي من أذى، لا سيما وأن هذا الأخير عرف عنه إخلاصه وتفانيه في عمله، وهذا ما يشهد به ليس العاملون داخل هذه المؤسسة فحسب وإنما كل الأجيال التي درست بهذه الثانوية، هذا فضلا عن سلوكه القويم والمحبوب من لدن كافة أبناء الحسيمة المتعاطفين مع حالته الاجتماعية الصعبة.

لعنة كراء الأسواق الأسبوعية تقزم ميزانية الجماعات المحلية

تدخل الأسواق الأسبوعية ضمن الموروث الشعبي بكل ما تزخر به من مكونات اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية باعتبارها كانت محور اللقاء والتشاور والفصل والقضاء في مجموعة من الأمور التي تتعلق بالنسق اليومي المجتمعي الذي تفرضه الظروف المعيشية والاقتصادية والاجتماعية لكل منطقة على حدة، كما أنها كانت وما زالت المحرك الرئيسي للرواج التجاري بالبوادي والمدن شبه حضرية، ورغم أنها بكل عفويتها وبساطتها فقد ظلت قبلة العديد من القبائل والدواوير في ذاك اليوم الذي اختير لها من كل أسبوع والذي يظل الوافدون إليها ينتظرون بكل شغف وتهيؤ، فإنها اليوم تشهد تفككا على كل المستويات وافتقادا لعدد من المرافق بحكم التوسع العمراني الذي تشهده الفضاءات المحاذية لها، وبالتالي أصبحت تتوسط المدار الحضري مما جعل العديد من القائمين على الشأن المحلي بهذه المناطق يهتدون إلى التفكير في نقلها لأماكن أخرى تكون أبعد شيئا ما من هذا الوسط لما تحمله معها طقوسها وعاداتها من ضجيج وفوضى وارتباك حركة السير والمرور؛ وحديثنا اليوم عن هذا الموضوع لن يقتصر على تاريخ هذه الأسواق بإقليم الحسيمة ولا بالمواد التي تعرض فيها ولا الحالة المزرية التي تعرفها من تلوث وأزبال وتعفنات، ولا الطريقة التي يتعامل بها مكتروها ومساعديهم في تحصيل واجبات الكراء أو الصنك، وإنما من الصفقات التي تقوم بها بعض الجماعات القروية منها والحضرية بالإقليم في كراء هذه الأسواق، حيث تم تسجيل انخفاض في السومة الكرائية مقارنة مع باقي السنوات كما هو الحال مع أسواق كل من إمزورن وبني بوعياش وتامسينت وإزمورن والرواضي وبني بوفراح ومسطاسة وبني عبد الله...، وبقراءة في الجهات التي تتحكم في عملية الكراء هذه فإننا نجد أن هناك بالدرجة الأولى مصلحة الجماعات المحلية بعمالة الإقليم إضافة إلى السلطات المحلية والقباضات المحلية ورؤساء الجماعات التي ينتمي إليها السوق ناهيك عن مجموعة من السماسرة الذين يدخلون في هذه اللعبة والذين لهم اتصالات مع كل هذه الجهات وجهات أخرى لذر الرماد في العيون لدرجة أن المعاين لعملية الكراء وفتح الأظرفة يخرج مقتنعا بأن الأمر عاد ولا تشوبه شائبة وقد مر في أحسن الظروف وفق ما يطمح له الجميع، أي بلغة الساسة أن هناك ديمقراطية وشفافية ونزاهة لتبقى الجماعة هي المتضرر الأول والأخير من هذه العمليات والتي يؤدي ثمنها المواطن المغلوب على أمره الذي يؤدي كل الضرائب المفروضة عليه المباشرة منها وغير المباشرة لتحسين مدخول هذه الجماعة، حيث يضيع على هذه الجماعات جانب مهم من المداخيل التي تبقى الجماعة في أمس الحاجة إليها، ولعل أغلب الجماعات التي فاحت من وراء عملية كراء أسواقها رائحة التلاعب والتواطؤ المكشوف تعرف وضعا ماليا جد مزر ترتب عنه وضع جد متردد في بنياتها التحتية ومرافقها العمومية والاجتماعية والاقتصادية كما تتخللها صراعات داخلية في مجالسها الجماعية مما ينعكس على ميزانيتها ويتداخل الحابل بالنابل وتشوبها خروقات في التسيير المالي وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من حط رحال لجن التفتيش الجهوية بها، هذا إذا لم يكن هناك تواطؤ من نوع آخر، وهو ما يجعلنا ندق ناقوس الاختلالات التي تمس جسم الشأن المحلي بمجوعة من الجماعات التي لا تعير للمواطن أدنى أهمية في مسيرتها الجماعية بقدر ما تجري وراء مصالحها الخاصة ومصالح الموالين لها والتابعين وبعض الأقارب من هنا وهناك خالقين لهم أرصدة وأملاك عقارية بالإقليم وخارجه، مما أصبح على الجهات الإقليمية الوقوف أمام مثل هذه الممارسات التي لا تخفى عليهم والضرب بيد من حديد على ممارسيها من سماسرة ومتلاعبين ومستشارين جماعيين وموظفين، وإلا تسند الأمور للجن من داخل هذه الجماعات تكون تحت إمرة السلطات المحلية ليتحمل كل واحد مسؤوليته فيما قد يقع لاستخلاص مداخيل هذه الأسولق درءا لكل تلاعب، وكفانا من عملية الكراء هذه التي لا تجني منها الجماعات إلا الفتات كما تفرض على المجلس الأعلى للحسابات بإيفاد لجن للتقصي والبحث للوقوف على هول ما يجري في فلك هذه الجماعات، وما خفي كان أعظم!

● محمد إزفزافن

جمعية ملتقى المرأة تخلد الذكرى العاشرة لتأسيسها بتكريم التلميذة رانيا العماري

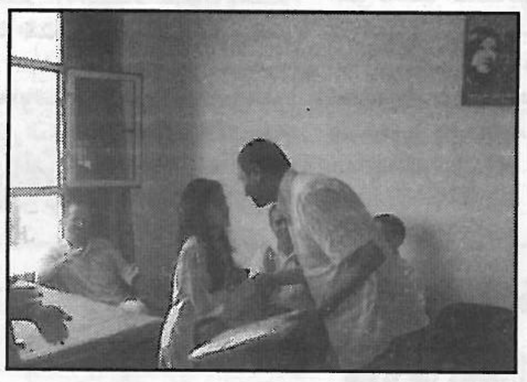

خلدت جمعية ملتقى المراة بالريف مساء يوم الإثنين 14 يوليوز 2008، ابتداء من الساعة الخامسة مساء الذكرى العاشرة لتأسيسها، حيث التأم داخل مقرها في جو أخوي ونضالي مجموعة من المؤسسات والمؤسسين يتخللهم حضور هام، ليعود بهم شريط الذكريات إلى اليوم الأول لتأسيس الجمعية مستحضرين فرحة ومعاناة انبثاق أول جمعية نسائية مستقلة بالإقليم، وفي مستهل هذا النشاط تناولت الكلمة رئيسة الجمعية السيدة زهرة قوبيع بسطت فيها الظروف التي أحاطت بميلاد الجمعية والأشواط التي قطعتها مذكرة بالتراكمات والمنجزات التي حققتها ودورها التعبوي في الدفاع عن حقوق المرأة الريفية والتعريف بمشاكلها ومطالبها، وبعدها تطرق الأستاذ عزوز بنعزوز إلى أهمية الشراكة التي تجمع بين الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين وجمعية ملتقى المرأة في مجال التربية على حقوق الإنسان عامة وحقوق الطفل خاصة في ارتباط مع موضوع ذي صلة بالسلوك المدني، كما تضمن برنامج الحفل تخصيص جائزة حقوق الطفل السنوية خلال 2008 للطفلة رانيا العماري تلميذة بالقسم السادس من التعليم الابتدائي تقديرا لها على جرأتها في اقتحام المجالات الخاصة بحرية التعبير وتضامنا معها بسبب المضايقات التي تعرضت لها من جراء ذلك، وقد منحت لها الجائزة من قبل الناشط الحقوقي محمد لمرابطي. وفي ختام الحفل دعي الجميع إلى تناول كأس من الشاي على شرف المدعوين.

جمعية قدماء ثانوية مولاي علي الشريف بالحسيمة تخصص 20 جائزة للتلاميذ المتفوقين

نظمت جمعية قدماء ثانوية مولاي علي الشريف بالحسيمة مساء يوم السبت 19 يوليوز 2008، ابتداء من الساعة السادسة والنصف حفلا قيما بقاعة مركز الشريف الإدريسي بالحسيمة وتضمن برنامج الحفل عدة فقرات، خصص أولها لإعطاء كلمات لمجموعة من الأطر التربوية والإدارية بالثانوية ونيابة التعليم وممثل جمعية آباء التلاميذ، ثم وزعت الجوائز على المتفوقين من التلاميذ الذين تفرقوا ما بين التخصصات العلمية والأدبية، كما شكر نائب رئيس الجمعية ومسير النشاط نور الدين لمعلم جميع من ساهم في إنجاح هذا النشاط ماديا ومعنويا وخاصة المقاولين الشباب الغيورين وأحد المهندسين من أبناء المدينة والمجلس البلدي للحسيمة والمندوبية الإقليمية للثقافة بالحسيمة الذين منحت لهم شواهد رمزية تقديرية، وفي الأخير أشار في كلمته أيضا إلى وضعية التعليم بالإقليم والإكراهات التي يواجهها، دون أن يغفل ذكر مشروع قاعة متعددة الاختصاصات الذي تقدمت به الجمعية إلى المسؤولين عن المبادرة الوطنية للتنمية البشرية لإنجازها داخل الثانوية.

■ وفي بلاغ لها، أصدرته جمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي علي الشريف بالحسيمة بعد عقدها اجتماعا عاديا بتاريخ 08 شتنبر 2008 بمناسبة الموسم الدراسي الجديد 09/08، وانطلاقا من جدول أعماها المسطر، وبعد نقاش مستفيض للوضعية التعليمية بالإقليم عموما وثانوية مولاي علي الشريف خصوصا، سجلت ما يلي:

-1ضرورة تظافر جهود كل الفاعلين من أجل إنجاح الموسم الدراسي الجديد.

-2إيجاد الحلول الناجعة للمشاكل التي يتخبط فيها التعليم (الخصاص، الاكتضاض، ضعف التجهيزات...).

-3ضمان توزيع الأدوات المدرسية بشكل عادل على التلاميذ المحتاجين مع المطالبة بتعميم العملية.

-4دعوة الهيئة التربوية والادارية بالثانوية إلى تكثيف الجهود بما فيه مصلحة التلاميذ.

-5مطالبة المسؤولين بفتح تحقيق فيما يتعرض له حارس ثانوية مولاي علي الشريف من اعتداءات ومضايقات داخل المؤسسة.

وبصدد الوضعية التنظيمية للجمعية، فقد قرر المكتب عقد جمع عام لتجديده بتاريخ: 22 شتنبر 2008، مع دعوته المنخرطات والمنخرطين وقدماء الثانوية إلى الحضور لإنجاح هذه المحطة التنظيمية.

جمعية تويا للعمل النسائي بالحسيمة يومان ترفيهيان لفائدة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة

نظمت جمعية تويا للعمل النسائي بالحسيمة بتنسيق مع النادي الملكي للجيتسكي والتزلج المائي، يومين ترفيهيين بشاطئ كيمادو بتاريخ 26 و 28 غشت 2008، لفائدة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وقد استمتع الأطفال بجولات على متن تلك الآليات المائية السريعة التحرك والوثب، مما خلق لديهم انطباعات وارتسامات إيجابية للغاية، معتبرين هذا النشاط التفاتة طيبة واهتماما يليق بهم كفئة قلما تجد اهتماما وعناية أو فرصة كهذه.

وبهذه المناسبة فإن المكتب المسير لجمعية تويا يتقدم بتشكراته الخالصة إلى رئيس الفدرالية المغربية للجيتسكي بالرباط السيد أسامة العلام بطل المغرب في الجيتسكي، وكذلك إلى مدير النادي الذي وعد جمعية تويا بإعداد برنامج ترفيهي يتضمن جملة من الأنشطة خاصة بهذه الفئة وذلك في غضون الصيف القادم لعام 2009.

جمعية أيوما تكرم روح الفقيد محمود درويش

تكريما لروح الفقيد الشاعر محمود درويش ، تنظم جمعية أيوما للتربية والتنشيط بالحسيمة أنشطة ثقافية ، تحسيسية ، وفنية وعروض من الشعر الملتزم وذلك طيلة شهر رمضان المعظم حسب البرنامج التالي :

الأنشطة الثقافية:

قراءات شعرية "رثاء محمود درويش " ، عروض أشرطة الفيديو حول محمود درويش، السبت 13 شتنبر ، دار الشباب.

ندوة حول تجربة الفعل الجمعوي ، دور قصائد محمود درويش في التوعية والتصدي للسائد الثقافي، دار الشباب، الثلاثاء 16 شتنبر، دار الشباب.

مسابقة في القصائد المغناة "لمحمود درويش"، مسابقة حول "سيرة وحياة المناضل "محمود درويش "، الخميس 18 شتنبر، دار الشباب.

الأنشطة التحسيسية:

عرض حول "تقنيات الصيام وأهميته في "التوازن الصحي "، دار الشباب

أنشطة فنية من فن السماع والمديح، دار الشباب.

أمداح ليلة القدر، دار الشباب.

جمعية "إمغناس" وترسيم الأمازيغية

نظمت جمعية "إمغناس" للثقافة والتنمية بأيث وليشك بإقليم الناضور أياما ثقافية تحت شعار: "ترسيم الأمازيغية مدخل أساسي للتنمية الحقيقية" وذلك طيلة أيام: 08،07 و09 غشت2008 ، وعقدت خلال اليوم الأول الخميس على الساعة الثامنة ندوة فكرية في موضوع:" إضاءات حول المقاومة الريفية"، واستدعي لها من الحسيمة كل من الأستاذين أحمد المرابط وعمر لمعلم للمساهمة في تأطير أشغال الندوة الأولى، وتأتي هذه الأنشطة في سياق تخليد ذكرى معركة أنوال الشهيرة.

الجامعة الصيفية للتواصل التلاميذي بالريف

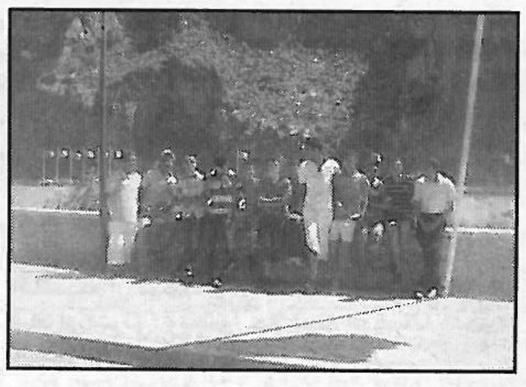

تتويجا لبرنامج التربية على المساواة من أجل مجتمع عادل ، وتحت شعار: "حقوق الإنسان في خدمة الشباب" نظمت جمعية ملتقى المرأة بالريف بمقرها الرئيسي بالحسيمة الجامعة الصيفية للتواصل التلاميذي بالريف في الفترة الممتدة من 21 غشت إلى 26 منه، بمشاركة مجموعة من تلاميذ تاركيست، تماسينت، إمزورن، وقد كان برنامج التنشيط الذي سهر على تأطيره وتنفيذه الفريق التربوي الحقوقي للجمعية غنيا بالمادة الحقوقية موزعة بين أوراش: المشاركة، حقوق الطفل، مدونة الأسرة، الحركات الاحتجاجية بالمغرب: نموذج حركة المعطلين.هذا دون أن نغفل الشق الترفيهي الهادف المتمثل في أمسية شعرية غنائية، وفي خرجات يومية لكل من شواطئ: إزضي - تارايوسف - بوسكور - رحاش - واختتاما برحلة جماعية لمدينة السعيدية.

● م.خ

مبادرة مليون محفظة: من الأمل إلى خيبة الأمل

تنفس أغلب فقراء هذا البلد الصعداء، بعد سماعهم نبأ توزيع مليون محفظة على التلاميذ المحتاجين، خاصة وأن هذه المبادرة جاءت من أعلى سلطة في البلاد خلال الخطاب الذي ألقاه عاهل البلاد يوم 20غشت2008 بمناسبة الذكرى الخامسة والخمسين لثورة الملك والشعب. وما إن اقترب موعد الدخول المدرسي الفعلي حتى بدأت تتضاءل فرص العديد من الأسر في الحصول على محفظة من بين المليون لأحد أبنائها. وهذا راجع إلى طريقة توزيعها والمعايير الملتبسة التي تم اعتمادها. فجهة تازة الحسيمة تاونات لم تتمكن من الحصول سوى على 21655حقيبة مدرسية، حاز منها إقليم الحسيمة على 9823 موزعة على27وحدة مدرسية. منها 23مؤسسة ابتدائية. هذه النسبة الضعيفة التي تم توزيعها لم يراع فيها السياق الذي أتت فيه هذه المبادرة ولا الأهداف المتوخاة منها، وهذا ما أدى إلى ردود فعل غاضبة واستياء كبير خصوصا في صفوف ساكنة العالم القروي. أحد المواطنين عبر عن استنكاره بشكل طريف إذ تساءل: "كيف يعقل أن يستفيد تلاميذ من الوسط الحضري علما أن آباءهم أغلبهم موظفين ومرتبين في السلالم11أو12 ويتم إقصاء أسر تعيش تحت عتبة الفقر؟"، فغضبه الشديد جعله يبالغ بعض الشيء ليضيف بذلك درجة جديدة لموظفي الدولة، وكما يقال "كثرة الهم كتضحك". وما زاد الطين بلة هو توزيع محافظ تحوي بضعة دفاتر وفارغة من الكتب المدرسية، على التلاميذ الذين شملتهم هذه المبادرة، بالرغم من أن الحقيبة المدرسية التي أعلن عن توزيعها تتكون من محفظة وأدوات وكتب مدرسية وتتراوح قيمتها ما بين140.62و243.34درهم.

وجدير بالذكر، أن أغلب المؤسسات التعليمية بالإقليم كانت تستفيد في السنوات الماضية بدعم عند كل دخول مدرسي على شكل أدوات مدرسية لفائدة تلاميذ الأسر المعوزة. وفي بعض الحالات كانت الاستفادة تعم جميع المسجلين الجدد بالوسطين الحضري والقروي، وهذا ما يؤشر على أن عدد المحافظ التي كانت توزع يفوق عددها المليون، لكن كان يتم ذلك في صمت دون اللجوء إلى الفرقعات الإعلامية هنا وهناك.

وإذا كان من بين أهداف هذه المبادرة، دعم تعميم التمدرس والتقليص من نسب الهدر المدرسي، فإن هذه المعايير لم تكن حاضرة في تحديد المستفيدين، وهذا ما سيجعل فقدان الثقة في الدولة المغربية وما يصدر عن مؤسساتها، تتعمق وتترسخ لدى عموم المواطنين أكثر فأكثر.

وما ميز الدخول المدرسي الحالي كذلك هو تعرض العديد من المؤسسات التعليمية للسرقة واقتحامها من طرف غرباء عن محيطها ومن بينها مؤسستين توجدان بقلب مدينة الحسيمة ويتعلق الأمر بمدرسة "مسيرة فتح" الابتدائية وثانوية "البادسي".أما المؤسسات التعليمية المتواجدة في مناطق نائية، فإنها تتحول خلال الفترة الصيفية إلى أبنية مهجورة تستغل كمراحيض عمومية ومحلات للعب القمار.

في وقت سابق دق المجلس الأعلى للتعليم ناقوس الخطر، وأعلن عن خطة استعجالية لإصلاح منظومة التربية والتكوين إلا أن ما يتم الحديث عنه لا يتعلق بإصلاح.بل الإبقاء على الوضع الحالي على علاته وتطعيمه بإضافات جديدة صعبة التحقق في ظل الوضع المترهل والبئيس لواقعنا التعليمي. لذا وجب النفاذ إلى عمق المشكلة والعمل بشكل جدي على تفادي بعض المظاهر السلبية المزمنة التي أصابت المدرسة المغربية وإلا أصبحت كل مبادرة مكملة لما بدأته المبادرة الوطنية للتنمية البشرية والتي تعثرت في العديد من المواقع والمناسبات.

● محمد بوطسغونت

جمعية آيث حذيفة للثقافة والتنمية تكرم المناضل الأمازيغي أحمد أعياشي

نظمت جمعية آيث حذيفة للثقافة و التنمية حفلا تكريميا للمناضل الأمازيغي أحمد أعياشي الذي لم يبخل يوما بدعمه للجمعية المذكورة أعلاه سواء ماديا أو معنويا ، وذلك يوم الجمعة 22 غشت 2008 بالملعب المحلي بآيث حذيفة ابتداء من الساعة الخامسة والنصف مساءا. و كان الحفل عبارة عن نشاط رياضي حيث خاض فريقي إثران نريف و إحذرين نآيث حذيفة مبارة ودية في كرة القدم . وشهدت هذه المقابلة ندية كبيرة بين هذين الفريقين الكبيرين اللذان تؤطرهما اللجنة الرياضية التابعة لجمعية آيث حذيفة . وحسمت نتيجة المقابلة لفائدة فريق إحذرين الذي انتصر بحصة أربعة أهداف مقابل هدف واحد ، و تميزت هذه المقابلة بالروح الرياضية و الأخلاقية العالية بين اللاعبين .

كما خاض فريق كتاكيت إثران نريف مباراة استعراضية ضد فريق كتاكيت كمون و التي شهدت فوز الأول على الثاني بحصة أربعة أهداف مقابل هدف ، كما شهدت أيضا تألق جل عناصر كتاكيت إثران نريف التي أدهشت الجمهور الحاضر بمؤهلاتها العالية .

وفي ختام الحفل سلمت للمناضل الأمازيغي أحمد أعياشي شهادة تقديرية اعترافا بخدماته الجليلية التي يقدمها للجمعية .

● سالم الخضيري

تنسيقية الجمعيات العاملة بجماعة آيث عبد الله تقرير وتوصيات عن نشاط إشعاعي وثقافي

نظمت تنسيقية الجمعيات العاملة بجماعة آيث عبد الله إقليم الحسيمة نشاطا ثقافيا في موضوع: "الهجرة، التنمية والثقافة بالريف" يومي: 1 و2 غشت 2008. أطرته مجموعة من الفعاليات المهتمة من الداخل (فيصل أوسار، سعيد الإدريسي، ومحمدزاهد) ومن المهجر(خالد الحدادي"أمزير" و جمال الكتابي).

وحضره عدد مهم من أبناء المنطقة والمتتبعين، ساهموا بمداخلات غنية في الموضوع. وهذه جملة من التوصيات الصادرة عن هذا النشاط:

-1إعتبار الهجرة كارثة نتيجة سياسة فاشلة، ولا يمكن إيقاف نزيفها إلا عبر:

– نهج سياسة تنموية بديلة مرتبطة بالإنسان والمجال عبر إقرار دستور ديموقراطي شكلا ومضمونا يعطي الحق للجهات في حكم وتسيير شؤونها بشكل مستقل عن المركز.

– ضمان التوزيع العادل للثروة بين المواطنين .

ج- سن سياسة عادلة للأجور وإلغاء جميع الامتيازات والمؤسسات والمجالس الشكلية.

-2تحميل المسؤولية للنظام المخزني وأذنابه فيما آلت إليه أوضاع الريف جراء سياسة الإقصاء والتهميش والتحكم.

-3دعوة جميع الهيئات والجمعيات والفعاليات ذات المصداقية والممثلة والمؤطرة للريفيين بالداخل وبالمهجر إلى:

أ _ تنسيق المواقف والجهود وتبادل الخبرات والمواقف، وصولا إلى صياغة مشروع جماعي لتمنية الريف.

ب- إقامة نظام بنكي يوجه عائدات المهاجرين الريفيين إلى مشاريع إستثمارية بمناطقهم.

_ 4على الدول المضيفة للمهاجرين إلغاء القوانين العنصرية الممارسة عليهم، وتمتيعهم بكافة حقوقهم، ورفع العراقيل على طالبي التأشيرة، واعتماد الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان المتعلقة بالهجرة وبحرية تنقل الأشخاص.

● عن التنسيقية

بلاغ من مجموعة الريف لحاملي الشهادات العليا المعطلين

تم تأسيس مجموعة الريف لحاملي الشهادات المعطلين بالحسيمة بتاريخ 19-09-2008. كإطار يلتئم فيه أطر الريف المعطلين الحاصلين على دبلوم الدراسات العليا

أو ما يعادلها.

وتهدف هده المجموعة إلى المطالبة بحقها الدستوري في الشغل (الفصل13)، والإدماج المباشر في سلك الوظيفة العمومية طبقا للقرارين الوزاريين 695/99 و 888/99، الصادر عن وزير الوظيفة العمومية بتاريخ 30 أبريل 1999 والمنشورين في الجريدة الرسمية بتاريخ 24 ماي 1999، وكذا المنصوص عليه في المادة 25 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والمادة 6 من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى العديد من الاتفاقيات الصادرة عن منظمة العمل الدولية التي صادق عليها المغرب والتي تلزم الدولة بحماية مواطنيها من البطالة.

وعليه تطالب سكرتارية مجموعة الريف الجهات المسؤولة بالتعاطي الجاد والمسؤول مع حقها الدستوري في الشغل.

وما ضاع حق وراءه مطالب.

عن السكرتارية

المنسق العام: إسماعيل وساك

الكاتب العام: محمد المرابطي

أمين المال: محمد الكاوي

بيان من جمعية "حي العمال" بالحسيمة

أمام صمت المسؤولين تجاه المعاناة التي يعيشها المتضررون جراء الزلزال الذي ضرب إقليم الحسيمة سنة 2004. والذين تهدمت منازلهم، حيث تم تنقيلهم إلى أحياء بعيدة عن حيهم الأصلي (حي العمال) بعد أن تلقوا وعدا من المجلس البلدي بإرجاعهم فور بناء مساكن جديدة على غرار البناية الموجودة بالبقعة الأولى، مع توقيع التزام بذلك. وبعد أن راسلت الجمعية الولاية مرتين لطلب عقد لقاء قصد الاستفسار عن مصير البقع الأرضية خصوصا بعد وجود مؤشرات قوية بتفويتها إلى الخواص، لم تتلق الجمعية أي رد من الولاية.

أمام هذه اللامبالاة، تعلن الجمعية عن ما يلي:

- ضرورة التزام المجلس البلدي بوعوده المتمثلة في إعادة إسكان المتضررين في حيهم الأصلي خصوصا بعد التطمينات التي تلقوها من رئيس المجلس.

- رفض السكان تنقيلهم إلى أي حي آخر أو مدينة أخرى.

- ضرورة الإسراع في بناء السكن الموعود.

بلاغ صحفي
مبادرة مليون محفظة مدرسية بنيابة إقليم الحسيمة

اعتبارا لخصوصية الدخول المدرسي 2008/2009 الذي يتميز هذه السنة بمبادرة مليون محفظة، والتي أعطى انطلاقتها جلالة الملك محمد السادس نصره الله يوم 25 غشت 2008 والهادفة إلى تقليص الهدر المدرسي، ودعم تعميم التعليم، وتحسين جودة التعلمات، ودعم

الأسر المعوزة من أجل ضمان المساواة وتكافؤ الفرص، وحرصا من الجميع على أن تمر العملية في ظروف عادية، تم عقد سلسلة من الاجتماعات التحضيرية بمقر عمالة الإقليم ترأسها السيد والي الجهة عامل إقليم الحسيمة، بحضور السادة مدير الأكاديمية وممثلي السلطة المحلية ورؤساء الجماعات المعنية، ومديري/ات المؤسسات التعليمية المستهدفة، وممثلي جمعيات الآباء ومراسلي الصحف الحلية والوطنية، وذلك لوضع الترتيبات اللازمة لضمان حسن انطلاق وسير مختلف العمليات المرتبطة باستلام المحافظ وتوزيعها على التلاميذ.

وبلغ عدد المستفيدين من المبادرة بإقليم الحسيمة 9823 تلميذا وتلميذة، 5256 منهم بالوسط القروي و 4567 بالحضري، وبلغ عدد المستهدفين بسلك التعليم الابتدائي ما مجموعه 9250 تلميذا وتلميذة و 573 بالسنة الأولى ثانوي إعدادي. وقد استفادت من المبادرة 27مؤسسة تعليمية من بينها 04 ثانويات وإعدادية، موزعة على 05 جماعات قروية، و04 أحياء حضرية.وتوصلت النيابة الإقليمية بأول حصة من المحافظ يوم 31 غشت 2008، ضمت 8841 محفظة، تم تخزينها بقاعة المجلس الجهة لتتوالى بعدها عمليات تسلم الكتب المدرسية التي بلغت إلى يومه 27146 نسخة موزعة على 16 دارا للنشر أي حوالي43 ٪ من مجموع الكتب المكونة لحصة الإقليم، وقد تم توزيع المحافظ على 23 مؤسسة تعليمية من أصل 27مؤسسة معنية بالإقليم إلى حدود 16 شتنبر 2008.

وحرصا على إنجاح العملية إقليميا، تم التنسيق مع السلطات والجماعات المحلية من أجل توفير فضاءات للتخزين إقليميا ومحليا، وتوفير وسائل النقل واليد العاملة للشحن والافراغ لضمان وصول المحافظ إلى المؤسسات التعليمية المستهدفة في الآجال المحددة. هذا، وقد تم تشكيل لجنتين نيابتين تضطلع الأولى بتدبير المخزون وتجميع المعطيات وفق دليل مساطر تدبير وتتبع مبادرة مليون محفظة، في حين تتكلف الثانية باستقبال الشكايات الواردة على النيابة الاقليمية في هذا الشأن.وتغتنم النيابة الاقليمية هذة المناسبة لتتقدم بخاص الشكر والتقدير لكل من ساهم في دعم وإنجاح تدبير المبادرة، وفي مقدمتهم السيد والي الجهة عامل إقليم الحسيمة، والسيد مدير الأكاديمية الجهوية والسادة رؤساء الجماعات المحلية وجمعيات الآباء، وكافة المتدخلين في العملية.

بلاغ من مؤسسة الأعمال الاجتماعية للتعليم فرع الحسيمة

انعقد بمقر مؤسسة الأعمال الاجتماعية للتعليم اجتماع لمكتب الفرع بتاريخ2008/08/31. وبعد تقييمه لثمانية أشهر من إعلان فتح مرفق المقتصدية وما حققه من نتائج إيجابية في النهوض بالأعمال الاجتماعية.إلا أن المتابعة اليومية لجميع العمليات التي يتطلبها هذا المرفق من طرف أعضاء المكتب لضمان حسن تدبيره واستمرار أنشطته أصبح شبه مستحيل في ظل غياب موارد بشرية كفيلة بالاضطلاع بهذه المهام. واستشعارا منا بحجم المسؤولية ،تقدم المكتب بمراسلة النائب الإقليمي للوزارة، كما قام بعدة اتصالات معه وذلك لعقد لقاء نبحث فيه آليات تطوير العمل الاجتماعي على الصعيد الإقليمي، لاسيما وأن وزارة التربية الوطنية عقدت اتفاقية شراكة مع مؤسسة الأعمال الاجتماعية. إلا أن الصمت وعدم الرد على المراسلات والدعوات المتكررة التي أطلقناها كان هو سيد الموقف.إن المكتب الإقليمي لمؤسسة الأعمال الاجتماعية وهو يعبر عن أسفه واستيائه لهذا الأسلوب الذي تنهجه النيابة الإقليمية، يعلن للرأي العام التعليمي ما يلي:

● تعليق أنشطة المقتصدية إلى حين توفير الظروف الكمينة بتحقيق استمراريتها ونجاحها.

● يحمل كامل المسؤولية للنيابة الإقليمية لما سيترتب عن تماطلها في الاستجابة لحاجيات المؤسسة الاستعجالية.

● يدعو جميع الأطراف ذات الصلة بالشأن التعليمي بالوقوف صفا واحدا للتصدي لكل المحاولات التي تسعى إلى وأد الأعمال الاجتماعية محليا.

● مكتب الفرع

هذا الغلاف

نتناول في هذا الملف موضوعا ذي أبعاد مختلفة: اجتماعية وثقافية ودينية، الشيء الذي يجعل منه موضوعا شائكا وحساسا للغاية، لهذا نلفت انتباه القارئ إلى أن هدفنا من إثارة هذا الموضوع لا يتجاوز مهمة العمل الصحفي الذي غالبا ما يسعى وراء مواكبة الحدث والتعليق عليه. ومن وجهة نظرنا، لا يمكن بأية حال القفز على هذا الحدث، المتمثل في حلول شهر رمضان، الذي يستدعي أكثر من بحث وتحقيق ودراسة على مستوى منطقتنا بالخصوص. وبناء عليه، بادرنا إلى تخصيص غلاف هذا العدد لهذا الشهر الذي ننجزه فيه بالذات، المقصود شهر رمضان ومحاولة رصد الأجواء والمتغيرات المصاحبة له، ودفع ذاكرة المواطن المحلي نحو تفكير هذا الموضوع وإنتاج قراءات مساعدة على فهم واقعنا وأحوالنا وهويتنا كذلك. نأمل بإقدامنا على التطرق لهذا الموضوع أن نكون قد ساهمنا، ولو قليلا، في تجاوز حالة الكسل التي تستبد بمعظمنا خلال هذا الشهر بالخصوص.

طقوس رمضان بالريف: بين الثابت والمتحول

رمضان: شهر الصيام والازدحام والخصام

منذ أن كنا أطفالا صغارا لا نفقه شيئا في الحياة بعد، كنا نسمع من أمهاتنا وآبائنا أن رمضان على الأبواب، الشيء الذي كان يفيد أن الحياة اليومية التي دأبنا عليها لمدة أحد عشر شهرا ستتغير رأسا على عقب، فرمضان هو شهر الصيام، أي الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لمدة ثلاثين يوما متتالية. وكنا نلاحظ أن الكبار في السن يصرون كثيرا على تعليمنا تقاليد الصيام والتعود عليه، ملقنين إيانا دروسا خاصة في فوائد هذا الصيام على المستويين: البدني والروحي، وقد أفهمنا، ونحن صبية، كيف أن الجسد حين يضعف تصعد الروح وتتوقد أكثر، ولم نكن نقدر على استيعاب مثل ذلك الكلام، ولكننا كنا نعي جيدا قيمة هذا الصيام ومكانته عند خالق العباد، فقد حفظنا عن ظهر قلب الحديث النبوي الشريف الذي يقول "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به"، ومن هنا تتبين المكانة العظمى لهذا الشهر في أفئدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. وكنا نلاحظ أيضا كيف أن هذا الشهر يستتبع طقوسا لا نعهدها في باقي الأيام، ابتداء من الزمن الذي يتغير لونه وشكله وانتهاء بالإنسان الذي تتغير سلوكاته وعاداته اليومية.

ولعل ما يهمنا أكثر في تناول هذا الموضوع هو التركيز على جانب هذه العادات والسلوكات المرتبطة بهذا الشهر/رمضان على مستوى منطقتنا بالتحديد، مع فسح المجال للمواطنين للإدلاء بدلوهم في الموضوع، بل إننا سوف نستند هنا كليا على آراء هؤلاء المواطنين في صياغة هذه المقالة. تبعا لذلك، ينبغي الإقرار أولا بصعوبة تناول هذا الموضوع بالذات، نظرا للحساسية الكبيرة التي ينطوي عليها بسبب ارتباطه بالبعد العقائدي على وجه التحديد، غير أن ذلك لا يمنعنا من القيام بتوصيف للعديد من هذه الأجواء الرمضانية والسلوكات المصاحبة لها وتوثيقها للاستفادة منها عند الحاجة.

عندما سألنا أحد المسنين، وهو في خريف عمره، عن هذا الشهر وطلبنا منه مقارنة ما يحدث الآن، بخصوص شهر رمضان، بما كان عليه الأمر في السابق، أجابنا بنوع من الحنين والحسرة البادين على ملامح وجهه: "زماننا يا بني غير زمانكم هذا، لقد أمسى كل شيء مختلف تماما، وعليكم أن تعرفوا بأن آباءكم وأجدادكم كانوا يستقبلون هذا الشهر العظيم بالكثير من الحبور والسعادة، لأنه شهر البركة والرحمة، والله فضله على كل الشهور الأخرى، فبالرغم من "قلة الشي" التي عانينا منها كثيرا، كان الناس يقنعون بأي شيء، إيمانا منهم بأن الله سيجازيهم على صبرهم وتحملهم وعبادتهم له، لذلك كنت تجدهم يقيمون الليل يتعبدون، وبالنهار يعملون ويكدون، أما الناس الآن فلا يهتمون إلا ببطونهم ويتكاسلون في عملهم". ذات النبرة التي تفيد الحنين إلى الماضي وتبجيله نقع عليها عند مواطن آخر في الستينيات من عمره، حين طلبنا منه الحديث في الموضوع، فاستجاب قائلا: " ما الذي ساقوله لكم؟، كل شيء تغير، كان الناس يهتمون كثيرا بالتقاليد الموروثة عن الأجداد فيما يتعلق بالطقوس الرمضانية، وهي تقاليد توصي كثيرا باحترام هذا الشهر بالنظر للمنزلة التي أعطاها الله لرمضان، فهو الشهر الذي "أنزل فيه القرآن هدى للناس"، لذلك كان الناس ينظرون إلى رمضان كفرصة للتوبة والرجوع إلى الطريق المستقيم، وبذلك كنا نلاحظ كيف أن الذين ابتلاهم الله مثلا بالسكر ينتهون عن هذه العادة أربعين يوما قبل حلول هذا الشهر، لأن ملائكة الرحمان لا تقبل مثل هذه العادات السيئة والآثمة. أما الآن فقد بدأت هذه الأمور تصغر في عيون الجيل الجديد، وبدأنا نلاحظ أن الحانات لا تغلق أبوابها سوى يومين أو ثلاثة قبل حلول رمضان...إضافة إلى تكاثر طاولات الميسر والمراهنة، حيث أصبحت هناك مقاهي متخصصة في لعب القمار بشكل "عاين باين"، أنا لا أقصد هنا أولائك الذين يسلون أنفسهم بقدرما أقصد القمار الذي يؤدي إلى حافة الإفلاس بالنسبة للكثير من العائلات خلال هذا الشهر الكريم".

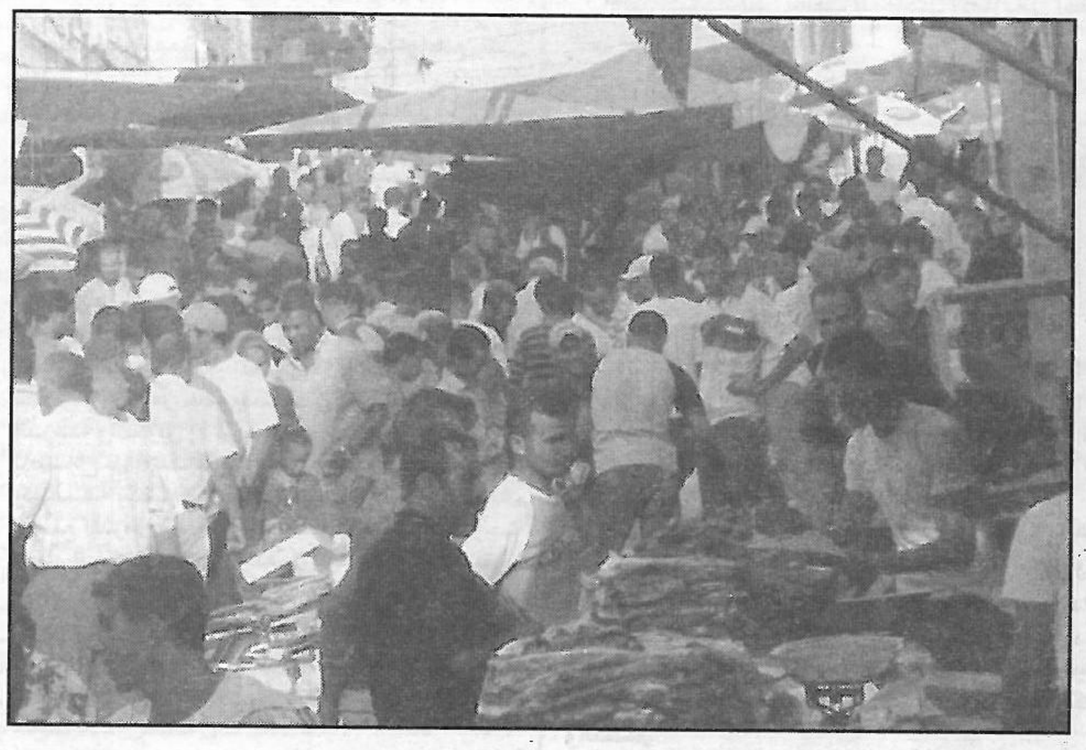

وبشكل ينطوي على الكثير من الحدة والتشدد، يقول أحد المواطنين (تجاوز العقد السادس من عمره): "رمضان في الأيام الخوالي ليس هو رمضان اليوم، كل شيء يسير نحو الهاوية، فالنساء الريفيات كن يقمن اعتبارات خاصة لهذا الشهر المبارك، بحيث يحرصن على تقاليد الإسلام الحنيف، واللواتي ابتلين بالنميمة يحاولن التخلص من هذه العادة المقيتة خلال هذا الشهر الفضيل، ويسهرن على أن تكون أجواء رمضان صافية وودودة... فما الذي نعاينه اليوم غير التبرج وإبراز مظاهر الفتنة من قبل هؤلاء، حتى أنهن لا يهتمن بشؤون البيت ويتكلن على ما هو معروض في الأسواق والمتاجر، بدون بذل أي مجهود يذكر في المطبخ أو الغسيل، لأن المسلسلات التي تكثر خلال هذا الشهر تعمي أبصارهن وتذهب عقولهن". وقد لاحظنا أثناء إعدادنا لهذا التحقيق، أن فئة الشيوخ هي الفئة الأكثر حنينا إلى الماضي والأكثر انتقادا للحاضر، بيد أن هذا الأمر لا يسري على الكل، بحيث توصلنا إلى كون المستوى التعليمي لكل فرد يلعب الدور الأكبر في تحديد وجهات نظر هذه العينات التي شملها تحقيقنا، لا سيما وأن جلوسنا إلى أحد الأساتذة (تجاوز عقده السابع) جعلنا نحتاط أكثر من الاقتناع بهذه النظرة "السلفية" التي أبانت عنها هذه الفئة لحد الآن، إذ بعد تأمله طويلا لكلامنا الذي عرضناه علية مؤكدين له انتزاعنا إياه من أفواه غالبية المسنين، بادر إلى التعقيب، قائلا: "من وجهة نظري المتواضعة، فما أفدتني به ينطوي على الكثير من المبالغة، وضعف بين في استيعاب الواقع المتجدد باستمرار، صحيح أن أبناء المنطقة كانت لديهم عادات وتقاليد معينة خاصة بهذا الشهر الفضيل، وربما يكون لها بعد مهم ومعنى من الناحية الثقافية، ووهي عادات أصبحت اليوم شبه منقرضة، إلا أن مثل هذا الأمر ليس بذي أهمية كبيرة بالنسبة إلي، إذ لا ينبغي أن نسقط واقع الماضي على واقع اليوم، فمجتمعنا اليوم أصبح غير مجتمع الماضي، مجتمعنا اليوم جزء لا يتجزأ من القيم الكونية العالمية شئنا أم أبينا، لذلك فانا لا أجد غضاضة في القول مثلا، من الناحية الاقتصادية، بأن مجتمع الأمس كان مجتمعا معوزا تخترقه الأزمة و"قلة الشي" في كافة المجالات، أما اليوم فهناك الوفرة في كل شيء، وهذا التغيير ليس بالأمر السهل... ومن الناحية الأخلاقية، فلا يمكن أن ينكر أحد بأن الخصومات والنزاعات تكثر في هذا الشهر بشكل مثير لكنه مفهوم على كل حال، لأن ثمة فرقا شاسعا بين الواقع والمثال. أما من الناحية الدينية وممارسة الشعائر الإسلامية فلا ينبغي أن نغفل عن الصحوة الإسلامية المشهودة لدى الكثير من شباب اليوم، وهي ظاهرة لم تكن معتادة في السابق.. فالصلاة مثلا، كما لا زلت أتذكر، كانت حكرا على الآباء والكبار في السن، فلننظر اليوم إلى مساجدنا لنتأكد من هذا التحول المهم، ثم هل كانت النساء يقصدن المساجد كما هو عليه الأمر حاليا؟". مثل هذا الكلام التقطناه من أستاذة تجاوزت الأربعين من عمرها، حين أكدت لنا: "قد يشدنا الحنين كثيرا إلى الماضي فيما يرتبط ببعض سلوكات الحشمة عند النساء بصورة عامة، لكن هذا لا يعني مطلقا أن النساء كن أفضل مما هن عليه الآن، أغلبية النساء في الماضي كن أميات لا يبرحن منازلهن، أما اليوم فقد تقلدن مناصب مهمة ويساهمن بدور فعال في الحياة الإنسانية، هذا بالرغم من كون هذه الحرية المعطاة للنساء لم تستغل دائما بالكيفية المطلوبة، لكن مع ذلك تبدو الأمور الآن أحسن من السابق بكثير".

هذا النوع من التحليل أو الفهم، نلمسه بشكل أقوى لدى الفئات العمرية غير المتجاوزة لعقدها الرابع، إذ يقول أحدهم: "طبيعي جدا أن يكون رمضان الأمس ليس هو رمضان اليوم، تبعا للتحولات التي يعرفها العالم برمته، وأنا لا أشاطر رأي أولئك الذين يمجدون الماضي ويبخسون الحاضر، فلكل زمان أناسه، صحيح أننا كبرنا كأطفال ونحن نعاين مظاهر معينة تصاحب هذا الشهر بالخصوص، كطلقات المدفع، وإطلاق العنان للطبل والغيطة ابتهاجا بحلول موعد الصيام... واليوم اختفت هذه المظاهر، لكن ما تزال هناك تقاليد من قبيل "أمنسي ن رمضان" وقيام ليلة القدر وغيرها سارية المفعول إلى اليوم. أما بالنسبة لسلوكات الناس، فيبدو لي شخصيا أن ثمة وعيا أفضل اليوم، لأن المشاجرات والنزاعات قلت إلى حد كبير، ففي الماضي كنت أقصد سوق الثلاثاء خصيصا للتفرج على الخصومات المفتعلة والتي كانت تودي بالبعض إلى السجن حول أمور جد تافهة، واليوم لا حظت أن مثل هذه الأمور خفت بشكل واضح، وإذا صح القول فالخصومات الحالية أضحت معقلنة جدا بالمقارنة مع الماضي". وفي ذات الاتجاه، أفادنا مواطن، في عقده الرابع، بأن "أجواء رمضان اليوم غدت أفضل بكثير مما كان عليه الأمر سابقا، خاصة فيما يرتبط بحرية الإنسان، تصور معي أن الناس بالأمس القريب لم يكونوا أحرارا في الجلوس بالمقاهي إلى ساعات متأخرة من الليل، حتى أن البقاء في المقهى يومئذ كان يعني بالضرورة قضاء بقية الليلة بالكوميسارية، فالحملات التمشيطية (لاراف) للمخزن لم تتوقف يوما، بحيث كان هناك قمع غير مبرر، أما اليوم فأصبح الناس يشعرون بحرية أكبر، أنظر إلى النساء يركضن على "الكورنيش"، فهل كان هذا متاحا من قبل؟ لم يكن بوسع النساء أن يبرحن منازلهن مطلقا".

من هنا يتبين لنا كيف أن هذه الفئة العمرية الشابة مختلفة إلى حد كبير في تقييمها ونظرتها للموضوع المبحوث. أما محاورتنا للفئات العمرية الأكثر شبابا، فأبانت لنا عن تحليلات مختلفة للموضوع تصل حد التناقض، فهذا أحد الشبان الذي لم يكمل عقده الثاني بعد، يصرح لنا: " يحكي لنا الآباء والأجداد أنهم كانوا مسلمين حقيقيين، يخصصون هذا الشهر المبارك للتوبة إلى الله وطلبهم للمغفرة، أما الناس اليوم فلا يأبهون سوى لبطونهم، أنظر إليهم كيف يتزاحمون في الأسواق والمتاجر، أنظر إلى الكلام البذيء الذي يصدر عنهم بأصوات جهورة لا تستحيي من أحد...وصراحة، فقد تغيرت قيمنا كثيرا وصرنا عبدة للماديات وأغفلنا جانب الإيمان الذي يحث عليه ديننا". وغير بعيد عن هذا الموقف، صادفنا أحد الشبان (في العشرين من عمره) الذي عبر لنا عما يلي: " في نظري أن الناس في مجتمعنا لا يصومون بالمعنى الحقيقي للكلمة، وإنما هم يسايرون فقط، لأن الصيام يتطلب شروطا كثيرة، وهي شروط مغيبة عندنا فيما نعاينه يوميا من سلوكات، فبدل التقرب إلى الله، تجد الناس متحلقين حول طاولات "الكارطة" و"البارشي" "والدومينو" و"الكرطون" وغيرها...وهي كلها أمور محظورة دينيا".

وفي اتجاه مغاير تماما، أفادنا أحد الشبان (تجاوز العشرين قليلا) بكون: "الناس يحنون دائما إلى الماضي، ولكن إذا فكرنا فيما وصل إليه المجتمع اليوم ومقارنته بما كان عليه الأمر في السابق، فإننا سنجد أشياء كثيرة أصبحت في متناولنا اليوم، بينما كانت في الماضي من الأحلام وسابع المستحيلات، مثل الأنترنيت والتلفزيون وما يقدمانه من خدمات...وهذه الوسائل الجديدة مكنت من تطوير الوعي لدى شريحة عريضة من الناس، حتى فيما يتعلق بفهمنا للأمور الدينية..وهذه أشياء لا يجب أن تقابل من طرفنا بالجحود والنكران، وإذن فالمستوى المعرفي للناس اليوم أصبح أفضل بكثير". أما الطالب الموجز "م.ب" (27 سنة)، فيلاحظ من جانبه، أن "اهتمامات الناس اليوم صارت مختلفة ومتباعدة جدا، وبحسب ما أتذكره في السنوات المنصرمة، كان هناك نوع من الوعي الموحد لدى أبناء المدينة، حيث تتوزع أوقاتهم بين الرياضة ولعبة كرة القدم بشكل خاص، وبين الاهتمام الثقافي والسياسي، بحيث كان حلول شهر رمضان يعني تكثيف العروض والأنشطة الثقافية والإشعاعية ذات الفائدة الكبيرة، بينما لاحظنا في السنوات الأخيرة تملصا واضحا من هذا التقليد، وإذا نظرنا إلى الكم الهائل للجمعيات اليوم نستغرب جدا لما تقدمه من إشعاع في هذا الإطار، فلست أدري الأسباب الحقيقية الواقفة وراء هذا الخفوت الثقافي غير المبرر طبعا". ومن جهته، يؤكد أحد الشبان (في الخامسة والعشرين من عمره): "يبدو لي أن العقليات مختلفة جدا ما بين الآباء والأبناء، فإذا كان الآباء يوصون أبناءهم يوما ويحثونهم على التحلي بالأخلاق الفاضلة، فإن جيل اليوم لا أجده وفيا لهذه الوصايا، فنحن نبيح لأنفسنا الكثير من الأمور المحظورة أخلاقيا ودينيا ولا نجد في ذلك مشكلا، من قبيل مطاردة الفتيات، بشتى الأشكال، وتعاطي المخدرات، وإهمال تام للمسائل الفكرية والثقافية والفنية، إذ ثمة نوع من اليأس من كل شيء في صفوف الشباب، لذلك فرمضان ليس سوى أيام معدودات ويمضي لحال سبيله كما هو مظنون به".

الحقيقة أننا لم نتمكن من إدراج كافة الآراء التي توصلنا إليها خلال محاورتنا للعديد من المواطنين من مختلف الأعمار حول موضوع "طقوس شهر رمضان بالريف: بين الثابت والمتحول"، لأن التجرؤ أو محاولة الإقرار بذلك يعد وهما إن لم يكن كذبا بينا، لكن مع ذلك لا بد من التأكيد على أننا حاولنا توخي الكثير من الموضوعية في إدراج نوعية الآراء لدى مواطني مجتمعنا الصغير؛ بحيث لاحظ القارئ، من دون شك، منحنا الفرصة للتعبير بالنسبة لمختلف الفئات العمرية، وكذا إبراز تنوع الآراء واختلافها، علما أن نيتنا، في التطرق لهذا الموضوع، لم تكن مرهونة بأحكام مسبقة تروم توقعا كيفما كان شكله أو لونه، بل العمل الذي أنجزناه في الميدان هو الذي أفضى بنا إلى تناول الموضوع بالصيغة التي حررناه بها.

● سعيد الغزواني

شهر رمضان: مناسبة للإنفاق المفرط وغير المبرر وفرصة سانحة ل "لوبيات التهريب" لإغراق الأسواق المحلية بمواد استهلاكية فاسدة

" أماكن ووسائل الاستهلاك قوى غاشمة تحاول السيطرة على حياتنا، تفكر بدلا عنا بما يخدم مصلحتها، تهدد العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان" (جورج ريتزر)

لقد تحولت العديد من المناسبات الدينية من بعدها الديني والروحي إلى مناسبات تستعرض فيها البلدان الإسلامية عاداتها في الاستهلاك والإنفاق غير المبرر لدرجة أصبحت فيه بعض هذه المناسبات كرمضان وعيد الأضحى مجرد مواسم للإطعام وتحضير ما لذ وطاب من الطعام، في تغييب واضح لكل التعاليم والأعراف الدينية التي تتناول هذا الموضوع على أساس أنه الجانب الثانوي في حياة المسلم، وأن المسلم مطالب بمراعاة العديد من الشروط والقواعد الاستهلاكية في مأكله ومشربه وإحيائه لمثل هذه المناسبات.

ويرى بعض الاقتصاديين أن ما تعرفه الأسواق والمتاجر خلال هذه المناسبات من حركة تجارية كبيرة وارتفاع في الأسعار نتيجة الإقبال المتزايد للمستهلكين عليها لدليل قوي على

الاكتساح القوي لثقافة الاستهلاك، رغم الاختلال الواضح في الأسس المؤسسة لمثل هذه الثقافة، حيث العملية الاستهلاكية مرتبطة في الأصل بالدخل الفردي الذي ينقسم إلى استهلاك وادخار، حيث جرت العادة- وعلى عكس ما نلاحظه في مجتمعاتنا المتخلفة- أن يكون الاستهلاك متوازنا نوعا ما مع الادخار لفترات تكون أكثر ملحاحية على الاستهلاك.

ويقول عضو بالمجلس العلمي للحسيمة "إن الشريعة الإسلامية تضمنت العديد من القواعد التي تضبط مجال النفقات والاستهلاك بصفة عامة. وهي قواعد يجب أن يلتزم بها الفرد المسلم سواء في رمضان أو غير رمضان، غير أنه نلاحظ للأسف الشديد أن أغلبية الناس يخالفون القواعد الإسلامية في مجال الإنفاق والاستهلاك في رمضان وباقي المناسبات الدينية الشيء الذي تنتج عنه العديد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية .... فنجد الكثير من الناس في هذه المناسبات يعمدون إلى الإسراف والتبذير بغير وجه حق".

غير أنه هناك من يرى أن هذا الاستهلاك يشكل فرصة للعديد من أصحاب المهن الموسمية لعرض المنتوجات التي يكثر عليها الإقبال في هذه المناسبات، والمتعلقة أساسا ببيع المواد الغذائية وبعض المأكولات والحلويات، حيث تتحول أسواق كل المناطق المغربية إلى طوابير من العربات المجرورة التي يحاول أصحابها - من المعطلين أو من ممارسي المهن التي تعرف كسادا خلال هذه الفترة- ممارسة العمل التجاري للحصول على بعض المداخيل بفعل الرواج الذي يزداد خلال هذه المناسبات.

الحسيمة بدورها تعرف بمناسبة شهر رمضان ارتفاعا في الرواج التجاري حيث تشهد أسواقها القروية والحضرية نوعا من الإقبال المتزايد من طرف المواطنين، فتتنوع المنتوجات المعروضة للبيع، والتي تختلف مصادرها في الإنتاج والاستيراد، بل و أحيانا كثيرة عرض سلع تنعدم فيها البيانات والمعلومات التي تخص المكونات والمصدر، الشيء الذي يترك صحة المواطنين عرضة للتلاعب خاصة في غياب أدنى شروط العرض أو حملات المراقبة اليومية، خاصة وأنه يتم عرض مواد مهربة من مدينة مليلية أو الجزائر.

فقد أصبحت أغلب الأسواق والمتاجر بالإقليم تعرف بمناسبة شهر رمضان المبارك انتشار العديد من المواد الغذائية المهربة، والتي يتم جلبها من مدينة مليلية السليبة بشكل مكثف خلال هذه المناسبة من طرف المهربين ليقوموا بعرضها للبيع على أصحاب المحلات التجارية والعربات المجرورة بالأسواق، بل أصبحت أيضا الكثير من المتاجر الكبيرة التي تصنف نفسها ضمن الأسواق الممتازة - وفي غياب أية مراقبة- تعرض مثل هذه السلع التي تفتقد إلى الكثير من عناصر الجودة والسلامة الصحية.

أكد بعض التجار بالسوق اليومي بمدينة الحسيمة أنه بفعل نوعية الاستهلاك في شهر رمضان، فإنه يشكل الحليب، عصير الفواكه، الأجبان، الخضر المعلبة، الفواكه والمورتديلا... أكثر السلع المهربة التي تغزو مختلف أسواق الإقليم بأثمان تنافس المنتوجات المغربية، الشيء الذي يجعل الزبناء يقبلون عليها بشكل كبير رغم معرفتهم المسبقة بانتفاء عنصر الجودة في هذه المواد، خاصة في ظل الارتفاع المهول في أسعار المنتوجات المغربية، كالفواكه الطرية التي تدخل في تحضير العصير.

وأصبح العديد من تجار المواد المغربية يعانون خلال هذا الشهر الكريم نوعا من الكساد بفعل إقبال المواطنين على المنتوجات المهربة والتي يتم عرضها في الكثير من الأماكن التي أعدها أصحابها لهذا الغرض، الشيء الذي يطالب معه هؤلاء التجار بضرورة تحرك السلطات العمومية والجهات المسؤولة عن هذا القطاع لمحاربة التجارة غير المهيكلة والباعة المتجولين الذين يسببون حسب قولهم الكثير من الخسارة المالية لقطاع التجارة المنظم، وبالتالي يساهمون في تحطيم الاقتصاد الوطني عبر التهريب.

وطالب المواطنون من الجهات الرسمية المكلفة بعمليات زجر الغش والسلطات المحلية بضرورة تكثيف المراقبة على محلات بيع المواد الغذائية، خاصة وأن الكثير من المتاجر والأسواق تعرض سلع فاسدة رغم عدم انتهاء تاريخ صلاحيتها، الشيء الذي يعني أن تاريخ الصلاحية مزور، أو أن شروط التخزين والعرض لا تستجب للمعايير المطلوبة من غير أن يتم توقيف وفرض عقوبات على هذه المتاجر التي لا يتوانى أصحابها الاتجار في صحة المواطنين واستغلال الإقبال المكثف على هذه المواد.

وأشارت بعض المصادر التجارية إلى أن الكثير من هذه المواد يتم جلبها فاسدة من مدينة مليلية وأنه هناك لوبيات إسبانية ومغربية تعمل على إغراق السوق المغربية وتخريب الاقتصاد المحلي - خاصة بمناطق الشمال المغربي- بمثل هذه المنتوجات التي يكون تاريخ صلاحيتها قد انتهى منذ مدة، أو أن بعض المكونات التي تدخل في تركيبة إنتاجها لا يسمح بتوزيعها واستهلاكها في الأسواق الاسبانية بسبب المراقبة والشروط الصحية التي يفرض على المنتجين

والتجار ضرورة مراعاتها.

وحذرت مصادر طبية من استعمال هذه المواد التي غالبا ما تجلب من مدينة مليلية وتخزن في ظروف لا تستجيب لأية معايير صحية، بل الكثير من هذه المواد يفتقد إلى بيانات مرجعية تخص المصدر المنتج والمستورد وتاريخ الصلاحية، كما أن عرضها تحت أشعة الشمس يجعلها تتعرض للفساد بسرعة، الشيء الذي قد يهدد صحة المستهلك وحياته إن لم ينتبه إلى جودة المواد المستهلكة ومدى صلاحيتها خاصة في ظل غياب المراقبة الرسمية التي يكون عملها موسميا فقط..

يرى الكثير من المواطنين أنه رغم الانعكاس السلبي لتجارة هذه المواد على الاقتصاد المحلي ، فإنه في ظل انتشار البطالة تبقى المنقذ الوحيد إلى جانب الهجرة السرية لشباب المنطقة الذي يعمد إلى الاتجار في هذه المواد في بعض المناسبات التي تكثر فيها الحركة التجارية، كشهر رمضان الذي يعرف إقبال المستهلكين على مثل هذه المنتوجات المهربة بسبب غلاء أسعار مثيلاتها المغربية، خاصة وأن رمضان هذه السنة جاء مباشرة بعد فصل الصيف وتزامن مع الدخول المدرسي.

فبيع هذه المواد تشكل فرص كبيرة "للتشغيل الذاتي" حيث يلتجئ إليها العديد من المعطلين وفاقدي الشغل للمتاجرة فيها بهدف الحصول على المال، ويقول أحد ممتهني هذه التجارة في تصريح سخري من البرامج الحكومية في التشغيل "بالفعل نعرف أن التهريب يقوم بتحطيم الاقتصاد الوطني، ولكن ما يجب أن يعلمه المسؤولون أيضا أن الكثير من الشباب تم تحطيم مستقبلهم بفعل السياسة التعليمية والتشغيلية، بل نقول أن الاقتصاد الوطني تم تحطيمه حينما فقد المغرب أهم واجهة على البحر الأبيض المتوسط".

ويرى بعض التجار أن الدخول المدرسي وغلاء الأسعار شكلا بعضا من الأسباب التي أضعفت الإقبال الكبير الذي كانت تشهده أسواق الإقليم في شهر رمضان خلال السنوات الماضية، خاصة وأن أثمنة المواد الغذائية التي تعرف استهلاكا واسعا تضاعفت بشكل كبير خلال الأسبوع الأول من رمضان، من قبيل الفواكه الجافة التي تدخل في إعداد حلويات رمضان، الأسماك، اللحوم البيضاء، الفواكه الطرية..... الشيء الذي جعل أغلب الأسر لا تستطيع مسايرة هذا الإيقاع.

فثمن الجوز أصبح يتراوح ما بين 90 و110 درهما للكيلوغرام أي بزيادة حوالي 21% بالمقارنة مع الثلاثة الشهور الأخيرة، فيما وصل ثمن اللوز90 درهما، أما متوسط أثمنة التمور

فقد بلغ 35 درهما للكيلوغرام فيما رمضان السنة الماضية كان لا يتجاوز 25 درهما، وقد عرفت كذلك أثمنة الأسماك ارتفاعا مهولا حيث وصل معدل ثمن الميرلا والكلامار والصول 100 درهما للكيلوغرام، أما السردين والشرل فأثمنته تتراوح ما بين 20 و 25 درهما، والأنشوبة لا يقل ثمنها عن 50 درهما للكيلو.

وحسب الكثير من المهتمين بمجال الصيد البحري فإن ارتفاع أثمنة الأسماك راجع بالأساس إلى المضاربات والاحتكار الذي تتعرض له الثروة السمكية من طرف مجموعة قليلة من اللوبيات التي تستغل غياب أجهزة المراقبة وزجر الغش لتراكم الأموال على حساب الطاقة الشرائية الضعيفة للمواطن، حيث تعمد هذه اللوبيات على مرأى ومسمع الجهات الوصية إلى التلاعب في التصريح بالكميات المصطادة وبيع الكثير منها خارج السمسرة العمومية الشيء الذي يتم تحريم الصيادين ومجموعة من المؤسسات العمو مية من مداخيل مهمة.

وارتباطا بارتفاع الأسعار يوضح أحد الخبراء في مجال التسويق أن ارتفاع الأسعار في شهر رمضان ليس من ورائه دائما عوامل اقتصادية المرتبطة بالعرض والطلب، وإنما تقف وراءه في الغالب العديد من العوامل النفسية التي يغذيها الجوع والخوف من عدم توفر الغذاء والطعام الكافي، زيادة على أن التسوق يتم في وقت محدد وقصير نوعا ما مقارنة مع الأيام العادية، إنه ببساطة ناتج عن العادات السيئة للاستهلاك، وهي العادات التي نرى أنها تتكاثر يوما بعد أخر ويتحمل في ذلك الإعلام القسط الوافر من المسؤولية.

ويرى العديد من المستهلكين أن ارتفاع هذه الأثمان راجع إلى المضاربات والاحتكار الذي تمارسه بعض اللوبيات في القطاع التجاري بالإقليم، وكذلك بسبب غياب المراقبة وعمليات زجر الغش، وليس بسبب الندرة في العرض أو مصاريف النقل التي أصبح يدعي بعض التجار وممونو الإقليم بأنها السبب في ارتفاع الأثمنة، وهو ما يمكن تفنيده بعملية حسابية بسيطة خاصة إذا علمنا أن تكاليف النقل إلى أقصى نقطة بيع في المغرب لا يمكن أن تتجاوز0.50 درهما للكيلوغرام الواحد.

وطالب هؤلاء المستهلكين الجهات الرسمية بضرورة تطبيق قانون المنافسة وحرية الأسعار الذي يفرض على الأقل إشهار الأثمنة وإعلانها للعموم، وهو الأمر الذي تفتقد إليه الكثير من المحلات التجارية والأسواق اليومية بالإقليم، الشيء الذي يبقى معه المستهلك، وخاصة ذو القدرة الشرائية الضعيفة عرضة لمختلف أنواع المضاربات والزيادة غير المعقولة في أثمنة المواد الغذائية الأساسية بمبرر أن معظم المواد التي تعرض في الأسواق المحلية تخضع لنظام التجارة الحرة التي لا تعرف تحديدا رسميا للأثمنة.

● السكناوي الغلبزوري

اختلاف الطقوس الرمضانية بالريف :

بين الماضي والحاضر.. بين البادية والمدينة

لأبناء الريف وساكنة منطقة الحسيمة على الخصوص في هذا الشهر الفضيل العديد من العادات والتقاليد التي تختلف باختلاف مناطق الإقليم وحسب الثقافات السائدة به، فمنها التي حافظوا عليها ولازالت متداولة إلى يومنا هذا، ومنها التي اندثرت ولم يبق لها وجود.

وأنا باعتباري من أبناء هذا الجيل وحسب ما كان يحكيه لي والدي - رحمه الله - وما يحكيه لنا أناس تلك الفترة من الزمن والذين لازالوا على قيد الحياة، فإنه طوال عقود القرن الماضي وإلى حدود أواخر السبعينيات كان من عادات أبناء الحسيمة خصوصا على مستوى القرى والبوادي أن يترقبوا هلال رمضان أياما قبل حلوله، وبمجرد ظهوره تطلق النسوة زغاريد الفرحة والترحاب وتنطلق ألسنة الناس بتبادل الأدعية والتهاني والتبريكات فيما بينهم سرورا وبهجة بقدوم الضيف الكريم الذي يغير حياتهم تغييرا كليا؛ أما في المدينة فكان "الغياطة" يملأون أرجاءها وقت المغرب، كما كان النفار أو المسحراتي يطوف بين البيوت قارعا طبلته وقت السحور مما كان يضفي على هذا الوقت طعما مميزا ومحببا لدى النفوس بالمدينة. كما كان رمضان فرصة عظيمة للتقارب والصلة بين الأرحام بعد الفراق والانقطاع والجفاء، فلا عجب أن ترى المحبة ومباهج الفرح والحبور تعلو وجوه الناس وتغير من تقاسيمها وتعابيرها بعد أن أثقلتها هموم الحياة. ومن التقاليد التي دأب عليها أبناء الريف أيضا إلى حدود منتصف ثمانينيات القرن الماضي، ولم تعد سارية في وقتنا الحالي سوى ببعض الأرياف والمداشر النائية، الاحتفال بمرور نصف شهر رمضان، وذلك بذبح ديك بلدي أو خروف حسب الإمكانيات ليلة الخامس عشر من شهر رمضان تعبيرا عن النجاح في صيام نصف رمضان بصحة جيدة متمنين استكماله بمزيد من الأجر والثواب والصحة والعافية، وكان منهم من يقتسم الذبيحة في إطار ما يسمى "الوزيعة" ويكون عشاء الليلة أطباقا من الكسكس المصنوع بأيادي ربات البيوت؛ كما كانت العشر الأواخر من رمضان لم تمر دون أن ينتبه أهل الريف إلى تفعيل أحد الطقوس الرمضانية المتمثلة في اقتناء كمية من البخور لـ "تبخير" المنزل ومختلف غرفه خاصة في ليلة القدر، بالإضافة إلى هذا تحضر أطباق الكسكس وتدعى إليه عند العشاء أفراد العائلة، ومنهم من يبعث بأطباق وقصع إلى المساجد حيث يبيت المصلون الراكعون الساجدون الليلة إلى غاية إكمال تلاوة القرآن بكامله، وكانت الأسر تجتهد حسب إمكانياتها المادية وتتنافس فيما بينها لتحضير مختلف أنواع الأطباق وذبح الخرفان ليبعثوها إلى المساجد في تلك الليلة المباركة - ليلة ختم القرآن - والتي كانت بمثابة عيد حقيقي لهم .أما في وقتنا الحاضر، وإن كانت بعض من تلك الطقوس والعادات قد اندثرت ورغم افتتان أبناء هذا العصر بمظاهر التحضر والتقدم العلمي والتكنولوجي من فضائيات وإنترنيت... والتي لم يكن لها وجود لدى الأجيال السابقة التي كانت حياتهم تعتمد على البساطة في كل شيء، فإن العديد من الأسر الريفية لازالت تحافظ على بعض من تلك التقاليد التي ورثتها عن الآباء والأجداد، وخاصة الأسر القاطنة بالبوادي وذات الطابع المحافظ ..

أما على مستوى الحواضر، فالشيء الذي يستوقفنا أكثر هو ذاك التواجد الرمضاني الكثيف داخل المساجد، حيث تمتلئ بالمصلين لاسيما صلاة التراويح وصلاة الجمعة، إلى حد تكتظ الشوارع والأزقة القريبة من المساجد بصفوف المصلين. أما ليالي رمضان في الحسيمة تتحول إلى نهار، فبعد أداء صلاتي العشاء والتراويح يسارع الناس إلى الاجتماع داخل البيوت والالتقاء لتبادل أطراف الحديث، وتمتلئ المقاهي إلى ساعة متأخرة من الليل في غياب أنشطة ثقافية وفنية، والتي تعد لزبنائها طاولات خاصة بلعب الورق و"الدومينو"... وهناك بعض آخر يستقبل نخبا أخرى تفضل الجلوس خارج المقهى للحديث والمناقشة هروبا من سحب السجائر المشتعلة الواحدة تلو الأخرى، ولم يقتصر هذا على المدن والمراكز الحضرية فحسب، بل امتد ليشمل حتى البوادي والقرى النائية، التي تشهد مقاهيها ومتاجرها رغم قلتها نفس الإقبال والحيوية، أما النساء فيزرن بعضهن البعض ويلتقين بأحد البيوت للحديث بعد أن يكن قد هيأن وجبات السحور إن لم يكن قد قمن بها في العشية، فيما يلتجئن نسوة القرى للنوم باكرا من أجل القيام وقت السحور - والذي عادة ما يؤخرونه أناس البوادي حتى آخر ساعة قبل آذان الفجر، عكس أناس المدن الذين يتسحرون باكرا - والإستعداد ليوم آخر حافل بالأتعاب والأعمال الشاقة التي تقوم بها نساء البادية .

وتتحول المائدة الرمضانية بالحسيمة من عادية إلى أخرى خاصة وتشتمل على ما تشتهيه الأنفس، وتتميز المائدة الريفية التي تبدأ في تحضيرها ربة البيت بعد عصر كل يوم بكونها تتوفر على جميع الأطباق بدءا بسلطانيات (زلايف) من الحريرة الريفية اللزجة شديدة التوابل التي تمهر السيدة الريفية في تحضيرها وغالبا ما تستعمل فيها مستحضرات من صنعها كمصبرات الطماطم أو قليلا من السمن المملح، إلى جانبها هناك أطباق من الوجبات الغذائية الدسمة من أسماك ولحم بالإضافة إلى فناجين قهوة وكؤوس حليب أو إبريق شاي منعنع وتمور مصحوبة بجميع أنواع الحلوى المصنوعة بالبيت أو خارجه مرفوقة بأنواع من الفطائر والعصائر المختلفة...، وما إن ينتهي المؤذن من آذان المغرب حتى تنقض الأيدي على الأطباق المعروضة وتلتهم محتوياتها دون أن تأتي في غالب الأحيان على آخرها، وتعودت أغلب الأسر الريفية في الآونة الأخيرة أن تتناول فطورها أمام شاشة التلفزيون لتتبع البرامج والمسلسلات والسيتكومات، ولا يقوم أفرادها إلا عند اقتراب صلاة العشاء بالنسبة للمصلين القاصدين المساجد أو المرتادين المقاهي بالنسبة لغيرهم والكل ضرب موعدا هناك بعد انتهاء صلاة التراويح .

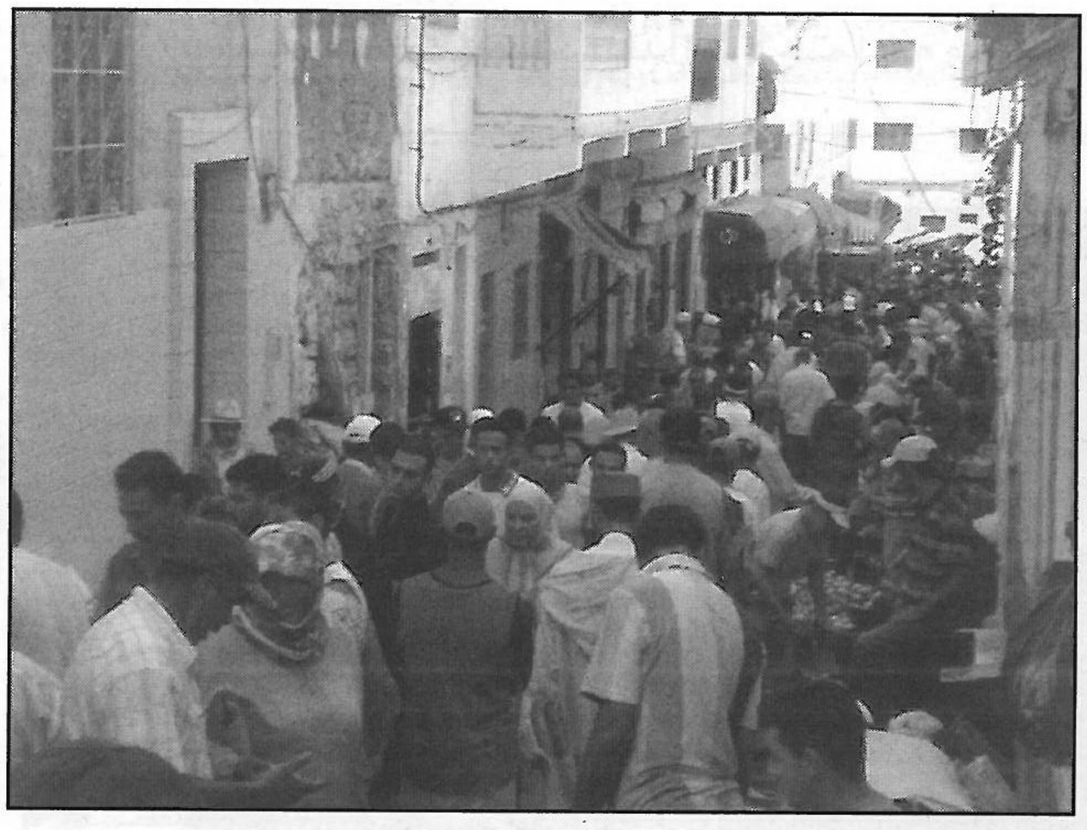

أما فيما يخص أصحاب المحلات التجارية والمخازن وبعض السناكات فإنهم يستعدون أياما قبل حلول شهر رمضان لاستبدال التجارة التي ألفوا ممارستها ويشرعون في تهيئ المكان وإقامة المباسط وطاولات العرض وتزيين الواجهات وتجنيد العمال والعاملات لمدة معينة تفوق الشهر لضمان سير العمل واستمراريته، حيث تبدأ رائحة الحلوى المعسلة من "شباكية" و "بريوات" و "مقروط" و "غريبية" و "سلو" ... ، ويستعد عادة المواطن الريفي لاستقبال شهر رمضان الأبرك بمختلف أرجاء إقليم الحسيمة بطقوسه وصلواته، بتقاليده وعاداته، بفطوره وسحوره، بلياليه وسهراته، بأكله وشرابه وبفرحته ومصاريفه، حيث الاستهلاك المفرط للحلويات والتمور والحليب ومشتقاته والبيض وأنواع العصائر والفطائر واللحوم الحمراء والبيضاء والأسماك بالإضافة إلى طناجر الحريرة الريفية عروس المائدة الرمضانية المغربية.وبعد صلاة الفجر يبقى بعض الناس في المساجد يقرأون القرآن وتلاوة الأذكار الصباحية، بينما يختار البعض الآخر الرجوع للنوم بعد طول السهر والتعب، وعامة الناس بالبادية تتوجه إلى العمل. الفترة ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر تشهد فتورا ملحوظا وملموسا، حيث تخلو الشوارع من المارة والباعة على السواء، لكن سرعان ما تدب الحياة في تلك الشوارع وينشط الناس بعد دخول وقت العصر - خصوصا في الأسواق - لشراء المستلزمات الخاصة بالإفطار من حلويات وفواكه وغيرها من المواد التموينية المهمة مما يسبب زحاما شديدا واختناقا في المحلات التجارية وعند الباعة المتجولين في مختلف أرجاء المدينة

وقد جمعتني الصدفة مؤخرا في يوم رمضاني بمدينة الفنيدق بشخص مسن تجاوز عقده السابع بقليل ويدعى علال، ينحدر من إحدى الدواوير المجاورة لمدينة الحسيمة، وقد استقر (بالفنيدق) مع ابنه الذي يملك محلا تجاريا هناك منذ حوالي عشر سنوات، وفي حديثه معي حول الطقوس والعادات الرمضانية بالريف خلال العقود الماضية يقول : "منذ حلولي هنا بالفنيدق سنة 1998 لم أقض شهر رمضان بالريف بعد ذلك الحين سوى سنة واحدة وكان ذلك عام 2005 لقد تغيرت الحياة وتغيرت معها كليا تلك العادات الرمضانية الجميلة التي ألفناها أيام طفولتنا وشبابنا، فمعظم جيل اليوم لم يرع تلك التقاليد الجميلة والتي تعتبر تراثا يحق لأبناء الريف الافتخار بها وبالتالي فحري بأبناء وشباب اليوم إحياؤها وصونها، فأنا لازلت أتذكر جيدا تلك الأيام والليالي الرمضانية الرائعة التي كنا نعيشها في عقود الأربعينات والخمسينات وحتى الستينات والسبعينات من القرن الماضي، فنحن باعتبارنا من أهل البادية، كان الرجال بعد استيقاظهم في الصباح الباكر يتوجهون إلى قضاء حاجياتهم وأغراضهم إلى حدود وقت الظهيرة حيث يتوجهون إلى المساجد لأداء صلاة الظهر ويمكثون هناك منشغلين بالذكر وتلاوة القرآن إلى حين أداء صلاة العصر ليعودوا بعدها إلى منازلهم حيث كانوا يشاركون إلى جانب النساء في تحضير وجبتي الفطور والعشاء وإعداد المائدة الرمضانية التي كانت تحتوي على كل ما تشتهيه الأنفس، حيث كانت الأسر تجتمع حولها في جو يسوده المحبة والفرح والابتهاج، إثر ذلك يعود الكل إلى المساجد قصد أداء صلاة العشاء والتراويح، أما النساء فقد كن يبتن طوال الليل في تحضير الخبز ومختلف أنواع الفطائر ذات الطابع الريفي والمذاق المتميز، هذا بالإضافة إلى روح التآزر والتكافل الذي كان سائدا آنذاك بين مختلف شرائح المجتمع طيلة هذا الشهر الكريم خصوصا بين العائلات والجيران والمعارف خصوصا وأن المجتمع الريفي معروف بشيم الكرم والسخاء منذ القدم (...) إذ كانت الأسر تتنافس فيما بينها كل حسب استطاعته - في إرسال مختلف أصناف الأطباق والمأكولات إلى المساجد كل ليلة ومد يد العون والمساعدة للفقراء والمحتاجين؛ بالإضافة إلى الطقوس الرائعة والمتميزة التي كنا نخص بها ليلة القدر وصبيحة العيد. أما اليوم فقد اختفى كل شيء تقريبا، فمع بروز وتنامي ظاهرة التقدم العلمي والتكنولوجي و... و... وارتفاع تكاليف المعيشة بشكل مهول، أضحى معه هذا الشهر الكريم فرصة للسهر وتبادل الحديث فيما لا يفيد وملء المقاهي ليلا خاصة من طرف الشباب الذين يستهويهم اللعب فيما أصبح يشكل عبئا إضافيا يثقل كاهل الأسر خاصة المعوزة منها لما يتميز به من ارتفاع فجائي للأسعار وكثرة المصاريف والاستهلاكات الكمالية، وكأنه شهر خلق للأكل والسهر والصرف على النزوات وليس للعبادة وفعل الخير والتقرب إلى الله، وما يحز في نفسي أكثر هو أنني أرى أن أبناء منطقة تداوين وطنجة لازالوا يحافظون على الكثير من تقاليدهم الرمضانية العريقة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم إلى يومنا هذا، في الوقت الذي تخلينا فيه نحن أبناء الريف عن عادات وطقوس أسلافنا وانسلاخنا عن هويتنا الحقيقية المتميزة، وضيعنا كل شيء . (وقد اغرورقت عيناه بالدموع) ."

● محمد مرابط

رمضان: بين قيمية الماضي وحيادية الحاضر

أيام شهر رمضان غدت أياما للتباري في إظهار القدرة الشرائية وإبراز الامتياز الطبقي

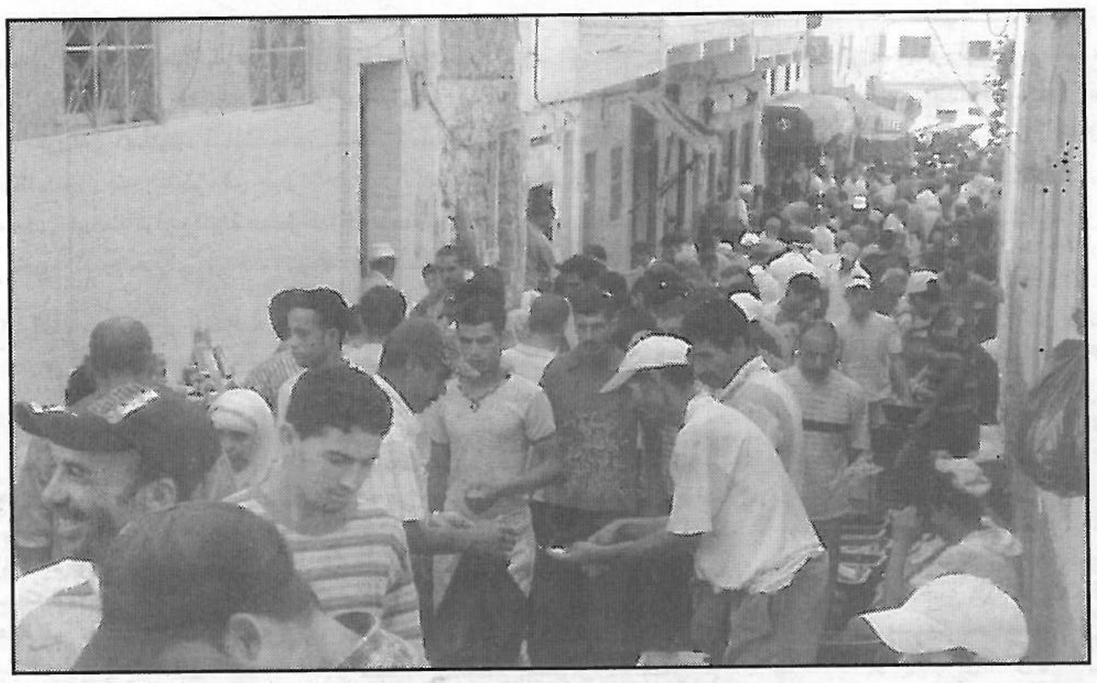

1-يتميز الكائن البشري عن باقي الكائنات بكونه كائنا متعبدا، وذلك ليس نتيجة هوى نفس أو رغبة في التنسك. بل ذلك يدخل ضمن بنية خلقية (=المادة والروح)، وبذلك يستجيب هذا الكائن لأي مثير ديني سلبا أو إ يجلبا وبكل سرعة.

ويدخل الإنسان ضمن دائرة عقدية ما عبر مراحل لابد منها أهمها: التقبل ، الاستجابة ، التفاعل ، الاستبطان. ومع تطور الزمن تتحول العقيدة إلى جزء من ذلك الإنسان، وبالتالي جزء من تاريخه وحضارته وثقافته (الفكر الإسلامي- الحضارة الإسلامية)، ثم لا يلبث هذا التطور أن يصبح له ماض وتاريخ يشهدان له بالتحول قليلا أو كثيرا عن الهدف الأصلي لسبب أو لآخر.

وشهر رمضان شعيرة من الشعائر الإسلامية الأصلية التي لا يصح إسلام المرء إلا بها وهي قواعد الإسلام الخمس المعروفة، والتي جرى عليها ذلك التحول. ويشير القرآن الكريم إلى أن شهر رمضان هو شهر الهدى والغفران، قال تعالى: "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان" سورة البقرة. وكان الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه عشية قدوم رمضان: (جاءكم المطهر)، فهو شهر الهداية والتطهر من الآثام. ومع تطور الزمن عرفت هذه الشعيرة انزلاقات وتحولات مختلفة همت أصله وفصله. وذلك في مجالات أهمها:

أ- على المستوى العقدي: كان شهر رمضان في فجر الإسلام شهر العبادة السليمة لا تشوبه شائبة نفاق أو يشوبه غرض دنيوي زائل، إذ كان المسلم يصوم لربه وحده إيمانا واحتسابا. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من صام رمضان إيمان واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"، وكان المسلم يصوم وهو متأكد في سريرته أن الله سبحانه سيجازيه. وبهذا كان المسلمون يقدمون على فعل الخيرات في هذا الشهر: صيام- قيام- صدقة ذ صلة الرحم- طلب العلم .. الخ. ولم تلبث العقيدة أن اهتزت فيما بعد فأصبح الإنسان يصوم دون الاهتمام بمكملات الصوم، وأكثرها خطورة هي غياب الاحتساب الذي يمس عقيدة المسلم، ناهيك عن الانزلاقات الأخرى مثل لغو الكلام وإطلاق النظر في المحرمات وعدم الاكتراث بحرمة الصيام الذي هو أصلا مخ العقيدة، وبذلك أصبح الصيام عادة اجتماعية ونوعا من الذوبان في الجماعة أو الذوبان في العقلية الدمجية، وكأن لسان حالهم يقول: إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، فباتت العقيدة تقليدا. وبدأت تدخل إلى المجتمع أمراض أخرى أخطرها السهر على لعب الميسر بمختلف أنواعه وما زاد الطين بلة هو أن بعض القنوات التلفزيونية تخصص برامج لهذا الغرض، والغريب في الأمر أنها توظف في ذلك ثقافة دينية تهم السيرة النبوية وفقه العبادات والمعاملات للسؤال والجواب، ومئات الإجابات تكون صحيحة، والجائزة: ثلاث جوائز على أكبر تقدير، وهكذا يزكى لعب القمار رسميا، والنتيجة: أمراض اجتماعية تبعد المسلم عن الطريق الصحيح لصوم رمضان.

ب - على المستوى الاجتماعي: المسلمون الأوائل كانوا يستغلون هذا الشهر في تعزيز أواصر الأخوة والصداقة، حيث يتخذ ذلك أشكالا متعددة، فمرة يكون بمد يد المساعدة للمحتاجين تطبيقا للحديث الشريف "من أفطر صائما كان له مثل أجره" ومرة يكون بأعمال خيرية مختلفة مثل التبرع بساعات العمل لصالح عائلة ما ذات حاجة لذلك، ومرة أخرى يكون بإلقاء دروس في المعرفة الدينية والإنسانية بصفة عامة. بالإضافة إلى ما يعزز توثيق أواصر المجتمع كإفشاء السلام وتجنب الكلام البذيء الجارح والاجتهاد في كل ما من شانه أن يمتن العلاقات الاجتماعية ويبعد عن كل ما من شأنه أن يسيء إلى ذلك. أما الآن فأين نحن من مثل هذا، إذ أن شهر رمضان عندنا في هذه الأيام شهر الفوارق الطبقية بامتياز، حيث الفقير بين والغني بين وليس بينهما أمور متشابهات، فأيام شهر رمضان غدت أياما للتباري في إظهار القدرة الشرائية وإبراز الامتياز الطبقي: ألبسة بيضاء للنخبة والعادية للباقين ولا يظهر مساعد المحتاجين إلا في أماكن قليلة في بلاد الإسلام، وأحيانا يتخذ شكل مؤسسات وجمعيات تستقبل الصدقات نيابة عن المحتاجين. وهذه المؤسسات قد تفقد مصداقيتها أحيانا فيكون ذلك من قبيل استغلال هذا الشهر لمصلحة اقتصادية ضيقة لا لأعمال خيرية.

ج= على المستوى الإقتصادي: وهو المجال الحقيقي للعمل الخيري في رمضان، فالصائمون من قبل كانوا يجدون ضالتهم في العمل في أيام هذا الشهر تاركين الكسل جانبا، فالعمل كان قمة العبادة. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أمسى كالا من عمل يده بات مغفور له" لأن للعمل قيمة إنسانية لا تضاهيها قيمة لأنه لو تخلف عمال العالم عن العمل يوما واحدا لبلغت الخسارة ذروتها في جميع القطاعات، فمع العمل يكون الرخاء ويزدهر كل شيء، والفائدة تعود على الجميع: أما التجارة في شهر رمضان فكان يستفيد منها الضعفاء قبل الأغنياء تطبيقا للحديث الشريف: "امشوا على قدر ضعافكم"، أما في هذا الزمان فالعمل في شهر رمضان ثقل تستباح معه الراحة التامة ولو على حقوق الآخرين، حتى ظهرت مقولات من مثل: "لا بأس إذا مات المريض لأن الطبيب صائم" مما فتح الأبواب على مصراعيها للمغرضين بالدين الإسلامي الحنيف. أما التجارة فحكر واستغلال لنفسية الصائم، فلا يجيء رمضان إلا وأعدت العدة للعب بالأسعار والتنوع الفاحش في الأكلات الجاهزة كما وغلاء، فصارت أيام رمضان فرصة للتخمة والنوم، وصاحب ذلك متابعة للقنوات الفضائية رغبة في سحق الوقت لتقوم هذه الأخيرة بدورها الإعلامي، حيث الأفلام والمسلسلات قد أعدت هي وما يصاحبها من إعلانات تجارية تهم مواد لا تمت لرمضان بصلة، وكلها تقدم بإشارة رمضان مبارك. وحتى إن بعض الشركات المعادية للإسلام تقدم تبرعات أو تخفيضات للأكلات إكراما لشهر رمضان، فجسد هذا الشهر حالتنا التخلفية وبين أننا أسيرو النقاط العمياء في عملية الإدراك وهذه قمة تخلف الذهنية. رمضان، وحالتنا هذه، هو زمن فاقد لقيمته وهدفه وأصله الروحي، بل هو وقت نضطرب عنده منهجية تفكيرنا، ففقدنا السيطرة على أنفسنا، وبالتالي صعوبة سيطرة أذهاننا على الواقع المر، فتراكم عندنا ضعف قدرتنا على فهم الواقع، وكان الاستسلام ولم تظهر المقاومة إلا في قلة قليلة منا، أما عقيدتنا فهي تتساقط يوميا عن واجبنا الديني فضعفت النية وبدت لنا ظواهر الحياة أقوى منا واستعنا بمن هم لا يريدون الخير لأمتنا الإسلامية، وحاولت نسبة قليلة من المسلمين كتب لهم أن يتمسكوا بدينهم وعقيدتهم كتمسكهم على الجمر، حاولوا أن يصلحوا لكن السواد الأعظم من الناس زاغوا فأزاغ الله قلوبهم "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم". قرآن كريم.

وخلاصة القول، أن شهر رمضان كان من قبل، شهر فائدة للدنيا والآخرة وشهر رحمة على الجميع بما فيه من مغفرة للذنوب وليونة الأنفس، فكان شهرا مفيدا، أما الآن فضرورته أقوى من فائدته لأننا وظفناه للاستفادة المؤقتة الزائلة، بل وقد اتخذنا ديننا لهوا ولعبا وتجارة، فصمنا للضرورة المبتدعة، ولم نصم للفائدة الأصلية الحقة الدائمة التي هي الهدى والرحمة والصراط المستقيم، قال تعالى: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

● مرزوق الحقوني

رمضان : شهر الصيام والخصام

هناك قطاعات كثيرة يزداد نشاطها بنسبة عالية في رمضان مثل الصحة والدرك الملكي

يحكى أن شهر رمضان شهر عبادة ومناسبة للغفران وابتغاء رضوان الله، وهكذا تجد الناس يهرعون إلى المساجد لإحياء طقوسهم الدينية للتنافس مع إخوانهم المسلمين للظفر بالجنة، وعلهم يصادفون ليلة القدر التي تبلغ درجة أهميتها أفضل من ألف شهر. ففي المساجد يفيض الإيمان عن حده ويعود إلى درجة الصفر بعد أول عتبة خارج أسوار بيوت الله، وذلك لكون الصبر عند البعض حدود، أما الإمساك عن شهوتي الفرج والبطن فيوازيه بالمقابل إفراط في النرفزة والمشاجرات. فكثير من عباد الله الذين لم تسمح لهم الظروف لسبب أو لآخر ليجرب قدرته العضلية أو البلاغية وخاصة القاموس اللغوي الذي ينتمي إلى فصيلة "تحت الحزام" وما جاوره، يستغل هذا الشهر الفضيل ويعتبره فرصة سانحة ليبرز إمكانياته الحقيقية في هذا المجال. وهذه السلوكات التي أصبحت معتادة بشكل يومي في الأماكن العامة وكأنها فرض كفاية، تجعل قطاع الصحة في يقظة من أمره لأن العاملين بالمستشفيات والمستوصفات يجدون أنفسهم مجبرين لتقديم الإسعافات والعلاجات الممكنة لضحايا "اللهم إني صائم". وإن كان هذا الشهر العظيم بالأحداث المؤلمة نتيجة هبوط حاد لمادتي السكر والنيكوتين قي الدم يوصف بشهر الراحة والكسل، فإن قطاعات كثيرة يزداد نشاطها بنسبة عالية كالصحة والدرك الملكي خلال هذه الفترة، بينما الإدارات والمؤسسات الأخرى تعرف تراجعا ملحوظا في أدائها وإن فتحت أبوابها في وجه المواطنين إلا أن هؤلاء عندما يودون مقابلة أحد المسؤولين بها فغالبا ما يأتيهم الجواب في صيغتين لا ثالث لهما: "امشى إ صلي، أو باقي ماجا".

إن العطلة للجميع هي سمة هذا الشهر المبارك، وباعتبار الشعب المغربي حريص على الحفاظ على تقاليد وعادات السلف الصالح، فإن الأجيال اللاحقة عليها مسؤولية استمرار المشاجرات وإسقاط الضحايا وإعلان رمضان شهرا للكسل. فلا عمل يعلو فوق ابتغاء وجهة الله في هذه المناسبة الدينية العظيمة، وهذا ما نتج عنه إفراغ لمكاتب الإدارات العمومية وتدافع في بيوت الله أثناء كل صلاة.

إن التحولات الاجتماعية التي عرفها المجتمع المغربي وانفتاحه على ثقافات الأمم الأخرى، وما شهده من ظلم وتعد على حقوقه نتيجة السياسات التي رهنت مستقبله في الفقر الأبدي، جعل الحكمة من الصيام وأبعاده الروحية غير قابلة للتحقق في ظل مجتمع جائع وصائم أبد الدهر، لهذا تجده ينخرط في ثقافة "الموت في عشرة نزاهة"، وينفجر في وجه الآخرين عندما يصل غضبه درجة لا تطاق ليخرج الشياطين التي سكنت نفسيته وتربت فيها بسبب القهر والمعاناة التي تعرض لها.

ومن الصدف لهذه السنة أن شهر رمضان الأبرك تزامن مع الإعلان عن بدء تجربة محاكاة الانفجار العظيم لمعرفة سر وجود المادة وبداية نشوء الكون، هذا الحدث الأول من نوعه عرف مشاركة أزيد من 8000عالم ينتمون إلى 120 مركز علمي في العالم، التجمع من هذا الحجم عندنا لا نجد له أثر إلا في المهرجانات الغنائية أو في الملاعب الرياضية..

فشهر رمضان لهذه السنة أنعم على غيرنا بمزيد من التقدم والتنوير لاستكشاف الجوانب الغامضة في سر وجود هذا الكون العظيم، في حين أننا نستغل هذا الشهر لتعطيل العقل البشري، حيث يبدأ فيه الفقهاء.والوعاظ بالحديث عن المغفرة والتوبة وطريقة الاغتسال من الذنوب خلال هذا الشهر، وهذا ما جعل غالبية المسلمين بمجرد انقضاء الصيام يعودون إلى سابق عهدهم و لا يخشون لومة لائم في ارتكاب المعاصي، لأن صكوك رمضان تنتظرهم ليغفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم.

إن المجتمعات الإسلامية تحتاج إلى إعادة النظر في فهمها للدين وجعل مساحة العقل كبيرة للاحتكام في ما ورد في النصوص الدينية وإلا صرنا عبيد للعالم المتقدم معتقدين أننا أسيادا ومن ثم يحق لنا القول أن الغرب أخذ العلم من العرب حيث أنه نقل فكرة الانفجار العظيم من الذين يفجرون أنفسهم بالأحزمة الناسفة.

فإذا كان الصيام يعني الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فإن غالبية المسلمين زادوا على ذلك بالإمساك عن العمل من طلوع الفجر إلى طلوع الفجر.

● محمد بوطسغونت

الريف الشرقي في رمضان: طقوس وعادات ومتخيل×

الحسين بوجدادي××

لا يختلف اثنان في معنى الصوم وكيفية القيام بتكاليفه عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، لكن كيفية استقبال هده الفريضة الإسلامية ، والطقوس والعادات المرافقة لها تختلف من بلد لآخر ، ومن منطقة لأخرى داخل نفس البلد ، وهدا يعني أنه ليست لرمضان بنفس الطقوس في جميع الدول الإسلامية فلكل بلد عاداته و تقاليده وأعرافه وعلاقاته الاجتماعية وخصوصياته الثقافية والتاريخية، علما أن العادات والتقاليد ما هي في النهاية إلا نتاج لما يجري في المجتمع من تفاعلات وتغيرات على المستوى الثقافي والإجتماعي والعقائدي.

إن انشغالنا بتوثيق الموروث الثقافي بالريف الشرقي، جعلنا نسائل الذاكرة الجماعية عن كيفية استقبال أهالي الريف لهذا الشهر المعظم في الماضي القريب؟ وما الطقوس التي كانوا يتبعونها والعادات التي كانت تحكمهم خلال صيامهم لهدا الشهر الأبرك ؟ وما هي الصورة التي كونوها في مخيلتهم الجماعية عن هذا الشهر؟

هذا ما سنحاول تناوله في هذه المقالة والتي سنعول فيها أساسا على ما تختزنه الذاكرة الطفولية من صور وعادات وطقوس مع استحضار بعض الروايات الشفهية لمعمرات المنطقة، وكتابتنا هذه ستكون في معظمها كتابة انطباعية مستأنسة بمنهج الإثنوغرافيين الوصفيين ، وسنعمل على تقسيم هده المقالة إلى خمسة مباحث، الأول منها سنخصصه للاستعدادات والتحضيرات لإستقبال هدا الشهر ، في حين أن المبحث الثاني سنتطرق فيه إلى طرق ضبط مواقيت صيام رمضان والمبحث الثالث سنعالج فيه بعض التقاليد والعادات المصاحبة لرمضان ، وتعمدنا تخصيص المبحث الرابع لليلة القدر المباركة لأهميتها لدى المسلمين جميعا ، في حين أن المبحث الخامس سنتحدث فيه عن صورة شهر رمضان في المتخيل الجماعي لأهالي الريف الشرقي بناء على ما سنعالجه في المباحث الأربعة التي ستكون متن هذه المقالة.

المبحث الأول: الاستعدادات والتحضيرات لاستقبال شهر رمضان

لرمضان في نفوس أهالي الريف الشرقي _ كما المغاربة كافة _ عظيم المنزلة والقداسة، وكان أهل الريف يحرصون أشد الحرص على الاستعداد لاستقبال الشهر المبارك، وهذا يتجلى في تلك الملامح التحضيرية التي تكتسيها مختلف الفضاءات من منازل وساحات ومساجد ... والاستعدادات المبكرة والمسبقة تبتدئ عند حلول شهر شعبان، إذ تعمل النساء على ادخار البيض والزبدة " البلدية " لاستهلاكهما في شهر رمضان كما يعمدن إلى الاهتمام بالدواجن وبالخصوص الديكة منها، وذلك عبرتسمينها بإغداق العلف عليها، فخلال هذا الشهر ستتم التضحية بثلاثة ديكة على الأقل، إذ أن الأول سيخصص لعشاء رمضان الذي يطلق عليه محليا: أمنسي ن أرنضان amensi n arendan والثاني سيذبح في ليلة منتصف شهر رمضان: دجيرث وناصاف djiret un-asef ، بينما سيخصص الثالث لإعادة عشاء ليلة القدر / ليلة السابع والعشرين من رمضان.

وتشكل الأيام الأخيرة لشهر شعبان ذروة الإستعدادات والتحضيرات ، إذ تجند النساء أنفسهن خلال هذه الأيام لتنظيف البيوت وتبليط وتبييض مرافقها، كما أنهن يعملن على تبليط أرضية الغرف بروث البهائم الممزوج بالتبن والطين لكي تكتسي حلة جديدة بعد تقادمها، وتعرف هذه العملية محليا)أماس ن تيسي س ومسار amas n tisi s) wemasar. وبعد الانتهاء من تنظيف البيوت يسرعن إلى تنظيف جميع معدات ولوازم الطبخ والمطبخ، من بينها:)أسيسوث = Asisut)، (مادون = Madun) (تندوت = Tandut)، (ثابقاشت = tabqact)، (أمقراج = amqraj)، (أقبوش = aqbuc)، (طنجار = ttanjar) ...

وبعد الانتهاء من هذه العمليات يقمن بغسل وتنظيف جميع الأفرشة المتواجدة بالبيت ، وينتقلن بعد ذلك إلى عملية أخرى أكثر إرهاقا وهي تنقية الحبوب من كل الشوائب العالقة بها أثناء عملية درس المحصول بالبيادر، ويقمن بعد تنقيته بغسله ووضعه داخل أكياس لتكون جاهزة لحملها نحو المطاحن أو لطحنها بالمطحنة التقليدية اليدوية والمسماة محليا ب : ثاسياث أوفوس = tasyart ufus

أما عن الآباء فإنهم يحضرون أطفالهم اليافعين إلى فقيه المسجد ليقوم بقياس عنقهم عبر تمرير خيط له قياس معين مع إضافة إصبعين داخل الدائرة التي يشكلها الخيط حول عنق الطفل، فإن كان ذلك القياس يوازي عنق الظفل فإنه ملزم بصيام رمضان، وإذا كان العنق أقل من الدائرة فإنه معفي من هذه الفريضة وتعرف هذه العملية ب (إحق خاس أرندان نغ أو خاس إحق = iheq xas arendan nigh u xas iheq) وهي شبيهة بطقوس العبور لدى القبائل والعشائر كالختان على حد تعبير علماء الأنتروبولوجيا.

المبحث الثاني: طرق ضبط مواقيت الصيام

يتطلب الحديث عن ضبط المواقيت المختلفة لشعيرة الصيام، مثل الهلال والإمساك والإفطار، التمييز بين القرى والمداشر الآهلة بالسكان، وبين السهوب والفضاءات الأخرى الخالية من السكان والتي ينتشر فيها بعض الرحل.

خلال اليوم الأخير و ما قبل الأخير من شهر شعبان كان الناس يجتمعون حول الإمام بالمسجد لمراقبة بزوغ هلال رمضان ، إذ يصعد الإمام إلى سطح المسجد أو مئذنته إن وجدت أو ينتقل صحبة الأعيان والعامة إلى الأماكن العالية، حيث يتسنى لهم جميعا مراقبة الهلال ، فإذا تمت الرؤية ، أشيع الخبر بإعلان النداء في الناس بذلك، من طرف شخص يقوم عادة بإعلام الناس بما يهمهم من أخبار طارئة يسمى " البراح " كما يؤذن المؤذن في غير وقت الصلاة ، وهكذا يتم نشر خبر ظهور هلال رمضان ، حيث يصل إلى النساء اللواتي يراقبن هلال رمضان فوق سطوح المنازل فما يلبثن أن يستقبلنه بالزغاريد، وبعد ذلك ينزلن إلى فناء البيت مسرعات لترييش الديك الذي ذبح بهذه المناسبة وإعداده لتحضير وجبة عشاء رمضان.

نلاحظ هنا أن إمام المسجد تضاف إليه وظيفة جديدة تتمثل في كونه أصبح مؤقتا، غذ أن كل مواقيت شهر رمضان من إمساك وإفطار ورؤية هلال حلوله _ هلال شوال _ تعد محتكرة من لدنه إذ هو الذي يحددها ويعلنها على الملأ بشتى الوسائل عبر البراح والطبل..

وأما بخصوص إعلام الساكنين بعيدا عن القرى والمداشر ، كرعاة المواشي الرحل، ببزوغ هلال رمضان، فكانت توقد لهم مشاعل النيران على الربى والجبال والتلال العالية بحيث تمكن مشاهدتها من بعيد ، وغالبا ما يتفرغ الرحل لمراقبة الهلال بأنفسهم في اليوم الأخير وما قبل الأخير من شهر شعبان (إذ أنهم يكونون على علم مسبق بمراقبة هلال شهر رمضان والذي ينتهي إلى علمهم عبر نداءات البراح في السوق الذي يرتادونه لبيع بعض رؤوس الأغنام وللتزود بما يحتاجونه من زاد وقوت وأغراض أخرى).

أما إذا لم يتمكنوا من رؤية هلال رمضان، فإنهم يقومون برصد النيران التي توقد في الأماكن العالية.

وللتعرف على مواقيت الصيام من إمساك وإفطار فإن أهالي الريف الشرقي وبالخصوص الرحل منهم المنتمين لقبيلتي آيت بويحيي ومطالسة، كانوا يستعينون بالنجوم أي " بعلم فلك بدائي " يغيب عنه استخدام الآلة والقياسات الرياضية ويعتمد فيها أساسا على العين المجردة، وهكذا نجدهم يحسمون في توقيت السحور بظهور مجموعة من النجوم والتي تكون على شكل دائرة جهة الشرق / القبلة. وأما عن توقيت الإمساك فإنهم كانوا يضبطونه بظهور نجم في موقع معين من السماء ويعرف محليا ب (إثري ن رفجار = itri n ref-jar) ، وأما توقيت الإفطار فيحسمون أمره بتقنية بسيطة وهي إمكانية رؤية أو عدم رؤية شيء معين ومحدد مسبقا (جماد _ نبات _ حيوان _ إنسان ..) بالعين المجردة، فإن تمت رؤيته لا يجوز الإفطار وبالعكي. وللتخلص من الإشكاليات التي تطرحها عملية رصد الأشياء المحددة مسبقا بعد مغيب الشمس ، كان بعض الرحل يصنعون فزاعات ينصبونها بجوار حظائر البهائم ، بعيدا عن الخيمة بالعشرات من الأمتار، ومن خلال رصدها أو عدمه عند المغيب يتم التعرف على مواقيت الإفطار.

التي كانت ترغب فيها، واستجيب لدعوتها فهاجمتها جموع من القمل في تلك الليلة وكانت سبب هلاكها، وتعرف الحكاية محليا ب : (ثاوسارث عيتارن عي ربي ءاقبوز ن تيشين).

المبحث الثالث: الطقوس والعادات والتقاليد المصاحبة لشهر رمضان

خلال شهر رمضان تعم الأجواء الروحانية وتسود تقاليد محلية عريقة تكرس في مجملها القيم الإنسانية النبيلة والسامية من تآخ وتعاضد وتآزر وتعاون ، كما يتضح ذلك من خلال الطقوس والعادات المحلية التي تصاحب شهر رمضان، وهي الطقوس التي تجسد روح التضامن والتكافل الإجتماعيين بين الأهل والجيران، وهي تقاليد راسخة ومتجددة عبر الأجيال . ولعل أشهرها ما يعرف لدى أهالي الريف عموما ب : (ءاسندي) أو (ءاسقاسي)، وهو ما يعني بالعربية جعل الآخر يتذوق طعام الغير عبر تبادل وإهداء الأطعمة والفواكه وغير ذلك مما يؤكل أو تحضر به الأطعمة.

وأما عن المائدة في هذا الشهر فإن النساء يبدعن في إعدادها، لا سيما مائدة الإفطار بتحضير وجبات وأطعمة وماكولات مختلفة ومتعددة ، وقلما تخلوا المائدة من التين المجفف: (ثازارث يوزغن) تلك الفاكهة الشهية والمتوفرة على مدار السنة، ويكون إلى جانبها الشاي أو القهوة والحليب ومشتقاته والزيتون المملح بالطريقة التقليدية والبيض المسلوق والمقلي وزيت الزيتون والزبدة المحلية (ثروسي)... وأصناف شتى من العجائن والفطائر من بينها : (رمسمن) و(بومفروق). و من الواجب أن يكون الحساء التقليدي على مائدة الإفطار طيلة شهر رمضان ويدعى محليا (ثاحرارث ثاسمامت). أما عن الخبز فإنه يستحب أن يكون طريا وخارجا لتوه من الفرن الطيني المعروف ب (ثافقونت) أو (ثاينوث).

وهكذا يوضع كل ما تهيئه الزوجة بمساعدة بناتها البالغات على مائدة مستديرة يتحلق حولها كل أفراد العائلة الصائمين ، ولهذه المائدة قداستها وآدابها الخاصة بها، ومن بينها البسملة قبل الشروع في تناول الطعام، والحرص على منع الأطفال من الإقتراب منها ما عدا الصائمين وبالتالي يسمح لهم بالإقتراب من المائدة ومشاركة الكبار إفطارهم وإن كان أحمر فهم غير صائمين وبالتالي يطردون ليلتحقوا بأطفال الجيران الذين يوجدون في الخارج يلعبون اللعبة المشهورة التي تدعى محليا (مزْرالَو)، وهي عبارة عن عصا من الخشب يقذف بها في الظلام ويتم البحث عنها من لدن الأطفال المشاركين في اللعبة، ومن عثر عليها يعتبر بطلا لهذه اللعبة ، كما كانت تستهويهم لعبة الإختباء(الغميضة) التي تعرف ب: (ءاقنوفر) أو (ثانوفرا) وهي لعبة ما زالت عالقة بالذاكرة الطفولية لكل الأجيال.

وبعد الإفطار فغن الرجال غالبا ما يكونون ملزمين بالاجتماع في المساجد لأداء صلاة العشاء والتراويح ، فهذا الشهر، كما يوضح لهم فقيه المسجد، هو شهر العبادات والتأمل والتقرب للخالق ، كما أنه شهر التجمع والتقارب وتآلف القلوب وتبادل الزيارات العائلية.

وهذه التقاليد والطقوس الغنية ببعدها الروحي والإجتماعي والتضامن لا تجعلنا نغفل عن ذكر بعض السلوكات المشينة والعادات السيئة اللصيقة بهذا الشهر الأبرك والتي تخل بالجو الروحاني والأخلاقي لرمضان ولعل أهمها ما يعرف محليا ب (عيمنغان ن سّوق)، وهي تتجلى في الأعصاب المتوترة والتي تكون عادة في أيام رمضان على وشك الإنفجار خلال الساعات الأخيرة التي تسبق الإفطار وبالخصوص في فضاءات الأسواق ، حيث النزاعات بين الباعة والمتسوقين أو بينالمتسوقين أنفسهم، تنتهي بتبادل الضربات واللكمات التي تنتج عنها خدوشات وجروح وتكسير للأسنان ، وغالبا ما تكون أسباب هده المشاجرات تافهة يخلقها أشخاص سريعو الغضب وهو ما يطلق عليه بالدارجة المغربية (الترمضينة) و يقابلها محليا ءغراب ن ءارندان) ، كما نجد نوعا آخر من الأشخاص الذين لا يضبطون أعصابهم خلال هذا الشهر، خاصة المدمنين على الخمر والتدخين، وهؤلاء الأشخاص يفتعلون المشاكل مع أزواجهم دقائق معدودة قبل آدان المغرب، فيعمدون إلى ضربهن والتنكيل بهن وبصغارهن مما ينتج عنه عويل وصراخ الأطفال وأمهاتهم والذي يمتزج بالضجيج الذي تحدثه الأواني المنزلية التي يتم تكسيرها عبر إلقائها على أرضية المطبخ، مما يجعل الجيران يهرعون نحو البيت مصدر الضجيج وغالبا ما يكون معروفا لديهم ، للتدخل لوضع حد لهذه الهيستيريا العدوانية التي لا ينجو منها الأطفال ولا الأواني المنزلية ولا الحيوانات الداجنة كالقطط والكلاب.

ومن بين العادات السيئة والسلبية التي تسجل خلال هدا الشهر إهمال تغذية الأطفال خلال النهار ما يكون باردا وغير محضر في أوانه بل هو ما تبقى من وجبة السحور. والإهمال يشمل كذلك مراقبة الأطفال الصغار في البيت إذ في هدا الشهر يرتفع عدد الحوادث المنزلية من حروق وجروح وكسور ... بحكم انشغال الأمهات بأشغال البيت التي تتكاثر وتتعدد خلال هذا الشهر.

المبحث الرابع: ليلة القدر، الليلة المباركة والمقدسة

من أهم الليالي في رمضان ليلة السابع والعشرين منه أي ليلة القدر، وقبل حلولها تكون هناك استعدادات وطقوس وعادات وأعراف يجب احترامها والحرص على الإلتزام بها وإلا فإن مكروها ما سيصيب المخالف لها وغير الملتزم بطقوسها.

ولعل من بين العادات التي تتميز بها هذه الليلة المباركة لدى أهالي الريف الشرقي، تلك المآدب/الولائم الكبرى التي تشهدها مختلف المساجد ، والتي تسهر عليها الجماعة / (جماعث) تحضيرا وإعدادا وإنجازا وبشكل تضامني (ثويزا) ، إذ قبل أيام من حلول ليلة القدر يقوم (ءامغار) شيخ القبيلة بجمع التبرعات المالية والعينية التي يتبرع بها كل أفراد القبيلة / الجماعة كل حسب استطاعته، وبالأموال التي تم جمعها يتم شراء كبش أو عجل يذبح بجوار المسجد، وبلحمه وبالمواد العينية المتبرع بها يتم إعداد الولائم / المآدب. وبعد صلاة العشاء والتراويح يتوزع المصلون إلى جماعات تتحلق حول موائد مستديرة داخل المسجد لتناول وجبة عشاء ليلة القدر، ويكون كل فرد ملزما بإحضار رغيف من الخبز من منزله، وبعد ذلك يتم تقديم اللبن الرائب المستحضر من الحليب ليستهلكه المصلون، إذ أن الأعراف السائدة آنذاك كانت تفرض على كل مالك لبقرة بالقرية إدخار حليب بقرته

...لعل أهم مايسجل خلال هذه الليلة المقدسة ، هو أن الكل ينتظر ويترقب ليلة السابع والعشرين من رمضان ليفوز برؤية ضوء غير مألوف يتجلى في السماء لكل من يقوم الليل عبادة وصلاة وابتهالا، والذي يفوز بذلك الضوء يفتح باب الجنة في وجهه، وإذا ما التمس مطلبا فإن رغبته ستتحقق حتما، وهذا ما يدفع بالعديد من العجائز المؤمنات إلى قضاء الليلة في العبادة والإبتهال إلى الله فوق سطوح المنازل ، لكي يحظين برؤية باب الجنة وهي تنفتح في وجههن...

صيام رمضان: بين الطقوس والقيم

يقسم الفلاسفة القدماء النفس الإنسانية إلى ثلاثة أقسام: النفس الشهوانية، النفس العدوانية والنفس العاقلة. النفس الأولى والثانية يشترك فيهما الإنسان والحيوان، أما النفس الثالثة فهي خاصة بالإنسان، إنها ملكة التمييز المعرفي (الخطأ/الصواب) والأخلاقي)الخير/ الشر)، والجمالي (الحسن/القبح).

إن النفس العاقلة مصدر القيم، بها يحكم الإنسان على قيمة الأفكار والأفعال والأشياء، فهل يعتمد المسلم، وهو صائم رمضان، في كلامه وتصرفاته على النفس العاقلة أم على النفس الشهوانية والعدوانية؟

الحسين سيعلي

النفس الشهوانية في رمضان:

لا يحتاج الواحد منا لأي دليل أو حجة لكي يؤكد أن المسلم الصائم في رمضان يلغي تماما النفس العاقلة، ويستسلم في كلامه وتصرفاته للنفس الشهوانية. فإذا كان صوم رمضان، أصلا وبالتعريف، هو إمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فإنه لا شيء يشغل المسلم في شهر رمضان إلا الشهوات، هكذا ينقلب هدف رمضان إلى ضده، ونتيجة لذلك ينقلب المسلم ليس فقط إلى غير المسلم بل إلى غير إنسان، أي ينقلب إلى حيوان، تصل الرغبات الغريزية في هذا الشهر إلى درجة الجنون، أي إلى إلغاء العقل كملكة للتمييز. يعيش الصائمون في الشهر على الكثرة: كثرة الأطعمة وكثرة الجوع وكثرة الأعصاب وكثرة الصلاة والدعاء. تصل النفس الشهوانية البهيمية إلى ذروتها لحظة الإفطار: كل صائم يواجه في ه اللحظة كثيرا من الجوع وكثيرا من الأطعمة وكثيرا من العصبية، وتكتمل الصورة بدخول الدولة على الخط، حين تطلق قذيفة مدفعية مدوية: بم!! ويصيح المؤذنون: الله أكبر، هنا يتم اغتيال العقل وتندفع الغرائز، إن الشعب الذي يجمع بين كثرة الجوع وكثرة الأطعمة وطلقات المدافع والصياح "الله أكبر"، في لحظة واحدة، هو شعب غير عاقل، هذا هو شهر رمضان، الشهر الفضيل، لكن متى كانت الفضيلة تنتج عن كثرة الأطعمة وكثرة الجوع؟

النفس العدوانية في رمضان:

إن النفس العدوانية الملازمة، هي أيضا، للصائم مثلها مثل النفس الشهوانية. إن الكلام البذيء وأعمال العنف والسلوك الخشن، والاستعداد الدائم للنيل من كرامة الآخرين، وحرمتهم النفسية والجسدية، هي التي تميز الصائمين في شهر رمضان. لسنا هنا، أيضا بحاجة إلا أدلة وحجج، ففي هذا الشهر تكون الأجهزة الأمنية للدول الإسلامية كلها في حالة استنفار، وكان المسلمين في حرب أهلية. يحضرني هنا الحدث الذي تداولته وسائل الإعلام المغربية في هذا الشهر، يتعلق الأمر ب"الشريف" اليعقوبي الذي أطلق الرصاص على شرطي، وعندما سقط هذا الأخير جريحا، أجهز عليه اليعقوبي بركلات وهو يخاطبه: "انتوما غير البخوش"، حسب ما نقلته وسائل الإعلام. لقد أخطات هذه الأخيرة في تغطيتها لهذا الحدث،وذلك عندما ربطت اليعقوبي بزوجته الأميرة، لأن هذا الربط فهم غير صحيح، والصحيح هو أن تختصر الصحف سلوك اليعقوبي في كلمة واحدة: صائم. لأنه عادة ما تصدر مثل هذه السلوكات عن الصائمين سواء تعلق الأمر ب"الشريف" اليعقوبي أو ب"البخوش" الشرطي أو بغيرهما من المواطنين الصائمين. انطلاقا مما تقدم يمكن وضع قاعدة عامة، فأن تكون صائما معناه أن تكون عدوانيا بالضرورة.

إن الصيام واقعيا، وليس مثاليا، هو طقوس مرتبطة بالولائم والدم وهي الظاهرة نفسها التي كانت سائدة في المجتمعات البدائية، إن طقوس هذه الأخيرة (أي المجتمعان البدائية) كانت مرتبطة دائما بالأطعمة)الولائم) والأفعال الدموية، في شكل قرابين أو غيرها. هذه الظاهرة ليست بدعة خاصة بنا نحن "المتأخرين"، لقد كانت القاعدة نفسها عند "المتقدمين" أو ما يعرف بالسلف الصالح.

إن النهب والاغتصاب وقتل الناس الأبرياء ب غير حق هي ما يميز أغلب "الفتوحات" الرمضانية. ماذا يقول المؤرخون المسلمون

تاريخ رمضان: تاريخ طقوس بلا قيم

نجد في كتب التاريخ الخاصة بالمسلمين أن جل الغزوات تمت في شهر رمضان، فمن هم أبطال هذه الغزوات؟ وما هي غايتهم من الغزو؟ هل من أجل نشر القيم الفاضلة في الشهر الفضيل؟ أم غزوات تحكمها النفس الشهوانية والعدوانية؟

إن النهب والاغتصاب وقتل الناس الأبرياء بغير حق هي ما يميز أغلب "الفتوحات" الرمضانية. ماذا يقول المؤرخون المسلمون عن الفاتحين مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعقبة بن نافع وغيرهم؟ كان هؤلاء يكثرون من العبادات ومن العدوان كالاغتصاب والنهب والقتل؛ فقد أورد الجاحظ في مؤلفه "البيان والتبيين" رسالة لعمر بن الخطاب بعثها إلى والي مصر، عمرو بن العاص، تبدأ بما يلي: "يا عاص يا ابن عاص"، ومعناها يا زان ابن زان، لأن عمرو بن العاص لقيط، وعندما فتح "مصر" حولها إلى ماخور كبير، هذه هي الفتوحات الرمضانية والتي يصل فيها الجهاد إلى قمته، لكن جهاد على الطريقة الجاهلية، والمعروفة عند عمرو بن العاص وعقبة بن نافع وغيرهما من الفاتحين الكبار. يقول الشاعر الجاهلي بثينة عن الجهاد الجاهلي ما يلي:

قلن جاهد يا بثينة بغزوة ××× قلت

هل لي من غيركن جهاد

الجهاد في الجاهلية حسب هذا البيت هو استعمال العنف من أجل اغتصاب النساء ونهب ممتلكات الغير وقتلهم وهي طريقة كان يستعملها الصعاليك في العصر الجاهلي. إن الصعلكة بقيت هي هي في شهر رمضان، كما كانت سائدة في العصر الجاهلي قديما وحديثا في الحرب والسلم، تتجسد الصعلكة الإسلامية وهي مطابقة للصعلكة الجاهلية في السلفية الجهادية، إن الجهاد عند هؤلاء يقوم على الاستضلال، كل شيء يقصي الآخر حلال ماله ودمه ونساؤه، وهذا هو جهاد الصعاليك في العصر الجاهلي وهذه هي فتوحات المسلمين في شهر رمضان. الصعلكة هي علاقة اجتماعية لا مجال فيها للقيم الإنسانية، وهذا هو الذي يسود في شهر رمضان. من منا تسوق في شهر رمضان ولم يلاحظ أن جل الناس في السوق لصوص، تجار وزبناء، فلو كان رمضان تسود فيه القيم الإنسانية النبيلة، وليس مجرد طقوس لكان التجار يتركون دكاكينهم مفتوحة أثناء انصرافهم.

يؤكد الواقع والتاريخ أن صوم رمضان تغلب عليه الشهوات والعنف، والسبب في ذلك أن رمضان مثل الصلاة والحج وسائر العبادات، تم ربطه بالطقوس وليس بالقيم، لهذا السبب لا يشعر المسلم بادنى حرج عندما يفعل الرذائل وهو صائم أو يؤدي مناسك الحج، فلو كان المسلم يربط عبادته بالقيم النبيلة لما اقترب من المسجد أو الحج أو رمضان وهو يعرف نفسه بنفسه أنه غير صالح، لكن المسلم لا يزال صعلوكا على الطريقة الجاهلية ... ويزني، يصلي وينهب، يحج ويشهد الزور. شهر رمضان شهر الإفلاس ماديا وأخلاقيا وليس " الشهر الفضيل" كما يدعون.

تتمة ص 12

ثلاثة أيام قبل حلول ليلة القدر ليصنع منه الرائب الذي يدعى محليا (عاشّير) .

ومن بين طقوس الإستعداد لهذه الليلة المباركة ، تنظيف مرافق البيت صباحا ، أمابعد الظهيرة فيتم تعطير أرجاء وفضاءات البيت بالبخور التي يعتقد أنها مستقدمة من البقاع المقدسة ، وفي المساء، قبل حلول آدان المغرب، توضع مبخرة البخور في وسط البيت حيث تنبعث منها خيوط دخان تتمايل يمنة ويسرة لتوزع عبق الرائحة الزكية على كل مرافق البيت. وتحرص النساء أشد الحرص على الإلتزام بهذا الطقس خلال هده الليلة لاتقاء الأرواح الشريرة والجن والشياطين وإبعادها عن فضاءات البيت ، إذ أن الشياطين والجن يطلق سراحها في هذه الليلة بعدما أمضت الأيام السابقة من رمضان وهي مقيدة ومكبلة. ومن بين الطقوس التي لازالت عالقة بداكرة كل الأطفال طقس كان يخضع له جميع الأطفال غير البالغين الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة والثانية عشرة، وبموجب هذا الطقس فإن كل الأطفال كانوا مجبرين على حمل كمشة (ثاشموست) من الملح وثمار نبات محلي يدعيارحمر = arhamr والتي توضع في جيوب ملابسهم أو تعلق بخيط حول أعناقهم، كما أن الأمهات كن ينصحن أطفالهن بعدم الإقتراب من الدماء التي تخلفها الديكة المذبوحة خلال تلك الليلة لإعداد وجبة العشاء ، كما أنهن كن يمنعن الأطفال من الخروج ليلا للعب كعادتهم في الأيام السابقة ، وذلك مخافة إصابتهم بسوء خاصة وأن الشياطين والجن تؤثث كل الفضاءات حسب اعتقادهن ، وبهذا الحرمان ترتاح الأمهات، ومعهن السكان، من شغب الأطفال الذين اعتادوا على إحداثه بمجرد اقتراب أذان المغرب.

ولتدريب الأطفال على الصيام كان الأهالي يحثونهم على صوم يوم السادس والعشرين من كل رمضان، والذي يتزامن مع ليلة القدر، ومقابل ذلك الصيام يحصل الأطفال على هدايا رمزية من لدن ذويهم وجيرانهم، وأما الأطفال الذين يمتنعون عن الصوم خلال ذلك اليوم فيهددونهم بوضعهم يوم العيد وهم مقيدين بإحدى المطامر والعملية تدعى محليا ب(عاشنقن ذي تسرافث نْهار ن رعيذ)، أو بوضع روث البهائم الطري على أفواههم أي أفواه الأطفال وتدعى هده العملية محليا ب: (عاش- نامس ءامسار إي وقموم).

لعل أهم مايسجل خلال هذه الليلة المقدسة ، هو أن الكل ينتظر ويترقب ليلة السابع والعشرين من رمضان ليفوز برؤية ضوء غير مألوف يتجلى في السماء لكل من يقوم الليل عبادة وصلاة وابتهالا، والذي يفوز بذلك الضوء يفتح باب الجنة في وجهه، وإذا ما التمس مطلبا فإن رغبته ستتحقق حتما، وهذا ما يدفع بالعديد من العجائز المؤمنات إلى قضاء الليلة في العبادة والإبتهال إلى الله فوق سطوح المنازل ، لكي يحظين برؤية باب الجنة وهي تنفتح في وجههن. ومن الطرائف / الأساطير المرتبطة بليلة القدر والتي لا زالت عالقة بالذاكرة الجماعية الطفولية لمختلف الأجيال المتعاقبة ، حكاية المراة العجوز التي قامت ليلة القدر عبادة وصلاة، واستطاعت في النهاية أن تفوز برؤية باب الجنة، لكن من شدة دهشتها طلبت من الله أن يغدق عليها كل "قمل الدنيا" بدلا من "أموال الدنيا"

وهذا التشخيص لم يقتصر على جعل رمضان ضيفا يحل كل سنة على الأهالي ، بل جعلوا أيامه ثلاث عشريات تترجم مدى تأثير الصوم على الجسد / البدن، وهكذا نجدهم يطلقون على العشرية الأولى(عوسان عيزحافن نيغ عيقجداحن) والعشرية الثانية(عوسان عيظارغارن) والعشرية الثالثة: (عوسان عيمشيعين)، وهي تعني على التوالي: الأيام العرجاء والأيام العمياء وأيام الترقب والنظر في السماء. والملاحظ أن هذه الأوصاف تترجم مدى تأثير الصيام على الجسد، وهي ذات ارتباط وثيق بعالم الإعاقة. وهذا يعبر إلى حد ما عن جدلية الصراع الديني / الدنيوي الروحي / المادي ، فالعشرية الأولى تهاجم المفاصل والأطراف في حين أن الثانية تهاجم العين والبصر.

والجدير بالذكر أن الأيام العشرة الأخيرة لها قداستها الخاصة، فخلالها يتم توزيع (توشريحث) التين المجفف والخبز على الأطفال خلال ما يطلق عليه محليا : (رعواشر)، وهي أيام يجب احترامها بعدم الإتيان باية سيئة خلالها. والأيام الثلاثة الأخيرة التي تلي ليلة القدر هي أشد قداسة واحترامها وتدعى محليا ب (ثيعارفيوين)، وفيها يتهأ الجميع لاستقبال شهر شوال وبالتالي الاستعداد لاستقبال عيد الفطر والذي يعرف محليا ب: (رعيذ ءامزيان).

المبحث الخامس: صورة رمضان في المتخيل الجماعي

سنأخذ في هذا المبحث بمفهوم المتخيل كصفة تعني مالا يوجد إلا في المخيلة والذي ليست له حقيقة واقعية، وقد استأنسنا في ذلك بالأصل اللاتيني لمفهوم المتخيل IMAGINARIUS والذي يعني: خيالي ، مغلوط... كما استعنا بثنائية الشيئ المتخيل والشيئ المتذكر. والمتخيل هنا هو كل ما يتكون لدينا مما نقلناه من لغة وقصص وأساطير وأحجيات وحكايات ... على غرار الحكاية التي سردناها أثناء حديثنا عن ليلة القدر وقداستها والمتعلقة بالعجوز التي انتظرت باب الجنة.

لقد مكننا نبشنا في الذاكرة الجماعية من الوقوف على صورة اختزالية مخيالية كونها الإنسان الريفي عن شهر رمضان منذ القديم، وهذه الصورة المخيالية تفعل فعلها في تحديد وتشخيص هذه الفرضية الدينية وتستمر قارة قائمة في جوهرها بالرغم من تبدل أعراضها الخارجية تبعا للتصورات المرتبطة بالتطورات التاريخية والإجتماعية والإعتقادية، والتي جعلت الذاكرة الجماعية حافلة بالصور والتمثلات حول هذا الشهر المعظم.

إن الأهالي وخاصة النساء منهم كانوا يتعاملون مع قدوم وحلول شهر رمضان كتعاملهم مع الضيوف، وهكذا كانوا يقومون بتشخيصه وشخصنته. وهذا الإعتقاد هو ما نلمسه أثناء حديثهم عن قدوم رمضان باللهجة الريفية إذ يقولون (عيرحكد ءارندان) ومعناه (وصل رمضان)، أو أثناء حديثهم عن انتهائه وحلول شهر شوال، إذ يقولون (يركح ءارندان) ومعناه (غادرنا رمضان). وبهذاالتشخيص غدا رمضان _ على حد تعبير الشاعر والكاتب جمال الموساوي- شيخا وقورا بلحية بيضاء في يده فانوس.

الخاتمة

من الصعب على المرء أن يلم بكل طقوس وتقاليد وعادات شهر رمضان وأن يسبر أغوار الذاكرة الجماعية لاكتشاف كل ما تزخر به من صور وتمثلات حول شهر رمضان، إذ أن كل هذه الطقوس والعادات بقيت سجينة / رهينة الذاكرة الجماعية وحبيسة الرواية الشفهية التي تتناقلها الأجيال المتعاقبة ولم يقم أحد من الباحثين والمهتمين بتوثيقها و تدوينها، فأضحت تتناثر وتتبدد بفعل مرور الزمن.

× سبق نشر هذا المقال في العددين السادس والسابع من جريدة تيفراز.

×× منسق مجموعة ثوسنا لتوثيق الموروث الثقافي بالريف الشرقي (العروي _ إقليم الناظور)

××× المراجع المستانس بها في إعداد هذه المقالة:

-1مصطفى النحال : من الخيال إلى المتخيل " مجلة فكر ونقد عدد 33 نونبر 2000 السنة الرابعة صفحة 73.

-2جمال الموساوي : " سيدنا رمضان " العلم الثقافي صفحة اوراق السبت 24 نونبر 2001 صفحة 12

بالإضافة إلى العديد من الروايات الشفهية لبعض معمرات الريف الشرقي وما تختزله ذاكرة الطفولة لدى العديد من الأصدقاء.

حددت معاهدة "الصداقة والتحالف" الموقعة في لاهاي بين المغرب والجمهورية الهولندية بتاريخ 24ديسمبر ? 1610إطار العلاقات الثنائية بين البلدين اللذين كانا يجتازان آنذاك مرحلة تاريخية عصيبة . ويظهر أن الهولنديين كانوا في تلك الفترة في أمس الحاجة لسند خارجي قوي، يؤازرهم أولا على إزاحة وصاية التاج الإسباني الذي كان الطرفان يعدانه خطرا مشتركا ، ويضمن لهم ثانيا الحماية اللازمة لأسطولهم التجاري العابر للقارات نحو الهند الشرقية والبرازيل والعالم الجديد . ولذلك لم يترددوا كثيرا حول سُبل التودد لدى المخزن ، للإعراب عن رغبتهم في التقارب مع المغرب الذي بات جيشه يتمتع بسمعة طيبة، خلّفها الصدى الكبير لمعركة وادي المخازن المشهورة (غشت (1578)

حول الأسرى الهولنديين في المغرب خلال القرن 18:

مذكرات الأسير يان كورنيلس ديكّر نموذجا (1715-1743)

● محمد أمزيان/هولندا

ولعل أهم ما أكدت عليه معاهدة لاهاي هذه، هو سلامة الملاحة البحرية وحمايتها من خطر القراصنة - محليين وأفاقيين - النشطين في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي. فقد شددت على ضرورة حرية تنقل التج لممارسة نشاطهم برا وبحرا وعبر الأنهار (بنود 1،2، و3) في حالة وقوع عمل قرصاني يتعهد السلطان برد البضاعة إلى أهلها ويمنع بيع الأسرى داخل المغرب (ب 4) كما منحت لتجار البلدين حرية دخول الموانئ بلا موانع، واقتناء جميع أنواع الحبوب إلا ما يشمله قانون الحظر (ب .5) أما رعايا البلدين فيتمتعون بامتيازات مماثلة (ب 6)دون الخشية من تعرض أشخاصهم للحجز ولا بضائعهم للمصادرة بشكل اعتباطي (ب 7)وعليهم أخيرا ألا يخافوا من أي شكل من أشكال الاحتكار (ب 19) وأوصت المعاهدة كذلك بضرورة إعداد سفن حربية تقف بالمرصاد في وجه القراصنة، على أن يُسمح لها بدخول المراسي ومغادرتها دون الحاجة إلى انتظار إذن مسبق من خلفاء السلطان أو أمناء المراسي، وأن تتلقى المساعدة الكافية من تموين وماء وعتاد. وإذا ما اضطرت باخرة تجارية لدخول ميناء معين، فينبغي لها متابعة طريقها دون الحاجة إلى دفع أية رسوم حتى ولو قدمت من دولة معادية مثل إسبانيا و إيطاليا (ب 13)أما مسالة الأسرى فقد عالجتها المعاهدة في بندها السادس عشر.

قرصنة وأسرى

ارتبط ملف الأسرى بظاهرة القرصنة التي كان البحر الأبيض المتوسط ثم المحيط الأطلسي مسرحا لها على امتداد قرون متواصلة . ولقد نالت بعض الثغور المغربية حظا وافرا منها، وحققت "سمعة" غطى صيتها بقاع واسعة من أوروبا الشمالية. وكانت سلا والعرائش وفضالة وتطوان مراكز يشد إليها الرحال زبناء البحر ومنشطوه من مختلف المشارب والجنسيات، متخذين من التربص في البحر هدفا وغاية. ففي حالات كثيرة كان وازع القرصنة لدى هؤلاء يتغلب على الوازع الوطني أو الديني . وعلى سبيل المثال كان من العادي والمألوف أن يعترض قراصنة هولنديون سفينة تجارية تبحر تحت علم بلادهم، ليغنموا ما فيها ويأسروا من عليها. كما أن بعض المغامرين تمكن من تسلق هرم النفوذ والسلطة حتى بلغ القمة . وقد تطرقت معاهدة الصداقة والتجارة لقضية القرصنة والأسرى في البند السادس عشر الذي جاء نصه بهذا المعنى:

بما أن هذه المعاهدة سمحت بحرية التجارة، وضمنت سلامتها في كلا البلدين، فإن صاحب الجلالة سيعمل على إطلاق سراح جميع الأسرى والمعتقلين؛ رعايا جمهورية الأقاليم المتحدة الموجودين في المغرب، وسوف يصدر أمره بعدم أسرهم في المستقبل أو السماح ببيعهم في بلاد صاحب الجلالة .

وعلى الرغم من عبارات هذا النص المتفائلة، فإن ملف الأسرى استعصى على الحل، وظل على مدى قرنين حلقة مفتوحة في علاقات المغرب بالدول الأوروبية؛ إذ لا تكاد تخلو مناسبة تفاوضية من التطرق لموضوع القرصنة ولمصير الأسرى. كما أن انهيار الحكم السعدي وتعدد مصادر السلطة في المغرب، أبقيا بنود هذه المعاهدة جسما بلا حياة إلى أن ترسخ نظام الأسرة العلوية مع السلطان مولاي إسماعيل.

وبموازاة مع انهيار الحكم السعدي عمد الهولنديون إلى نهج سياسة التقارب مع الزعامات المحلية وبخاصة مع سلطة الحكم الذاتي في سلا. فأبرموا معها اتفاقيات تهم بالدرجة الأساس فكاك الأسرى. بيد أن تدهور الأوضاع السياسية في عموم المغرب خلال هذه الحقبة التاريخية، أفرغ تلك الاتفاقيات من محتواها . وقد بلغت القرصنة في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السابع عشر أوج نشاطها. ومع الإقرار بكون نصيب المغاربة في هذا الميدان لم يرق إلى مستوى ما حققه الجزائريون ، فمن المؤكد أن السفن المنطلقة من المغرب كانت بدورها قادرة على إلحاق أكبر الضرر بالتجارة الدولية، وبخاصة بعد دخول الجزائر في سلم شبه كامل مع الدول الأوروبية وانتقال بعض المغامرين الدوليين للاستقرار في سلا، ومنهم بطبيعة الحال مراد الرايس ذي الأصل الهولندي. وبالنسبة للهولنديين فقد أسهمت فترات تقاربهم مع المغاربة في انتعاش التبادل التجاري وانخفاض حالات اعتراض سفنهم التجارية.

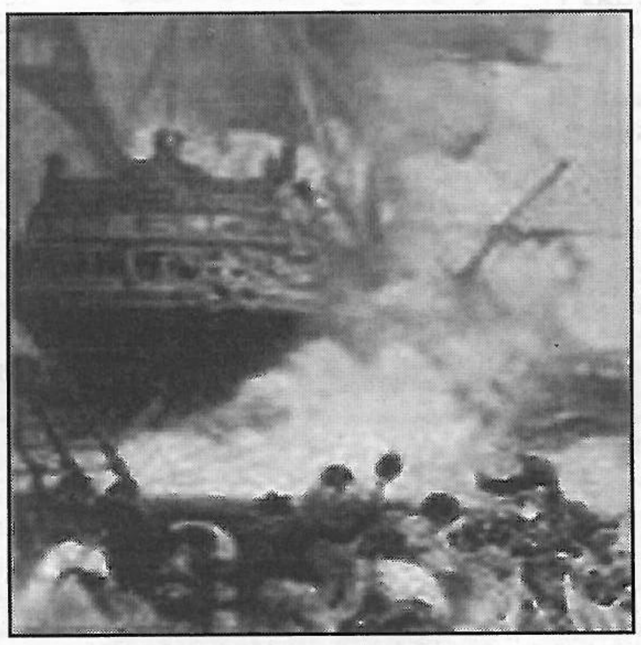

وعادت معاهدة "السلم والتجارة" الموقعة بين مولاي المولى إسماعيل والجمهورية في مايو 1683إلى التاكيد على حرية التجارة والملاحة، وحددت شؤون القرصنة والأسرى في ستة بنود . فقد نص الشرط الثاني عشر على أنه : "من يوم تمام الصلح لا يوسر يهودي ولا نصراني من حيز الافلمنك ولا يجبر قنصال ولا غيره على فداء أسير تاسر قبل الصلح وإن كان للمخزن إلا من أراد الفداء

يعين من يثق به ويوجهه إلى ذلك فيرفق به ويخفف عنه، وكذلك القنصال وأصحاب الاسطادوس المعينين لصخرتهم [كذا] يكونون موقرين محترمين وليسوا كغيرهم ومن احتاج إلى باصابرط فعلى أيديهم".

ومع بداية القرن الثامن عشر، وبخاصة بعد سنة 1715تدهورت العلاقات المغربية الهولندية بشكل أوصلها حد القطيعة. وسيستمر الحال على ما هو عليه لما يربو عن ربع قرن. وكنتيجة لهذه القطيعة ، تضاعفت عمليات اعتراض السفن الهولندية في مياه الأطلسي والمتوسط. فخلال خمس سنوات فقط (من (1715-1720) غنم المغاربة والجزائريون معا أربعين سفينة هولندية، وأوقعوا في الأسر أكثر من 900أسير . ومع الإقرار بأن الرقم الأخير مبالغ فيه ، فإنه يقربنا بمعالم الصورة التي كان يعرفها واقع الملاحة في المنطقة، وبالنشاط المكثف للقراصنة في الثغور المغاربة.

افتداء الأسرى

ليس بالإمكان معرفة العدد الحقيقي للأسرى الهولنديين في المغرب. وإجمالا لم يتجاوز أبدا مائة أسير كأعلى تقدير . ويعزو Piet Boonالسبب إلى كون غالبية المأسورين، سواء في المغرب أو في الجزائر، لا يمكن احتسابهم ضمن رعايا الجمهورية . ولذلك ينبغي التعامل بحذر مع الأرقام المبثوثة في ثنايا بعض المصادر الأجنبية، أو ما تواتر عن الإخباريين المغاربة. وعموما كان مصير الجميع مرتبطا بمدى تقدم المفاوضات، وبمدى استجابة طرف لمطالب الطرف الآخر. وكانت عملية افتداء الأسرى تبدأ بمجرد وصول أنباء الأسر إلى الوطن الأم؛ إما عن طريق مبادرات خاصة يقوم بها الأقارب والكنائس وأهل البلد لجمع الأموال. وإما عبر قنوات رسمية على مستوى مؤسسات الجمهورية.

قبل القرن السابع عشر كان القراصنة الهولنديون يجهدون في أسر المغاربة من أجل مقايضتهم بمواطنيهم عند الضرورة. ثم بعد ذلك أنشئت في مختلف المدن الهولندية مراكز جمع التبرعات سُميت "صناديق العبيد"، وهي في الواقع "شركات تأمين" يودع فيها المشاركون مبالغ مالية معينة يلتجئون إليها عند الحاجة . وفي كل الأحوال، ورغم الجهود المبذولة يتحول أسر البعض إلى إقامة شبه دائمة. فمن الأسرى من يتحول إلى الإسلام ويصبح مواطنا يقوم بخدمة المخزن . ومنهم من يتشبث بدينه راضيا بالقضاء والقدر، وقسم آخر يجرب سبيل الفرار فتكون العاقبة إما الفشل وما يصاحبه من عقاب، وإما اجتياز البحر والعودة إلى الأهل والأصدقاء.

وكانت مهمة افتداء الأسرى يتكفل بها القناصل المعتمدون سواء في المغرب أو قادس أو جبل طارق. وإذا دعت الضرورة يوفد الهولنديون بعثات دبلوماسية خاصة. ويظهر أنها كانت تستعين كذلك بخدمات رعاياها السابقين الذين استقروا في الثغور المغاربية، مثل مراد الرايس. ففي العام 1640وفدت الحكومة الهولندية Anthonis van Liedekerke على رأس بعثة دبلوماسية شملت أيضا النحات والرسام الهولندي Adrian Mathamالذي سجل انطباعاته عن المغرب في يومياته، وابنة الرايس مراد Lysbeth Janszالتي فضلت البقاء بجانب والدها في المغرب . وعلى الرغم من مظاهر الحفاوة الكبيرة، فإن البعثة أخفقت في تحقيق مهمتها بحجة انعدام سلطة المخزن على ثغر أكادير حيث كان الهولنديون يتواجدون . و?قبيل استتباب الأمر للعلويين جرت محاولة أخرى فاشلة لفكاك الأسرى الهولنديين قام بها القنصل Lieve Kerstmanفي سنة . 1663 وتلتها محاولة القنصل الهولندي في سلا Johanes Smits Heppendorpفي سنة . 1692وفي سنة 1699سيتمكن المفوض الهولندي في سلا Cornelis Smitsمن فدية 95هولنديا ؛ وهو على ما يبدو العدد الإجمالي للأسرى الهولنديين المتواجدين في المغرب حتى ذلك الحين.

ومع إطلالة القرن الثامن عشر وعودة الأوضاع الداخلية في المغرب إلى الاستقرار تدريجيا، شرع الجانبان المغربي والهولندي في المباحثات، بعد انقطاعها لبضع سنوات، من أجل استئناف التجارة وتبادل الأسرى. وفي هذا الإطار تمكن القنصل الهولندي Matthijs Franckenخلال العام 1712 من افتداء 11أسيرا منهم 6من أصل سويدي . وبعد حوالي ثلاث سنوات طرد السلطان إسماعيل هذا القنصل؛ الأمر الذي اعتبره الهولنديون بمثابة إعلان حرب .

عمليات افتداء الأسرى تواصلت طيلة هذا القرن. فباستثناء عدد قليل مثل Jan Dekkerالذي عاش أطول مدة في المغرب (28سنة)، ورفيقته في الأسر Maria ter Meetelenالتي قضت 12سنة كلها في مكناس تقريبا ، كانت مدة الحجز لا تتعدى في الغالب الأعم أربع سنوات . فقد كان المبعوثون الهولنديون أو أقارب الأسرى ينجحون أحيانا في فدية بعض مواطنيهم؛ كما حدث في العام 1738حينما تمكن القبطان Jan Hoeufمن فدية تسعة أسرى، وبعده بسنوات قليلة غادر المغرب أسيران من أمستردام وأسير واحد من مدينة زيركزي ((Zierkzeeبعد أن تمكن ذويهم من "شرائهم" . وفي سنة 1743نجحت الاتصالات الهولندية بباشا مدينة تطوان في إطلاق سراح 14أسيرا آخرين، منهم -Jan Cornelis Dek ker وMaria ter Meetlenالمشار إليهما.

وبعد خمس سنوات من هذا التاريخ، أي في سنة 1748انطلقت المفاوضات بين البلدين على أعلى مستوى، حينما فوضت الجمهورية قنصلها العام في جبل طارق F. Butlerو أخاه Lewisتفويضا تاما لتجديد الصلح مع المغرب . لكن قبل أن يتوصل الطرفان إلى عقد الصلح، تمكن المغاربة من أسر بارجة هولندية وعلى متنها 132بحارا كانت ضمن ثلاث قطع حربية حركتها هولندا للضغط على المغرب . ويبدو أن هذه الحادثة عجلت في دفع الهولنديين إلى تجديد الصلح، فوقعوا اتفاقية "السلم والتجارة" بتاريخ 21نوفمبر .1752

ولم تمض بضع سنوات حتى اعترى التوتر علاقات البلدين مجددا. واستمرت حالة اللاسلم واللاحرب إلى فاتح يناير 1775حينما أعلن السلطان الحرب على الجمهورية ؛ وهو إعلان وضع حدا لخلاف تمطط على مدى ربع قرن تقريبا. وفي الخامس من شهر غشت 1776تمكن الرايس الحاج علي بيريس

والرايس الطيب لعلو ، من اعتراض الباخرة الهولندية "ماريا كتارينا" والعودة بها إلى العرائش . وكان على متن "ماريا كتارينا" 23بحارا و 12جنديا مسافرا. وفي نفس الوقت تمكن الرايس عواد من احتجاز مركب هولندي آخر كان على متنه 23بحارا مع قباطنتهم Cornelis Hiddesو .Eysse Eysses وبذلك ارتفع العدد الإجمالي إلى 58أسيرا. ولن يطلق سراح هؤلاء إلا بعد تجديد الصلح في يونيو 1777دون دفع أية فدية مالية في حقهم.

وبمقتضى هذه الاتفاقية يتم تبادل الأسرى "راس براس"، دون زيادة في المال من الجانبين (الفصل الأول). وفي حالة وجود أسرى مسيحيين في المغرب، وليس في هولندا أسرى مغاربة أو العكس، فالفدية محددة في "ماية ريال كبيرة عن كل أسير والاسارى كلهم سواء لا يعتبر فيهم غني ولا فقير ولا مرتبة" (الفصل الثاني). أما الشيخ الذي جاوز السبعين "والمرا مطلقا كيفما كانت كبيرة وصغيرة لا سبيل لاحد عليهم ولا يوسرون" (الفصل الرابع) .

حياة الأسر

أصبح ملف الأسرى من اختصاص السلطان وحده منذ أن أصدر مولاي إسماعيل ظهيرا بهذا المعنى سنة 1678معتبرا الأسرى "ملكا خاصا" له . فلم يعد بعد ذلك يحق لأي أحد غيره تقرير مصيرهم، أو التفاوض بشأنهم مع الأمم الأوربية. وجاء هذا القرار، في نظر الأوربيين، ليعزز قبضة السلطة المركزية، ويسحب الورقة من يد رياس المراكب أو من سلطة حكام الموانئ والثغور التي تنطلق منها السفن "القرصانية"، خاصة سلا والعرائش وتطوان. وكان الأوربيون عادة ما يعقدون صفقات مع هؤلاء دون الحاجة إلى إذن مسبق من السلطان .

ولقد شكلت عواصم المغرب التقليدية، مكناس وفاس

ومراكش ، مراكز رئيسة لتجمع الأسرى. فقد كانت تضم أحياء خاصة تأوي هؤلاء، وفيها يمارسون حياتهم اليومية وطقوسهم الدينية، بمعزل عن الآخرين. ومن أجل كسب قوتهم اليومي يتم تشغيلهم في أعمال البناء وقلع الأحجار والفلاحة. أما ذوو المهن والمهارات فكان حظهم أحسن بكثير من رفاقهم؛ إذ كان السلاطين والأمراء يستفيدون من كفاءاتهم ومهاراتهم سواء في ميدان البناء أو الزراعة أو الطبخ وغير ذلك . ومنهم من كان يتعاطى مهنة التطبيب. أما من يعتنق الإسلام فكان يندمج في المجتمع، ?ويتبوأ مكانة لها شأن؛ بحيث يتم توظيف هذه الفئة كخبراء في البحر والسلاح وأعمال الترجمة.

تكاد الروايات الأوربية تجمع على قسوة الحياة التي يعيشها الأسرى المسيحيون في المغرب. ودون استبعاد كثير من الحالات الدالة على القسوة، فمما لا شك فيه أن هذه الروايات تجنح إلى المبالغة والتهويل، كونها تغذي رأيا عاما مشبعا بصور المواجهات بين الإسلام والمسيحية. ولأنها كذلك تتعمد إدخال عنصر التشويق والإثارة لشد القارئ ودفعه للاطلاع على "عالم" غريب تتمازج فيه الأسطورة مع الواقع؛ عالم "المجانيب" و "المجانين" و "الكسالى" و "التعساء"، وعالم "القراصنة" الذين كانت قصصهم تقلق بال الأوربيين بمجرد تفكيرهم في ركوب البحر. وتنقل لنا مذكرات الأسرى الهولنديين صورا متقاربة عن حياة الأسر ونوع الأشغال والأعمال التي يقومون بها. وبصفة عامة كانت معاملة المغاربة تبعد كثيرا

عن مشاهد التعذيب والوحشية التي رسخت في ذهن الأوربيين. فأسرى الباخرة "ماريا كتارينا" على سبيل المثال، عوملوا معاملة حسنة شهد بها القنصل الهولندي بلونت (Webster Blount)الذي أكد أن المغاربة عاملوا الهولنديين معاملة لائقة. ويعتقد القنصل بلونت أن المغاربة ما كانوا أبدا ليحسنوا معاملتهم، ولا سمحوا للآخرين بمساعدتهم لو لم يكونوا متأكدين من رضا السلطان عن تصرفهم .

قبل نقل جميع الهولنديين إلى مراكش اختار منهم الطالب محمد القادوس سبعة من ذوي المهن المختلفة، ليلحقهم بمن كان في خدمة السلطان من الدينماركيين والجنويين. ولما التحق الباقي بالعاصمة مراكش خصص لهم استقبال يليق بالسفراء. إذ رحبت بهم كتيبة من الفرسان على أنغام الموسيقى . ولم يكتف السلطان محمد بن عبد الله بإصدار أوامر الاعتناء بهم فحسب، بل حرص على استقبالهم شخصيا، وبحضور نائب القنصل الهولندي. وبعد أن أكد لهم السلطان بأنهم ليسوا أسرى ولا عبيدا، أمر بتوزيعهم على بساتينه مخصصا 15مثقالا لكل واحد منهم و 11ذراعا من الكتان لصنع الألبسة وأكلا إضافيا للذين يعملون في القصر. أما المسنون فقد سمح لهم بمرافقة القنصل الهولندي إلى الصويرة. هذه المعاملة أكد عليها بلونت في رسالة بعث بها إلى حكومته بتاريخ 10نوفمبر ?1776من بين ما جاء فيها: "وعلى عكس الاعتقاد السائد في أوربا بأن الأسرى يعاملون معاملة سيئة في هذا البلد، أعتقد أنه من الضرورة إبلاغكم بشكل دقيق بخصوص أسرى الأمة. واود أن أضيف أن العمل المطلوب منهم حتى الآن خفيف جدا ولا يقومون باي عمل إطلاقا أيام الأحد" .

يان كورنيليس ديكر (Jan Cornelisz Dekker)

ولد يان كورنيليس ديكر ببلدة Hemشمال شرق مدينة Hoornبإقليم هولندا الشمالية، سنة ?1701 وعُمّد في كنيسة البلدة يوم 23اكتوبر. وبعد عام انتقلت عائلته للإستقرار في بلدة Zwaagشمال مدينة هورن حيث قضى طفولته مع شقيقاته وأخ له مات صغيرا. وباستثناء يوم عودته من المغرب، لم يركب يان ديكر البحر إلا مرة واحدة في رحلة الأسر. وكان ذلك على ظهر الباخرة . De Kroonvogelيوم 3 غشت 1715غادرت الباخرة ميناء تيسل على بحر الشمال في اتجاه تونس وتركيا وعلى متنها 17 بحارا. وبعد شهر من الإبحار اعترضتها سفينة مغربية في عرض البحر على بعد 30ميلا جنوب شرق رأس . St. Vincentخلال السنوات الأولى لم يثر مصير يان ديكر كبير اهتمام في بلدته. وابتداء من 1724شرعت المؤسسات الدينية في إثارة قضيته وجمع التبرعات من أجل افتدائه. ولهذا الغرض تم جمع مبلغ 2500خُلدة (فلوران) على صعيد إقليم شمال هولندا كله. وفي شهر أبريل من سنة 1743أطلق سراح يان ديكر مع 14هولنديا آخرين، ووصل أمستردام في 21سبتمبر ليبدأ حياة جديدة يطبعها يطبعها العوز. فباستثناء صدقات بعض المحسنين ومبلغ 4خلدة في الشهر كان يقتطع من المبالغ التي كان أهل بلدته جمعوها في السابق، لم يجد يان ديكر ما يعيش به. وفي 19سبتمبر 1750عقد قرانه على يانتشي ياكوبس (?Jantje Jacobsلكنه كان زواجا قصير الأمد إذ توفي يان ديكر يوم 30يناير .1754وبعد ستة أشهر توفيت زوجته .

المذكرات

بعد وصول يان ديكر إلى بلدته، باشر على ما يبدو في كتابة أو سرد قصة حياته في المغرب لتصدر عن مطابع Jacob Duynفي مدينة هورن قبل سنة 1748 بقليل تحت عنوان: "وصف الأحداث العجيبة

والفريدة التي عاشها يان ديكر طيلة سنوات أسره الـ 28في المغرب"، تحتوي على 69صفحة من القطع الصغير. ويستنتج Piet Boonالذي أعاد نشر هذه القصة سنة 1987أن يان ديكر لم يكن وحده قادرا على الكتابة، وقد يكون تلقى مساعدة من غيره.

لا تختلف رواية يان ديكر من حيث المبنى كثيرا عن مثيلاتها. وقد بينت دراسة مجالي مورسي عن توماس بيللو أن البناء السردي لروايات الأسرى الأوروبيين يتكون عادة من خمس مراحل: الصراع ضد القراصنة في البحر، الرحلة إلى القصر، العبودية، اليأس ثم انبعاث الرجاء مع البعثات الديبلوماسية . هذه المراحل الخمس يمكن استخلاصها بسهولة من رواية يان ديكر. وباستعراض أحداث الرواية وحوادثها نلاحظ أن الراوي يتجاوز التفاصيل كثيرا وكأنه يستعجل النهاية. فلا يتحدث إلا لماما عن التقلبات الداخلية التي عرفها المغرب خلال الفترة الطويلة التي أقامها في المغرب، لاسيما أنه عاصر فترة لا بأس بها من حكم مولاي إسماعيل، وصراع أبنائه الثلاثة على الحكم: أحمد الذهبي وعبد المالك وعبد الله. وباستثناء إشاراته المقتضبة إلى الصراع الذي دار بين أحمد الذهبي وأخيه عبد المالك، لا نجد أثرا للفوضى العارمة التي حدثت نتيجة الفراغ الكبير الذي خلفه موت السلطان مولاي إسماعيل. ولعل الجديد في هذا الصدد هو إشارته المقتضبة إلى مقتل 66من المسيحيين في يوم واحد خلال المواجهة الدامية بين أحمد الذهبي وأخيه عبد المالك. ولم يشر كذلك لا إلى الجفاف الأكبر (1737ذ ?(1738ولا إلى انتشار الطاعون (-1743 (1742الذي أودى بحياة الألوف .كما أنه يتغاضى عن ذكر الأسماء سواء أسماء الأمراء الذين خدمهم ، أو أسماء مواطنيه الهولنديين الذين عاشرهم خلال مدة الأسر. وحتى السلطان مولاي إسماعيل لم يأت على ذكر اسمه إلا مرة واحدة حين وافاه الأجل.

وفي آخر الحكاية تطرق لوصف بعض العادات والتقاليد في المغرب، وأتى على وصف المدن التي عاش فيها أو مر بها مثل مكناس وفاس وتافيلالت وتطوان وطنجة والعرائش. كما يضع المغاربة في إطار قاتم، فهم في نظره "متوحشون" و "كسالى" و "عديمو الثقة" وغشاشون". وبطبيعة الحال توقف بعض الشيء عند محاولات إجباره على الدخول في الإسلام، وما جرى له من جراء امتناعه، والخدمات التي قام بها طيلة مدة الأسر من خادم يتبع جواد الأمير إلى حارس لمخازن القوت والذخيرة ومساعد لصانع السلاح فحارس لبوابة السلطان.

أما من حيث الشكل فالمذكرات حررت بأسلوب تطبعه الركاكة والغموض في بعض الأحيان. ولم يكن من السهل نقل النص حرفيا إلى العربية. وقد حرصت قدر المستطاع على نقل المعنى مع تصرف شبه تام في علامات الوقف. والتجأت إلى حذف بعض الكلمات المكررة التي تؤدي المعنى ذاته، كما تصرفت في ترجمة بعض المصطلحات وحاولت إرجاعها إلى أصلها المتداول في الوثائق والمصادر المغربية، مثل "السلطان" بدل "الملك"، و "الرايس" بدل القبطان المغربي. وحافظت على كلمة "الباسبورط" كما كانت ترد في الوثائق المغربية. وحتى يكون النص سهل القراءة أضفت عناوين فرعية وضعت بين معقوفتين.

يتبع...

-1 وتسمى أيضا معاهدة "الصداقة والتجارة"، وهي الأولى من نوعها في تاريخ علاقات المغرب مع أوروبا الغربية بعد القرون الوسطى.

-2 وقعها عن الجانب المغربي سفير السلطان زيدان القايد أحمد عبد الله المرني، ومساعده الذمي المغربي .Samuel Pallacheوعن الجانب الهولندي: .C Biessmanو .Cl. J. Symsو .J. Magnus.وصادق عليها السلطان زيدان في مراكش يوم 24محرم 1020هـ/ 8 أبريل .1611وقد شكلت هذه المعاهدة أساسا لما سوف يوقعه المغرب من معاهدات واتفاقيات مع البلدان الأوروبية. راجع نص المعاهدة في:

Le Comte Henry de Castries, Les sources inédites de l histoire marocaine, 1e série, Dy-nastie Saadienne, T; 1, Paris & La Haye, 1906, pp. 577-621.

-3 قبل أن يستقر الوضع العسكري تماما لصالح السلطان زيدان، عاش المغرب فترة من الحرب الأهلية بين المتنافسين على العرش. أما الجمهورية فكانت في سباق مع الزمن للتخلص نهائيا من الوصاية الإسبانية، والتفرغ لرعاية أسطولها التجاري الآخذ في إخضاع البحار بشكل لافت للنظر. وكانت "جمهورية الأقاليم السبعة المتحدة" قد تأسست سنة 1597بعد أكثر من عشر سنوات من الحرب ضد الأسبان.

-4 كانت إسبانيا تعد عدوا مشتركا للمغرب وللهولنديين على حد سواء. وللإشارة فإن معاهدة "الصداقة والتحالف" تزامنت وقرارات الملك الإسباني Philip III المشهورة والهادفة إلى تطهير التراب الإسباني من المسلمين. وكان آخرها قرار 18يناير 1610 الذي نص على طرد كل من كانت له بالإسلام صلة من قريب أو بعيد. راجع:

Roger Coindreau, Les corsaires de Salé, éds. La Croisée des Chemins, (n.éd.), Rabat, 1993, p. 35

مع مطلع القرن 16عرف التبادل التجاري عبر القارات نقلة نوعية لم يُعرف لها مثيل في السابق. وتمكن الهولنديون من تبوء مكانة واعدة في التجارة الدولية؛ بحيث باتت سمعتهم كشعب قاهر للبحار تتأكد مع مرور السنين، وسرعان ما أصبحت مدينة أمستردام مركزا تجاريا عالميا على حساب ميناء مدينة انتورپن (أنفرس) البلجيكية. انظر:

Jonathan I. Israel, Nederland als centrum van de wereldhandel (1585-1740), 1991.

في أكتوبر 1596اطلق الهولنديون سراح أحد أعيان فاس - الذي أسروه قبل ثلاثة أشهر أثناء حصارهم لمدينة قادس الإسبانية - وأرسلوه "هدية" للسلطان أحمد المنصور. وفي سنة 1605اطلقوا سراح (100مائة) مغربي كانوا قد أسروهم من على متن المراكب الإسبانية.

De Castries, op.cit., pp. IV-V

استخدام المصطلح في هذا السياق يتجاوز النقاش الدائر حول ما إذا كان هذا النوع من النشاط جهادا بحريا أو "حرفة" مربحة لكل من ملك زمامها.

نقصد النشاط الذي تطور في حوض المنطقة المتوسطية بعد القرن الخامس عشر.

3 أصبحت مدينة سلا بعد وصول أفواج الموريسكيين والمغامرين الهولنديين إليها قاعدة مرهوبة الجانب في ميدان النشاط البحري راجع:

Bartolomé Bennassar et Lucile Bennassar, Les Chrétiens d Allah, Paris, 1989, p. 34ص

De Castries, op.cit, p. IX

مثال المغامر الهولندي يان ينسن ((Jan Jansz. المعروف بالرايس مراد وأصله من مدينة هارلم الهولندية. اعتنق الإسلام، وعاش أولا في مدينة الجزائر قبل أن تعقد الصلح مع عدد من الدول الأوروبية حوالي سنة 1623. بعد ذلك انتقل مراد الرايس إلى سلا حيث اتخذها مركزا لنشاطه. بعض التفاصيل عن هذا المغامر منشورة في:

L. C. Vrijman, Kaapvaart en zeeroverij, Amsterdam, 1938, pp. 218-235

De Castries, op.cit., p. 620

اتفاقية 1651التي عقدها مع السلاويين القبطان ? الهولندي Gideon Wiltواتفاقية سنتي 1655و1657 اللتين عقدهما مع هؤلاء نائب الأميرال De Ruyter. راجع:

Dr. K. Heeringa, Bronnen tot de geschie-denis van de Levantsche handel, 2e. deel, 1661-1726, M. Nijhoff, Den Haag, 1917, p. 550

و تذكر بعض المصادر أن عدد الأسرى المسيحيين في الجزائر تراوح في العشرينات من القرن السابع عشر ما بين 20و 30ألف أسير. في:

Mr. H. Hardenberg, Tussen zeerovers en Christenslaven, Leiden, 1950, p. 3.

و صادق السلطان إسماعيل على هذه المعاهدة يوم 10رمضان 1095/21غشت ?1684وتتكون من 21 شرطا. النص الهولندي موجود في: Groot Placaet-boek, Den Haag, 1658-1770,. والنص العربي الذي لم يُنشر بعد يوجد في: ARA, 1.01.08, Staten Gen-eraal, deel IV, Secrete Casse, N. 12594

كانت علاقات الجمهورية مقطوعة كذلك مع حكام الجزائر.

Piet Boon, Een Westfriese zeeman als slaaf in Barbarije, Schoorl, oktober, 1987, p. 16

درجت الروايات الأوربية على المبالغة لإبراز فداحة ما يتعرض له الأسرى المسيحيين في السجون المغربية. كما بالغ المؤرخون المغاربة لإقامة الدليل على قوة وعظمة السلاطين، وبخاصة مولاي إسماعيل. وتميل الدراسات الحديثة إلى الحذر مستخدمة أرقاما مقبولة.راجع: Ma-gali Morsy, Relation de Tomas Pellow, Paris 1983, pp.19-23

? Johan Cornelis de Bakker, Slaves, Arms and Holy war (1660-1727), thèse, Amsterdam, 1991, p. 16. n. 61.

على سبيل المثال: من أصل 256كانوا محتجزين في الجزائر سنة 1729كان هناك حوالي 200ليسوا من رعايا الجمهورية. وفي أواخر 1733كان في مكناس 56 أسيرا منهم 46ذوي أصول أجنبية. Boon, op.cit, p. 16

homme van Rein, Kapersص ? Ronald Prud en piraten, HD Uitgevers, Hilversum, 1996, p. 75

كثير من هؤلاء تبوء مكانة مرموقة في هرم السلطة؛ في الجيش والشؤون الخارجية والترجمة والتجارة.

تمكن الأسير الإنجليزي ?Thomas Pellowالذي تم أسره صبيا (12سنة)، من الفرار والالتحاق بمسقط رأسه سنة 1738أي بعد 22سنة من الإقامة في المغرب واعتناقه الإسلام وتقلبه في بعض الوظائف. لكنه عاد طوعا إلى المغرب بعد أن وجد نفسه غريبا بين قوم لم يعد يعرفهم أو يتذكرونه. راجع: Morsy, op. cit.

و غادرت البعثة الهولندية ميناء Texelيوم 1 سبتمبر 1640على ظهر البارجة الحربية Gelder-landt.وفي 9ديسمبر رست قبالة سلا، وبعد ذلك توجهت إلى ثغر آسفي. وفي 7مارس 1641وصلت البعثة إلى مراكش حيث خصص لها استقبال كبير، وحظيت بلقاء السلطان 3مرات. راجع: Vrijman, op.cit. pp. 232-234

و وعددهم 73منهم 45كانوا على متن الباخرة Erasmus van Rotterdamو هؤلاء تم افتداؤهم بمبلغ ألفي مثقال وما لزم من الهدايا. أما أسرى الباخرة Maecht van Dordrechtوعددهم 28فلم يفتدوا نظرا لارتفاع مبلغ الفدية: 3آلاف مثقال. Vrijman, op.cit; 234-235

O. Schutte, Repertorium der Nederlandse vertegenwoordigers residerende in het buiten-s-Gravenhage, 1976, p. 383ش.land 1584-1810,

و في هذه السنة توصل الطرفان إلى تجديد اتفاقية 1684: Boon, op.cit., p. 28; Repertorium, op.cit., p. 383

idem

De smadelijke uit-ش ? Johan de Bakker, wijzing van de Nederlandse consul uit Marok-, in, Het Midden-Oosten en Ne-صko in 1715 derland, Coutinho, Muiderberg, 1989, p. 62

idem

ظهرت يومياتها لأول مرة في مدينة Hoornفي العام 1748وأعيد نشرها في كتاب:

Mr. H. Hardenberg, Tussen zeerovers en Christenslaven, 1950, pp. 73-147.

وعلى أساس هذه الطبعة ظهرت ترجمة إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان:

annotation ponctuelle ..., Institut desص L Hautes Etudes Marocaines, Tome XVII, Paris, 1956

Boon, op. Cit, p. 18

Boon, op.cit, p. 19

و سبق لهذين الأخوين أن قاما بدور فعال في إطلاق سراح أسرى سنة 1743.

يتعلق الأمر بالباخرة . t Huis in t Boschوقد ترك أحد ضباطها يوميات تم نشرها في كتاب: Mr. A. Staring: Een zeeman uit de achttiende eeuw, Zutphen, 1948, pp.128-173

على الرغم من إعلان الحرب على هولندا، أصدر محمد بن عبد الله أوامره بعدم التعرض للرعايا الهولنديين، وبتقديم كافة التسهيلات لهم "لمواصلة تجارتهم على هذا الساحل في أمان تام". بل هدد بمعاقبة المخالفين لأوامره عقابا صارما. وهذا ما خلف انطباعا بأن السلطان لم يلجأ إلى إعلان الحرب إلا كوسيلة للضغط على هولندا لتحقيق مطالبه. محمد أمزيان، جوانب من علاقات المغرب الخارجية في القرن الثامن عشر: المغرب وهولندا 1777-1752ش في، البحث العلمي، .ع. ?45س. 1998 31صص.140-121

كان يقود سفينة مسلحة بـ 24مدفعا و 175بحارا.

كان يقود سفينة مسلحة بـ 30مدفعا و 182بحارا.

غادرت Maria Catharia جزيرة تيسل بشمال هولندا يوم 27يونيو في اتجاه سورينام.

أمزيان، مرجع سابق.

تتكون من خمسة فصول، وتشبه في الصيغة والبنود الاتفاقات الموقعة مع الدول الأوربية الأخرى.

أمزيان، المرجع السابق.

Coindreau, op.cit., p. 70, note, 1.

صدور مثل هذا القرار دليل على القوة التي بدأ مولاي إسماعيل يمتلكها على حساب الآخرين. فالمعروف أنه هو الذي تمكن من إدخال أقاليم واسعة من المغرب تحت نفوذ السلطة المركزية. وقبله كانت أقاليم واسعة تخضع لحكام محليين شبه مستقلين. أضف إلى ذلك وضعية سلا الخاصة حينما تكونت فيها جمهورية مستقلة يتصرف سكانها في عائدات البحر تصرفا تاما.

مكناس في عهد إسماعيل، فاس في عهد عبد الله ومراكش في عهد محمد بن عبد الله.

يطلق عليها الكتاب الأوروبيون اسم: "أحياء العبيد".

لمزيد من التفاصيل:

De La Véronne, Chantal, Vie de Moulay après Jo-ص, roi de Fès et de Maroc, dص Isma His-صseph de Léon (1708-1728), Documents d toire Maghrébine, Vol. II, Paris, 1974, pp. 69-72.

تاجر من أصل إنجليزي، خدم الجمهورية الهولندية مدة 37سنة ((1810-1773كنائب للقنصل في الصويرة ثم قنصلا عاما في الصويرة وطنجة.

أمزيان، المرجع السابق.

قد يفهم من حشد الناس في العاصمة وقرع طبول الفرح أن يظهر السلطان لشعبه قوته العسكرية التي بها حقق هذا النصر المبين على النصارى.

أمزيان، مرجع سابق.

باستثناء ما قد يتم الإحالة إليه، كل المعلومات المتعلقة بهذا الشخص مستخلصة من كتاب .Boon ويبلغ طولها 130قدما وعرضها 26قدما بعمق 12 قدما.

ويقول ناشر المذكرات بأن المواجهة أسفرت عن مصرع أربعة بحارة من الجانب الهولندي، غير أن يان ديكر لا يشير ولو بكلمة واحدة لهذه المواجهة، إلا ما جرى بين المركب المغربي ومركب فرنسي حاول المغاربة أسره.

Boon, op.cit., pp. 33-38

Morsy, op.cit.

ibd, p. 31

أنباء هذا الوباء مذكورة في: Maria ter Meetelen, pp. 61-63

و لم يسم سيده الذي خدمه، سنوات طويلة في تافيلالت ومكناس إلا بعد وفاته، وهو الأمير "مولاي المتوكل بالله".

ربما لن يرضى الأستاذ علي الإدريسي بعنوان قراءة كتابه "الخطابي التاريخ المحاصر"، وذلك ليس لأن العنوان بعيد، فيما يبدو، عن المحتوى العميق للكتاب، بل لسبب آخر، وهو أن الأستاذ ليس من عادته في أبحاثه العلمية، أن يجادل أسباب العمل السياسي المباشر ويخوض المعارك الإيديولوجية بالشكل الذي نلفيه عند الكتابات الوطنية ذات الطابع السجالي في المغرب المعاصر.

علي الإدريسي متخصص في الفلسفة، باحث في أنظمة الحضارة، لذا فإن انشغاله بالتاريخ الوطني والحركات الوطنية المغاربية مرتبط بشغفه العلمي ومتابعته للحقيقة ومحبته للحكمة، لكن امتلاك المعرفة التي تأتي بعد البحث العلمي الرصين ينشئ عند صاحبه هموما سياسية ومعاناة فكرية صادقة، ولعل المفارقات التي بسطها في المقدمة والتي كانت وراء تأليف الكتاب إنما كانت كذلك مفارقات شقي بها وعيه طويلا خصوصا عندما بدأ يشاهد المصير المأساوي الذي آلت إليه التجربة السياسية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي في الفكر السياسي المغربي المعاصر.

نستطيع القول، بشيء من التعجل، أن المؤلف الهام للأستاذ علي الإدريسي، دليل للعمل ودعوة للمساهمة في تجديد النظر في الوعي الوطني المغربي الذي ضاعت هويته الحقيقية حينما أصابه الذهول عن لحظة أساسية في التاريخ الوطني المغربي ألا وهي لحظة الخطابي بما هي لحظة تشهد على ميلاد المشروع السياسي الذي بقي ينتظره المغاربة إلى يومنا هذا...

.ذ. عبد الوافي المسناوي

قراءة في كتاب "عبد الكريم الخطابي: التاريخ المحاصر" للأستاذ علي الإدريسي

نحو وطنية مغربية جديدة

الكتاب الذي بين أيدينا، عناية فائقة بالحياة الفكرية والسياسية لشخصية الخطّابي وقد بدا لنا أن الغاية القصوى من تأليفه إنما هي بكامل البساطة رفع يد التلبس على حقيقة المفاهيم السياسية عند زعيم الثورة الريفية، غير أن الجدة في الكتاب تكمن كذلك في كون صاحبه بمقدار ما يسأل ويبحث ويكشف عن الحقيقة فيعلن عنها ويقولها على عادة الواضحين في العلم بمقدار ما تطفو على السطح هموم وانشغالات الذات المفكرة وذلك دليل قوي على أن المعرفة مهما كانت نزيهة ملتحمة بالموضوع فإنها تكون كذلك معرفة بالذات ووعيا بها أي أن العلم أيا كان لا يمكن أن يكون خاليا من العمل وأنه ليس من الهين أن يقلص الباحث من سلطة الذات وانشغالاتها سيما عندما يكون الموضوع قريبا من الباحث وشأنا من شؤونه الفكرية والسياسية...

يعج الكاتب بفضائل متعددة وعلى رأسها صدق العبارة والإخلاص في الإشارة وتنبيه الوعي الغفل، والحق أن الجمع الرفيع بين التحليل التاريخي والنقد الإيديولوجي والصياغة الفنية الذي يميز الكتاب جعل منه خليطا متجانسا يتغذى من معين واحد ويصدر عن مبدأ واضح، بحيث يمكن القول بشيء من المبالغة أن الكتاب لا بالقلم كتب بل ربما كتب بالروح والدم ولعله دم شهداء الثورة الريفية وضحايا زمن الاستقلال الغاشم...لكن مهما تكن طبيعة الكتابة التي باشرها المؤلف، فإن الثابت منها هو استقصاء حقائق تجربة الخطابي وإماطة اللثام عن المغالطات التي روج لها مؤممو التاريخ على حد تعبيره الأثير، وبذلك جاءت صفحات الكتاب طافحة بجرأة فكرية تأبى المسايرة والمهادنة وتأخذ صيغة المرافعة التي تدافع عن عمق وأصالة المشروع الوطني السياسي لمحمد بن عبد الكريم الخطابي.

عندما يكون المرء رجل علم، فإن شغله الشاغل بلورة النتائج العلمية وقد يكتشف في عمله العلمي، أنه مدين للعلماء الأوائل، ومعنى ذلك أن لكل باحث في ميدان من ميادين المعرفة والعلم سلف، ولست أدري كيف أني كنت أميل إلى الاعتقاد أن الخطابي في كتاب "الخطابي والتاريخ المحاصر" ينزل منزلة السلف الصالح عند الأستاذ علي الإدريسي، لذا نجد الكتاب يتعقب الآثار التي تركها الخطابي ويقتفي سيرته الفكرية والسياسية ويسلك دروبه النضالية الشيء الذي جعل الكتاب يعبر بصدق عن مراحل الحياة السياسية للرجل، نشأته زمن الحماية أو قل إذا شئت زمن تكالب القوى الإمبريالية على المجتمع المغربي، خوض الحرب الظافرة ضد الاحتلال الإسباني والفرنسي، دلالة استراتيجية إنشاء الجمهورية ثم أخيرا الهزيمة والإجلاء فالنزول في القاهرة لمواصلة الكفاح حتى الموت.

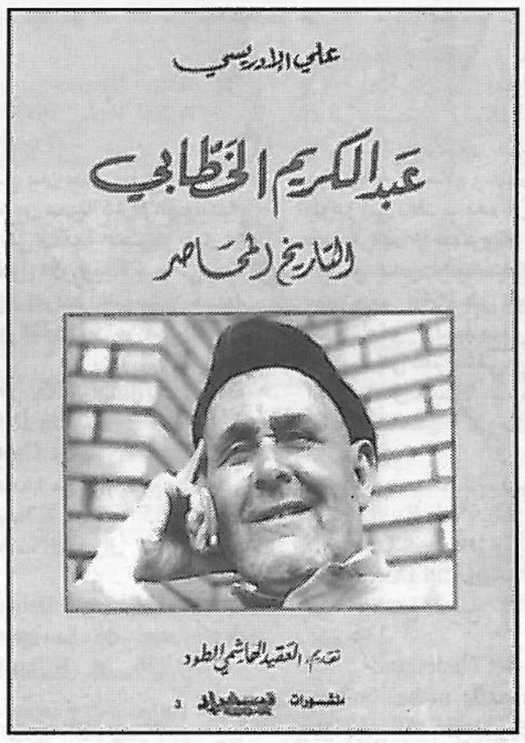

على الرغم من تباين فصول الكتاب عن بعضها البعض من حيث مادتها المعرفية فإن القاسم المشترك بينها هو ارتكازها على الوثائق والمستندات والأرشيف، مما جعل متونها تتمتع بالتاريخية والمصداقية وساعد على ترتيب وتصنيف الوقائع التي تؤسس التجربة السياسية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي وقاد أخيرا إلى البحث عن المعنى واستخلاص العبر ثم ركوب مغامرة التأويل.

الحقيقة أن الأستاذ علي الإدريسي يؤرخ لمادة تاريخية دسمة يمكن اختزالها في حدثين أساسيين وهما: حرب الريف: ظروفها وملابساتها، ثم موقف قادة استقلال المغرب من التجربة السياسية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي.

بسط الكتاب القول في طبيعة وأسباب حدوث الحماية بالمغرب، وسلط الضوء على فكرة الجمهورية التي أسسها الخطابي مبرزا ضرورتها السياسية، كما تصدى لما أسماه بثقافة النسيان، وترجم بدقة وأمانة لحياة أسرة الخطابي قبل وبعد المنفى مع الإشارة العابرة إلى رياح التاريخ التي جرت بما لا تشتهيه السفينة التي ركبها الزعيم العائد من المنفى حيث النزول في القاهرة وبداية رحلة الأتعاب والخصومات الطويلة مع قادة وأصحاب "الشرعية الدستورية" في النضال ضد الاستعمار.

الظاهر أن الكتاب لا يهتم بتجربة الخطابي السياسية من حيث هي تجربة تؤول إلى وقائع وأحداث تاريخية بعينها، بقدر ما يهتم بها كتجربة تحمل قيمة سياسية ودلالة إيديولوجية، وهذا لا يعني بطبيعة الحال أن الكتاب يهمل أهمية الأرشيف والإستوريوغرافيا في معرفة حقيقتها وبعدها السياسي الأصيل، فلا شك أن المؤرخ المحترف يدرك مدى تشعب المادة التاريخية التي يستحضرها الكتاب. وهكذا فعلاوة على القيمة التاريخية الوثائقية للكتاب فإنه ينطوي على مضمون معرفي جلي ونفحة إيديولوجية. ولذلك آثرت التعامل مع الكتاب على أساس أنه يصدر عن رؤية واضحة وحدس مركزي سمح بالتعاطف مع التجربة السياسية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي والنفاذ فيما تنفرد بها من خصوصية فذة، هذا لا يعني أن الكتاب يترك في الظل الشواهد التاريخية الساطعة ويقفز عن الاستدلالات العقلية العارمة بل هناك خيط ناظم يشد بنية الكتاب ويلحمها بحيث يمكن القول أن الأسئلة التي تخترق الكتاب برمته والتي تهم بالأساس طبيعة الكفاح الوطني التحرري لمحمد بن عبد الكريم الخطابي ثم صداه في الوسط السياسي المغربي قبل وبعد الاستقلال إنما كان وراءها سؤال عميق وهو: إذا كانت التجربة السياسية والعسكرية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي كبيرة وعظيمة، فكيف حصل استئصالها من الذاكرة الوطنية ولماذا باتت تجربة سيئة السمعة داخل بلدنا الأمين؟

التملك المعرفي لملحمة الخطابي: من خلال " الخطابي والتاريخ المحاصر"

يفسر الكتاب نشأة شخصية الخطابي بردها إلى "أزمنة مختلفة وبيئات مختلفة"، الخطابي قاض مشغول بقضايا المسلمين لكنه خبير بالثقافة الأوروبية الحديثة التي صادفها يوم كان موظفا في الإدارة الإسبانية بمليلية المحتلة. أما الظرفية التاريخية للرجل فكان يطبعها التأخر التاريخي الفظيع الذي كبل المجتمع المغربي بقيود شتى ودفع جهاز المخزن إلى طلب الإصلاح والحماية.

وصف الكتاب أحوال المغرب زمن الخطابي قائلا:" لقد كان كل شيء صالحا لشوى الخرفان بعد أن تم ذبحها في غفلة من راعيها".

لم يكف الخطابي، وهو المثقف الوطني السياسي المتنور، ليرضى بالتبعية الغاشمة للاستعمار الغربي ولعله في ذلك قد أخذ الورد من أبيه الفقيه الذي أبرز الكتاب أنه كان بالمرصاد لفتنة بوحمارة. المهم عبأ الخطابي أهالي الريف تعبئة إيديولوجية شاملة تضع حدا للحقد والاقتتال والعصبية القبلية وتلتف حول الزعيم لمواجهة تحدي الاستعمار الأسباني والفرنسي فحصل الانتصار لشعب صغير في العدد والعتاد، كبير في الهمة والتضحية على دولة إسبانيا ثم دولة فرنسا العريقتين في النظام والانضباط

يرى الأستاذ علي الإدريسي في كتابه أنه لولا تكالب القوى الإمبريالية ولولا لجوؤها إلى استعمال الغازات السامة لما تعرض الزعيم فيما بعد للهزيمة والاستسلام، ومع

تتمة

ذلك فإن الهزيمة لم تلغ من التاريخ وصمة عار على جبين المارشال الفرنسي ليوطي. ثم إن الهزيمة لم تزد الخطابي إلا فخرا، يستشهد الكتاب في هذا الصدد بكلام جاك بيرك، حيث قال هذا الأخير:" (...) أما إنسحاقه الأخير أمام قوى تفوقه حجما فلن يزيده إلا بروزا ". كما من المعروف أن انتصارات الخطابي الظافرة توجت بتأسيس الجمهورية، وقد قيل الشيء الكثير عن أسباب وأهداف الخطابي منها إلا أن الكتاب لم يتواني عن الرد على الأباطيل التي نسجها إيديولوجيو الحماية وعملاء الحزب الاستعماري وذلك بالاعتماد فقط على ما دعاه الأستاذ علي الإدريسي "بسلطة العلم والضمير".

بعد تحليلات دقيقة توضح ضرورة الجمهورية وغاياتها تخلص إلى نتيجة مؤداها أن الفهم السيئ لطبيعة الجمهورية والذي جعل منها شكلا من أشكال التمرد على شرعية العرش العلوي راجع إلى إيديولوجية وعقيدة ليوطي التي حسبت مفهوم الدولة عند الخطابي "تهديدا وفتحا إسلاميا لأوروبا".

إن الذي حز في نفس الإدريسي تأثير الإغراءات الفرنسية الاستعمارية على السلطان مولاي يوسف ومن بعده قادة حزب الاستقلال مما جعل هؤلاء يصف الخطابي بالثائر المتمرد وبجرثومة العصيان.. ومع ذلك فإن صاحب الكتاب وهو ينظر إلى ما جرى على مسرح التاريخ بعين العقل يلمس العذر عند هؤلاء في كونهم عاجزين عن فهم مكر التاريخ. وتجدر الإشارة أن الكتاب في هذه النقطة لا يعمم، فالأستاذ علال الفاسي مثلا صرح بكون الخطابي رفض إغراءات ومطالب إسبانيا لكونها "لا تتفق مع ما يريده الأمير في حرية تامة لسائر مناطق المغرب".

إن الغاية السياسية في إنشاء الجمهورية التمهيد لبناء وطن تحفظ الدولة فيه الحرية "القامة" لكن وطنيي الحماية لم تكن تعنيهم هذه الحرية التامة التي ناضل من أجلها زعيم "حرب الريف" وكم كانت وطنيتهم ضيقة غارقة في التقليد، يقول الكاتب:"إن الغاية من الكتاب إبراز جوانب من تاريخ الوطنية المغربية وبعدها الأصيل في تجديد مسيرتها وتحديث طرائقها"، وسوف يكون التجديد والتحديث استلهاما لفكرة الحرية التي كانت وراء مقاومة الخطابي لسلطة الاستعمار، يؤاخذ الكتاب على أحزاب الحركة الوطنية انشغالها بالاستقلال أولا و أخيرا، لكن شتان بين الاستقلال والحرية يقول روسو: "الشعب الحر، طيع، لكنه ليس خديما لأحد، لديه رؤساء وليس الأسياد، يطيع القوانين بدلا من الناس". يكشف الكتاب في تاريخ الوطنية المغربية المعنى الحقيقي للوطنية التي تضع الحرية والحق في المقاومة على رأس الأولويات في البرنامج السياسي المناهض للاستبداد والاستعمار.. إن الوطنية لا تتعارض مع "مقاصد السياسة المدنية"، وينتقد بشدة المفهوم الضيق للسياسة عند أصحاب الوطنية الزائفة، يقول الكتاب "ممارسة السياسة لا تحتاج إلى الميكيافيلية فقط بل تحتاج أيضا إلى الحكمة التي هي ضالة المؤمن وإلى فهم مقاصد التاريخ وإلى تقوية بنية الأمة بالاحتكام إلى القانون وترسيم أركان الدولة بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية" ص: ,١٢١

الخطابي في ذهن مؤلف الكتاب، رجل اكتوى بنار التأخر الذي أصاب بلد المغرب إلى عهده سيما وأنه واع بأسباب تفوق الآخر الأوروبي، ويؤكد الكتاب أن الخطابي "كان دائما يرحب بالمساعدة الأوربية في تحديث أراضينا" بالظاهر إذن أن الخطابي يقبل حكمة الاستعمار لكن يرفض سلطته، وهنا يلتقي كل من الخطابي والسلطان محمد الخامس في تجاوز "الخطأ الذي وقعت فيه الطبقة السياسية المغربية التي ورثت سلطات الاستعمار دون أن ترث حكمته..."ص ٢٨٤,

يرى الأستاذ علي الإدريسي أن الاستقلال "لم يكن بالنسبة للخطابي ولن يكون غاية في ذاته"، إن لم يكن الاستقلال غاية في ذاته عند الخطابي وإن كان الخطابي يرغب في التمييز بين النواحي العلمية الايجابية التي أصبحت مكتسبات إنسانية في الثقافة الغربية وبين ما هو فكر استعماري غاز ومستلب، فأين الغاية المنشودة عنده؟

نعتبر أن الأستاذ علي الإدريسي يجيبنا في كتابه قائلا: "برهن الخطابي على أسبقية الأنطولوجيا الإنسانية على الإيديولوجيا الاستعمارية" أي أن الحرية بما هي حق طبيعي تسبق الشرعية القانونية، وقد جسد الخطابي الحق الطبيعي في المقاومة، وبذلك اختلف مع منظري الحركة الوطنية الذين فضلوا السياسة بدل المقاومة" ص ,١٧٢

يفتقر وعي قادة الحركة الوطنية إلى القوة المادية التي تسمح بتجاوز الوضعية الاستعمارية، ولذا آثرت المطالبة بالاستقلال على الكفاح من أجل تحرير الوطن بل واستنجدت بالملكية التي سوف تشمل برعايتها الإصلاح الذي يتوقف عليه المغرب" كما تنص وثيقة الاستقلال. من هنا يبدأ القضاء على القبائل من أجل الحصول على مداخيل مالية متزايدة، لكن عياش يعتقد أن "الدولة" كانت ضرورية بالنسبة للقبائل" لأنها تقوم "بوظيفة التحكيم وإقرار التوافق في النزاعات والصراعات بين الجماعات المختلفة ".

مهما تكن صلاحيات أطروحة عياش في تفسير طبيعة الدولة المغربية فإن المؤكد هو أن مؤرخنا لا يعدو أن يكون رجلا واقعيا ينصح الأمير عند تناوله لأصول حرب الريف.

في منسيات الوطنية المبتذلة، بقي الخطابي في منفاه عقدين من الزمن غائبا عن المشهد الوطني، مقذوفا به في عالم النسيان والحقيقة أن ما قام به الأستاذ علي الإدريسي في كتابه حول الترجمة الدقيقة والأمينة لحياة أسرة الخطابي في المنفى استذكار لحلقة مفقودة في سلسلة الحياة السياسية للرجل، مع هذه الملاحظة وهو أن الكتاب لا يتوسع في كلامه عن حياته في هذه الفترة التي لا بد أن تكون قد لعبت دورا في حياته فيما بعد، وإلا كيف يمكن إلغاء واحد وعشرين سنة مرة واحدة من حياة أي إنسان؟ خاصة إذا كان قد لعب دورا ما في حياة شعبه .

يسلم الكتاب برسوخ مبدأ المقاومة كوسيلة ناجحة لتصفية الاستعمار من

المسلسل الطويل في إقبار التاريخ واستئصال ذكرى المجد التي تمثلها لحظة الخطابي بل بدأ أيضا ما سماه الكتاب بنشر ثقافة النسيان التي لم تنفلت من قبضتها الكتابات الوطنية التاريخية والتي تقدم ذاتها كبديل للكتابات الكولونيالية حول تاريخ المغرب. ونعتقد أن في هذا الإطار تأتي المحاولة الرائدة للأستاذ علي الإدريسي لنقد أطروحة جرمان عياش حول "أصول حرب الريف".

يكذب الأستاذ علي الإدريسي دعاوى المؤرخ المغربي جرمان عياش القائلة بنزعة التمرد عند أهل الريف وعمالة الخطابي للإسبان واتهامه بخلع بيعة السلطان ثم تحقيقه للمشاريع الاستعمارية، وهكذا يخلص الكتاب إلى الإقرار بكون الخطابي في نظر جرمان عياش رجل انتهازي إذ " خدم إسبانيا وانحاز لألمانيا ثم انتهز الفرصة لكي يصبح وطنيا".

من غريب الأقوال عند عياش حسب الكتاب وصف أهل الريف بالقراصنة المتوحشين وفي نفس الوقت بالوطنيين الكبار، كيف يمكن للمتوحش أن يكون وطنيا!؟

إن جرمان عياش مؤرخ ماهر يعول عليه في معرفة التاريخ الاقتصادي للمغرب في القرن ١٩، فهو من المؤسسين للكتابة التاريخية الوطنية التي ترد على الاستوغرافيا الاستعمارية ومنها على الخصوص أطروحة "ميشو بلير" الأستاذ بمعهد الدراسات العليا الذي أسسه ليوطي لإحكام السيطرة على واقع بلد المغرب، ومعروف عن "ميشو بلير" أنه جاء بأطروحة تفيد أن المخزن "الدولة" لعب دائما دور البلدان المغاربية عند زعيم الثورة الشعبية الذي حط في القاهرة (٣١ ماي ١٩٤٧) لتزكية تدعيم نشاط مكتب المغرب العربي الذي أسسه الوطنيون المغاربة للضغط على الجامعة العربية من أجل مساندتهم في طلب الاستقلال عند الأمم المتحدة، نسي القوم أن الخطابي لا يزال متمسكا بحق الشعوب في تقرير مصيرها دون وصاية من القوى الغربية التي فقدت تراثها الإنساني الليبرالي عندما تحولت إلى أنظمة شمولية كالفاشية والنازية والستالينية...

كانت حكمة الرجل تتغلب على السذاجة السياسية لهؤلاء الحزبيين الذين يرغبون في الاستقلال ولو على حساب حرية شعوبهم. نفض الخطابي يديه من وثائق الجدل السياسي العقيم، فراح يوطد العزم لتأسيس جيش تحرير البلدان المغاربية، والحقيقة أن اللياقة الأدبية والأمانة العلمية دفعت الأستاذ علي الإدريسي إلى التنقيب على الوثائق التي لا تدع مجالا للشك في رغبة الزعيم "ليتمم خطته في دفن الاستعمار في شمال إفريقيا بصفة خاصة" ص٣٠٧، فأتى بشهادتين ساطعتين في الموضوع، واحدة للقائد العقيد الهاشمي الطود والثانية للقائد الضابط محمد حمادي العزيز.

بينما اشتد الخلاف حول منهجية التحرير بين عبد الكريم وفصائل الحركة الوطنية، عمدت هذه الأخيرة ومنها على الخصوص الحركة الوطنية المغربية بزعامة حزب الاستقلال إلى "محاصرة المقاومة وجيش التحرير وقطع الطريق على عبد الكريم الخطابي"، بل حصل ما هو أدهى من ذلك يقول الكتاب: "صار اسم الخطابي غداة الاستقلال مجرّم التداول بين المغاربة بأمر من قادة الاستقلال"ص ٢٦٨، فتم احتكار الوطنية وإحداث الفجوات في ذاكرة الأمة وذلك عندما طابقت الحركة الوطنية بين الإسلام ونظام الدولة، فكان إدريس الأول هو الناشر الحقيقي للإسلام ومؤسس الدولة بالمغرب، وكان ذلك بترا حقيقيا لوعي الأمة وإرادتها، ومع ذلك يقول الكتاب: "ضمير الأمة بقي حيا يقاوم احتكار التاريخ الوطني كما قاوم منذ قرون كل أشكال التشويه في حق يوغورطة وماسينيسا وتكفاريناس والكاهنة وكسيلة وميسرة وموسى بن العافية والدلائي وغيرهم..."ص,١٧٨

إن ما يطبع الوطنية المغربية المبتذلة نسيانها لأهمية التاريخ في تحديد الوعي والإرادة، وفي هذه النقطة يلتقي الأستاذ علي الإدريسي بأطروحة العروي التي تعتبر الوطنية "رمزا وإيديولوجية للاستمرارية الاجتماعية والتاريخية"، ومع ذلك فإن "الكلام المتقطع لعبد الكريم الريفي" على حد تعبير العروي في معرض مقارنته أو بالأحرى جمعه بين الخطابي وعلال الفاسي، ليس كلاما كذلك بالنسبة للإدريسي، يقول علي الإدريسي "لأن الخلاف المركزي بين القادة السياسيين والخطابي كان قبل كل شيء حول منظورهما إلى الاستقلال الوطني".

يبدو أن الأستاذ علي الإدريسي لا يساير تعليقات العروي حول التجربة السياسية لعبد الكريم الخطابي وذلك على الرغم من أن الكتاب ما يفتأ يؤكد مثال العروي على عجز الحركة الوطنية في فهم مكر التاريخ ومقاصد السياسة المغربية، أي عجزها على إدراك المنطق الموضوعي الذي يكشف مع مرور الزمن اغتراب الوعي عن هويته الحقيقية. أليس ذلك بالذات ما يعيبه الأستاذ العروي عن علال الفاسي رائد الحركة الوطنية حينما يصف فكره ب "اللاتاريخية"؟

إن قناعة الأستاذ علي الإدريسي بأهمية التاريخ تنكشف بشكل بارز في إدراكه بكون المزايدات السياسية التي يلجأ إليها اللوبي الاستعماري في العهد الجديد للدولة المغربية لا يمكن لها أن تتغلب على مكر التاريخ الذي كشف اليوم عن راهنية التجربة السياسية لعبد الكريم الخطابي، يوضح كتاب علي الإدريسي أنه آن الأوان لإعطاء الكلمة لذاكرة التاريخ. لكن كيف أن للتاريخ ذاكرة؟ يجيبنا أحد فلاسفة التاريخ قائلا: "إنه من الحظ العظيم أن يحتفظ التاريخ بذاكرة المعارك الكبرى ضد التاريخ أي ضد القوة العمياء للواقع الذي سرعان ما يتوارى ليترك المكان للتاريخ القوي الذي يضع جنبا إلى جنب الطبائع التاريخية الحقيقية "للأجيال" والتي لا تنشغل بما هو كائن من أجل الطاعة، بل بما ينبغي أن يكون وذلك بفرح كبير. وإن الذي يدفع تلك الطبائع للسير إلى الأمام دون توقف ليس تمجيد جيلها بل بتأسيس جيل جديد وحتى إذا ما كانت تلك الطبائع تأتي متأخرة عن عصرها، فهناك طريقة في نمط الحياة تعمل على نسيان تأخرها وحينئذ تتعرف عليها الأجيال وكأنها من الأوائل".

كتاب "الخطابي والتاريخ المحاصر" درس من دروس التاريخ ووعي بقيمة التاريخ وأهميته في التأسيس للذاكرة الوطنية، وقد برع الأستاذ علي الإدريسي في استذكار لحظة الخطابي التي لا يمكن الاستغناء عنها لتجديد الوطنية عندنا، وأما من جهتي فإن العمل النظري الذي قام به الأستاذ في هذا الكتاب لتجديد معنى الوطنية كان سببا كافيا لكي أضع لهذه القراءة المتواضعة لكتابه الهام عنوان "نحو وطنية مغربية جديدة".

مغرب الفلسفة : لو أن لكل حادث حديث !

متى يتم فتح نقاش جدي بخصوص تدريس الفلسفة بمغرب اليوم؟ متى يحق لنا أن نتحدث عن الهمّ الفلسفي بحرية و صراحة؟ ما الذي يفسر سيادة خطاب المجاملة و التستر على بعض الممارسات التي تلحق الضرر بالفلسفة من طرف أهلها؟ يتحدث المتحدثون اليوم عن الانفراج الذي حدث على مستوى سياسة الدولة الثقافية، مما أدى إلى الإفراج عن الفلسفة تعميما و تكوينا و إصلاحا بيداغوجيا. ويستبشر المستبشرون خيرا بأعداد الخريجين من المدارس العليا للأساتذة، أو التوظيفات المباشرة أو التكوينات المستعجلة. و يطمح الطامحون إلى فتح المزيد من المسالك في الكليات الجديدة، و المزيد من شهادات الماستر في تخصصات الفلسفة والعلوم الإنسانية. من ينكر كل ما يجري؟ من ينكر المجهودات المبذولة؟

دأب وزراء التربية الوطنية الذين تعاقبوا في السنوات الأخيرة على إعطاء تصريحات ووعود بقرب تحقيق تعليم عصري يقوم على الجودة، و تفننوا في استنطاق الأرقام بمناسبة كل دخول مدرسي مبشرين بتعميم التمدرس مع التأكيد المستمر على الكيف و ليس على الكم فقط. و لأننا شعب ألف سيكولوجية الانتظار، فقد كان بعضنا يصدق والبعض يشكك والبعض الآخر يسخر ويستهزئ. و حدث أن جاء أخيرا وزير مستقل غير مكبل بإملاءات حزبية، وغير مجبر على اصطناع لغة الخشب في التواصل، فصرح أن الأهداف لم تتحقق و أن الوعود تحتاج إلى إنجازات، و الإنجازات تتوقف على ميزانيات: هكذا انغلقت الدائرة بقوة الاقتصاد!

ولأنني أحذر من إصدار الأحكام ولا أستعجل الوصول إلى الاستنتاجات، فلن أتحدث عن التعليم بشكل عام ما دمت أجهل ما يحدث في التخصصات الأخرى. كما أنني لن أتحدث عن تدريس الفلسفة بإطلاق، بل سأتحدث عن تجربة خاصة، و عن موقف خاص. فلو طلب مني أن أشخص قضية الفلسفة وتدريسها في مغرب اليوم، لاختصرت الأمر في نقطة مركزية واحدة تتعلق بالتكوين. و تتفرع هذه النقطة إلى فرعين: أحدهما يتعلق بالتكوين في الجامعة، وثانيهما يتعلق بالتكوين في المدارس العليا للأساتذة.

أ ـ التكوين الجامعي:

ما هي وضعية تدريس الفلسفة بالجامعة المغربية اليوم، بعد عملية المغادرة التي طالت أطرها ؟

حصلت أنواع من المغادرة: مغادرة طوعية بمالها وما لَها و ما عليها، و حصلت مغادرة قسرية بفعل سن التقاعد، وحصلت مغادرة إلى الدار الآخرى. حصدت هذه الأنواع من المغادرة خيرة الأقلام، وظلت الأماكن الفارغة ترد صدى المدرجات وصمت القاعات. فماذا كان مصير شعب الفلسفة ومسالكها؟

لقد تمت الاستعانة بالأساتذة المتطوعين، و أغلبهم يشتغل بالثانوي، أي حصل تطوع مضاد! و لأن التطوع ليس له ضوابط فقد تحكمت العلاقات الشخصية في الانتقاء. ثم أعلنت الوزارة عن بعض المناصب عن طريق إجراء مباريات، يتم فيها انتقاء المترشحين بناء على ملفاتهم قصد إجراء المقابلة النهائية. تعلن الوزارة عن شروط المباراة المتمثلة في حصول المترشح على شهادة الدكتوراه أو دكتوراه الدولة، بالإضافة إلى مجموعة من الوثائق الإدارية، ثم الشروط العلمية المتمثلة في إنتاجات المترشح (كتب / مقالات / مشاركة في ندوات أو تأطيرات .. إلخ).

لكن ما هو مصير هذه المباريات؟

تأخذ اللجان المشكلة لهذا الغرض كل شيء بعين الاعتبار ماعدا الشروط المذكورة، فهي لجان تشتغل بطريقة أخرى. و سأذكّر مرة أخرى أن هذه الأحكام تتعلق بتجربة شخصية، و أظنها تجربة غنية يمكن أن ترسم الصورة في مجمل ألوانها. تتلخص هذه التجربة في تقديم ملف الترشح خمس مرات أي إلى خمس كليات على مدى ست سنوات (كلية الآداب بالرباط ، كلية الآداب بالبيضاء، كلية الآداب بفاس، كلية الآداب بمراكش، و أخيرا كلية الآداب بالقنيطرة). ثلاث كليات رفضت الملف بناء على الانتقاء الأولي (هي كليات البيضاء و مراكش و القنيطرة) بدعوى أن المترشح يحمل دكتوراه الدولة، و لست أدري ما إذا كانت الوزارة على علم بهذا الأمر أم لا. فكيف أصبحت دكتوراه الدولة مرفوضة في بعض الجامعات المغربية، وهي نفسها الجامعات التي تسلم هذه الشهادة؟! كليتان قبلتا بهذه الشهادة (هما كليتا الرباط وفاس)، و تم المرور إلى المقابلة النهائية. أسئلة المقابلة لا علاقة لها بالشروط العلمية التي تعلن عنها الوزارة، مما يعني أن الفائز في المباراة يتم اختياره سلفا. و عقب ظهور النتائج و هدوء التوتر، تستقصي وتستفسر عما جرى في الكواليس، فيتبين بالواضح و ليس بالمرموز أن علاقات الصداقة والقرابة و الخدمات المتبادلة هي التي تتحكم في كل شيء (هذا المترشح ينتمي إلى قبيلة الأستاذ الفلاني أو يتكلم لهجته، و هذه زوجة الأستاذ الفلاني، و هذا قريبه ..).

هكذا تحولت شعب الفلسفة إلى مكاتب للتشغيل! وهذه المكاتب هي التي ترهن مصير الفلسفة بالمغرب اليوم، وسترهنه في المستقبل أيضا. و لنا أن نتساءل عن عدد الأقلام التي خرجتها هذه المكاتب في السنين الأخيرة على كثرتها، بالقياس إلى عدد الأقلام التي كانت تخرجها شعبتا الفلسفة بالرباط و فاس فقط !

ب ـ التكوين بالمدارس العليا :

لست أدري من كان وراء فكرة طرد الفلسفة من كلية علوم التربية بالرباط. لقد كان ذلك الطرد جريمة في حق الفلسفة ! حيث تم تشتيت الطلبة/الأساتذة على المدارس العليا للأساتذة بكل من مكناس و فاس وتطوان، وانضافت شعبة الفلسفة إلى الشعب الموجودة بدون أساتذة مؤطرين (أقصد المؤطر المتخصص). وكالعادة استعانت الشعب الجديدة بالمتطوعين الذين يشتغلون بالثانوي تدريسا أو تأطيرا. من يأتي إلى هذه الشعب؟ ومن يتخرج منها؟ يأتيها الوافدون من مكاتب التشغيل، و يأتيها المعلمون من المدارس الابتدائية، ويأتيها المعطلون، ويأتيها الباعة المتجولون .. و يأتيها .. و يأتيها. ما هو نوع التكوين الذي يخضع له هؤلاء؟ من يكوّن من؟ يتخرج المئات، ويذهبون إلى الثانويات لتكوين آلاف التلاميذ. ويذهب المئات من هؤلاء التلاميذ إلى الجامعة ليتلقوا تكوينهم في مكاتب التشغيل، و يمر البعض منهم إلى مركز التكوين بإحدى المدارس العليا، ثم يتخرجون. و هكذا تنغلق الدائرة البيداغوجية !

كان من المفروض أن ينقذ الإشراف التربوي ـ على مستوى النيابات والأكاديميات ـ هذا الوضع الكارثي، إلا أن الأمر يشبه تشبث غريق بغريق آخر. فالمفتش الذي كان يقوم بهذا الدور (استكمال التكوين البيداغوجي)، جعلت منه الوزارة كائنا في طور الانقراض: فإما أنه يسبح ضد التيار و يقوم بمهام تتجاوز قدرته، و إما أنه يلزم بيته دون اكتراث بما يجري. و في كلتا الحالتين فهو ينتظر أن يقضي نحبه إما قبل سن التقاعد، و إما بعده بسنوات معدودات. إن وضعية هذا "الإنسان البيداغوجي الأخير" دليل على وضعية التعليم عموما، ووضعية تعليم الفلسفة خصوصا: إنها وضعية في حالة احتضار. فشجرة الفلسفة ليست ديكارتية، بل هي خريفية تتساقط أوراقها تباعا. و لا أرى آية بشائر تدل على أن هذه الشجرة ستورق عند مقدم فصل الربيع، وحتى لو خرجت براعمها إلى الوجود فسوف يتوقف نموها أو ستنمو بشكل مشوه بفعل الفطريات والحشرات التي سوف تعلق بها. ذلك لأن الخريجين الجدد يتم إلقاؤهم في ساحة المعركة بدون سلاح، بدون تكوين، بدون تدريب، بدون تأطير مستمر. فهل يمكن إيقاف هذا النزيف؟ أم أن قدر الفلسفة في المغرب اليوم هو السقوط الحر نحو الهاوية؟

إذا كانت هناك إرادة لدى الوزارة للتدخل وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فإن هناك قضايا مستعجلة لا تحتمل التأجيل.

أولا : التدخل المستعجل في مجال التكوين

أ ـ التكوين في المدارس العليا :

إن وضعية الخريجين الجدد من المدارس العليا للأساتذة، تستدعي تقصيا وبحثا وإنصاتا. فوضعيتهم أشبه ما تكون بوضعية جنود زُجّ بهم في معركة يجهلون ميدانها والهدف منها. إنهم مجاهدون بدون عقيدة، و مناضلون بدون رسالة. والدفاع عن هؤلاء الخريجين يشبه إلى حد بعيد شعور المواطن الأمريكي البسيط الذي يجوب شوارع نيويورك أو واشنطن رافعا لافتة مكتوب عليها: يُصرّ دقّن خه صرقغز . وذلك تعبيرا عن التخوف الذي يحس به الآباء، والقلق عن مصير أبنائهم الذين يخوضون معارك ليسوا مسؤولين عنها. يمكن رفع نفس الشعار اليوم بخصوص وضعية التكوين، ونقول: " أعيدوا الأبناء إلى ديارهم التي أخرجوا منها بغير وجه حق ! أعيدوهم إلى منزلهم

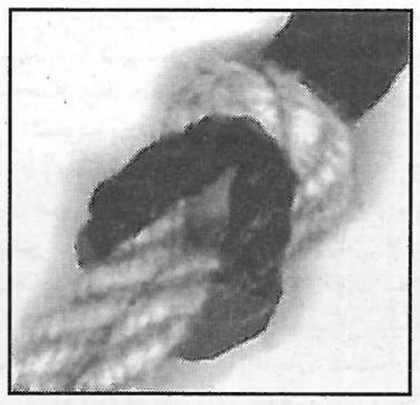

الأصلي و الشرعي، أعيدوهم إلى كلية علوم التربية ! ".

إذا كان لابد أن يكون لكل ظاهرة إنسانية ماضيها الذهبي، فإن ماضي التكوين في مجال تدريس الفلسفة هو الذي تمثله كلية علوم التربية. تنظم وزارة التربية الوطنية مشكورة هذه السنة لقاءات على شكل أوراش شهرية تضم مفتشي المادة وبعض أساتذة المادة سواء بالتعليم العالي أو الثانوي، وكانت مناسبة جمعتنا بأحد أساتذتنا السابقين بكلية علوم التربية: إنه الأستاذ محمد الدكالي. استمعنا إليه بشغف شديد لمدة تقارب ثلاث ساعات أو تزيد، بدون كلل ولا ملل. عشنا معه لحظات فلسفية جميلة، أعادنا فيها إلى أجواء كلية علوم التربية. تحدث لنا عن ديكارت وعن هيجل، كان يستنطق النصوص المستغلقة: يحفظها عن ظهر قلب، يستظهرها ويعلق عليها. حبسنا أنفسنا طوال هذه المدة الزمنية حيث انتفى عامل الزمن، و كنا في شبه غيبوبة فلسفية. هذا نموذج من المؤطرين الذين نتحدث عنهم، هذا أستاذ / قدوة من بين آخرين. فهؤلاء حفزونا على الانخراط في تدريس الفلسفة، ودفعونا إلى عشق النصوص الفلسفية. و عندما ذهبنا إلى ساحة المعركة البيداغوجية، كنا نستحضر صورهم وكلماتهم وحركاتهم بل وسكناتهم. لا أعلم ما هي القدوة التي يتمثلها الخريجون الجدد، و ما هي طبيعة الصورة التي تحفزهم أثناء اشتغالهم. ولكنني أعلم ماذا يحدث في بعض هذه المراكز، هناك استثناءات و لكنها لا تلغي القاعدة.

ب ـ التكوين في الجامعة :

هناك سؤال بسيط يمكن طرحه على وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، بخصوص المباريات التي تنظمها قصد توظيف أساتذة مساعدين في مادة الفلسفة. والسؤال هو التالي: هل تجري هذه المباريات بناء على معيار التشغيل أم على معيار البحث العلمي؟ من الواجب على الوزارة أن تجيب بوضوح عن هذا السؤال، لأن حسمه قد يعفيني ـ و أمثالي ـ من اجتياز مثل هذه المباريات. فإذا ما اختارت الوزارة مثلا معيار التشغيل في التوظيف، فلن أترشح منذ اليوم لاجتياز أية مباراة، نظرا لأنني موظف لدى هذه الوزارة وأشغل منصب أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي. أما إذا اختارت الوزارة معيار البحث العلمي، فأنا أتقدم ـ وتقدمت خمس مرات ـ بملف علمي يشمل الإصدارات التي قمت بها من كتب ومقالات ومشاركات.. ولكن بدون جدوى. قد يكون مثل هذا الكلام موسوما بالذاتية ـ و هذا صحيح ـ و لكن عندما تعلم أن المترشح المنافس عبارة عن "نكرة" بتعبير الصديق أحمد شراك، فإن صفة الذاتية ترتفع عن الكلام. وقد يكون مثل هذا الكلام موسوما بالذاتية، و لكن عندما تعلم أن المترشح الفائز هو قريب لفلان أو زوجة فلان ..فصفة الذاتية ترتفع أيضا عن الكلام. و الملفات توجد بين أيدي الوزارة، و أسماء المترشحين معروفين لديها، والفائزون معروفين، والراسبون كذلك..فما عليها سوى أن تفتح السجلات! وإذا ما توفرت إرادة ما لدى الوزارة للتقصي فيما يجري بالجامعة، فستعثر على نماذج كثيرة وقعت مع مترشحين آخرين ـ و هم كثر ـ وبذلك سترتفع صفة الذاتية عن الكلام أيضا. ولكن بما أن الذاتية هي نقيض الموضوعية، فإن ما يحصل في الجامعة يحصل بموضوعية: يتخرج الطلبة من مكاتب التشغيل بموضوعية، ويتكونون في المدارس العليا بموضوعية، و يلتحقون بالثانويات بموضوعية، و هذا ما يفسر السقوط الحر للفلسفة بموضوعية!

ثانيا : التدخل المستعجل في مجال التكوين المستمر

فعلت الوزارة خيرا عندما أوقفت ـ مبدئيا ـ العمل بالإشراف التربوي الحالي، رغم أنه ـ عمليا ـ ما يزال مستمرا. إن طبيعة هذا الإشراف تقوم بدورها على دائرة مفرغة، نتيجة طبيعة التكوين الذي تلقاه المفتشون من جهة، ونتيجة الخلط في مهامهم بين ما هو بيداغوجي وما هو إداري. فالعمل الإداري يقوم على وظيفة الجزاء والعقاب (التنقيط)، بينما يقوم العمل البيداغوجي على مراعاة البعد الإنساني في العلاقة التي تربط بين الفاعلين التربويين. وعندما يطلب من مفتش المادة أن يفصل بين هذين المستويين، فإن الأمر يحتاج إلى جهد جهيد. إذ يحتاج مثل هذا الفصل إلى إحداث تغييرات جوهرية في شخصية المفتش كإنسان أولا، ثم كمربي ثانيا. و من مظاهر هذا الخلط، ذلك الشعور الذي نلاحظه لدى مفتش المادة بكونه يعرف كل شيء. و سواء كان هذا الشعور صادرا عن إرادة مقصودة، أو عن عوامل لاواعية، فالسلوكات شاهدة على هذا التوتر الذي ينعكس سلبا على العلاقة مدرس/مفتش. ولا يمكن أن ينحل هذا التوتر سوى بالفصل بين الفكرة والشخص، أي بين ما يقوله المفتش كشخص وبين ذاته كإنسان. و لأن مثل هذا الفصل أمر موجع ـ لأنه يقضي الصبر على الأذى والنقد والتجريح.. ـ فإن المجال يظل مفتوحا أمام سوء الفهم وردود الفعل المتسرعة من كلا الطرفين.

ـ ما هو البديل الممكن ؟

لست أدري ما هي طبيعة الحل الذي تفكر فيه الوزارة، وبالمناسبة فهي تتوفر على كفاءات عالية في هذا الميدان. أعرف من هذه الكفاءات نساء فاضلات يشغلن مواقع متقدمة في الوزارة، منهن : السيدة الوزيرة المكلفة بالتعليم المدرسي، ومنهن السيدة المفتشة العامة للتربية والتكوين، ومنهن أخريات لا أعرفهن وآخرين لا أعرفهم. ولكن مهما تكن طبيعة هذا الحل، فإن تحويل الإشراف التربوي بشكل جذري إلى التكوين المستمر للمدرسين، سوف يحدث بدون شك تغييرات جوهرية على العملية التعليمية/التعلمية.

ثالثا : التدخل المستعجل في فضاء القسم

مذ قال كانط عبارته الشهيرة : " لا يمكن أن نتعلم الفلسفة، بل نتعلم التفلسف فقط "، ومدرسو الفلسفة يرددون هذا الكلام بدون كلل. و تمت ترجمة هذه العبارة في المقررات الرسمية و المناهج والبرامج والمذكرات الصادرة عن الوزارة، بغية تفعيل مضامين هذه الدعوة الكانطية. و إذا كان جوهر الفلسفة يكمن في تعلم كيفية التفكير ـ مع ما يقتضيه ذلك من تركيز وهدوء وصمت واستماع ـ فإن فضاء القسم الذي يفترض أن تجري فيه هذه العملية لا يوفر الشرط الضروري لإنجازها. إن عدد التلاميذ داخل القسم المغربي يعاكس تماما إنجاز مثل هذه العملية، بل يعاكس إنجاز درس تقليدي يقوم على الإلقاء و التلقين. إنني أتحدث عن القسم العادي الذي يتراوح عدد أفراده ما بين ٣٥ و ٤٥ تلميذا، و لا أتحدث عن الأقسام المكونة من ٥٠ إلى ٦٠ تلميذا (و في الأقسام النهائية !). فإذا كانت الوزارة تلجأ إلى التفويج في مجال تعلم اللغات، ليتمكن جل التلاميذ من المحادثة وترديد بعض الكلمات؛ فما الذي يمنعها من التفويج في مجال تعلم الفلسفة، و هو المجال الذي يقتضي وجود عدد قليل من المتعلمين كي يتمكنوا من اختبار قدراتهم الذهنية لممارسة فعل التأمل والتركيز والتساؤل؟! إن تفويج القسم المغربي الحالي سيتولد عنه قسم آخر يتكون من ٢٠ إلى ٢٣ تلميذا، في المتوسط العادي؛ ناهيك عن الأقسام الشاذة التي سيسفر حاصل تفويجها عن أقسام تتكون من ٢٥ إلى ٣٠ تلميذا ! لكن إذا كانت الوزارة عاجزة عن خلق فصول دراسية عادية وتعميم ذلك على المستوى الوطني، فكيف يرجى منها أن تكون قادرة على إجراء عمليات التفويج مع ما يستلزمه ذلك من إمكانيات مالية إضافية (توظيف مدرسين جدد)؟!

خلاصة :

خلاصة الكلام أن المظاهر الثلاثة السابقة لوضعية تدريس الفلسفة في المغرب، تشير إلى وجود هدر شديد في الطاقات، و نزيف حاد في القدرات. و بما أن المغرب ينتمي إلى صنف من المجتمعات التي يسميها الصديق عمار حمداش "مجتمعات الهدر"، فلست أدري كيف سيتوقف هذا الهدر و هذا النزيف؟ ومن هو المؤهل لاتخاذ القرارات الشجاعة؟ إن وضعية التعليم في المغرب ـ و تعليم الفلسفة جزء لا يتجزأ منه ـ ليست بخير، و إلا فعليكم أن تدلوني على أسرة مغربية واحدة لا تبحث عن المدرسة التي يمكن أن ترسل إليها أبناءها للاطمئنان على مصيرهم. إن قلق الأسر المغربية يبدأ من الروض ولا ينتهي إلا بالتخرج النهائي، و هو قلق يعبر عن سحب الثقة من المدرسة العمومية. أما مدارس البعثات التي يرسل إليها الأعيان أبناءهم عندنا فهي ليست مدارس خاصة في بلدانها الأصلية، و إنما هي نسخة عن التعليم العمومي هناك. و هذه مقارنة كافية لبيان نجاح التعليم العمومي هناك، و فشله هنا. إن المواطن الأوربي الذي يرسل أبناءه إلى روض الحي ثم المدرسة الابتدائية فالإعدادي ثم الثانوي، يعلم جيدا أن هؤلاء الأبناء يوجدون بين أياد أمينة ولذلك فهو مطمئن على مصيرهم.

إذا كانت وضعية تدريس الفلسفة لا تنفصل عن وضعية التدريس عموما، فكيف نطالب بإصلاح جزئي؟ أليس هذا إجحافا في حق الوزارة؟

علمتنا تجربة تدريس الفلسفة في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، أن العلاقة بين الفلسفة والظروف السائدة ليست علاقة مطردة. وتعلمنا الحياة أن المنارات قد يشع نورها في سواد الليل الحالك، و في أجواء العواصف و الأنواء. أما وأن ظروف الفلسفة اليوم ليست أكثر سوء من ظروف الفلسفة بالأمس، فإن تكلفة الإصلاح لن تكون ضخمة و لا مستحيلة. فماذا سيكلف الوزارة مثلا حرصها على نزاهة المباريات، و مراقبتها لولوج التدريس بالجامعة؟ ماذا سيكلف الوزارة إرجاع الطلبة الأساتذة إلى كلية علوم التربية؟ ما هو قدر الغلاف المالي الذي سيكلفه تفويج الأقسام في حصص الفلسفة؟

أمنية:

إذا ما قدر لي أن أشهد بعضا من هذه الإصلاحات أثناء الفترة الزمنية التي تفصلني عن سن التقاعد، وإذا ما قدر أن جمعني لقاء ما بالسيدة الوزيرة الجليلة المكلفة بالتعليم المدرسي وبالسيدة المفتشة العامة الفاضلة؛ آنذاك سوف ينطق كانط على لساني و سوف أقول باسمه: " شيئان يملآن قلبي إعجابا: " البهجة " التي تغمرني إذ أسمع الخريجين الجدد من الجامعة ومن كلية علوم التربية يتحدثون عن أساتذتهم بحب وتقدير، ثم "المتعة" التي أشعر بها أمام طلبتي وتلامذتي إذ أقرأ في عيونهم عشقهم للفلسفة ومحبتهم للحكمة ". وإن أنسأ الله في العمر وتجاوزت سن التقاعد وحان الرحيل من هذه الدار، سوف أخاطب نفسي وأنا ذاهب إلى قبري مطمئنا: "الآن و قد اختبرت تجربة الحياة، أريد أن أختبر تجربة الموت

■ ذ . محمد مزوز

النقابة المستقلة للتعليم الابتدائي

التعليم بين هاجس الإصلاح وكبوة الإخفاق

من الواضح أن الرغبة في الإصلاح هي وليدة الوعي بالأزمة أو بالتأخر.. وبالفعل، فالبلاد تعيش أزمة بنيوية خانقة وتشهد فسادا شاملا: فساد سياسي، اقتصادي، اجتماعي، ثقافي، أخلاقي، رياضي، إداري،... وفساد في التربية والتعليم؛ والإصلاح أيضا لا يمكن إلا أن يكون شاملا، وإن اختلفت المداخل، مع الجزم بصعوبة الفصل بينها.. إلا أنه ولضرورة منهجية صرفة سيتم التوقف فقط عند مدخل إصلاح التعليم لاعتبارين :

أولهما ؛ أن درجة التعليم هي التي تحدد مكانة دولة أو أمة ما ، ومكانة الأفراد داخل تلك الدولة أو الأمة .. فالتقدم والرقي أصبحا مرهونين بشكل أو بآخر بمعدلات التعليم العالية ومستوياته الممتازة...

ثانيهما؛ أن عملية الإصلاح رهنت تعليمنا وممارساتنا وأبناءنا لفترة طويلة جدا .. إنها ليست تجربة عابرة، بل مرحلة عمرية أخذت حيزا هاما من وجودنا؛ لذا فإن رفضها منذ البداية سيُنعت بالخطاب اللائكي الذي أصدر حكما مسبقا عن واقع قيد التشكل، وتعتبر اللامبالاة فيها إقصاء ذاتيا، كما يعتبر التغاضي عنها تواطؤاً جماعيا ، بينما يعتبر الإدلاء بالرأي فيها، والمساهمة في النقاش واجبا ومسؤولية ...

فما المقصود بالإصلاح ؟ وإلى أي حد يمكن اعتبار الشروط الحالية لإصلاح التعليم مختلفة تماما عن الشروط السابقة التي أدت إلى الحصيلة التي نحن بصددها؟ وهل بإمكاننا اليوم الحديث عن إصلاح حقيقي وبإرادة وطنية صرفة بعد ضياع عقود من الزمن؟

إن مفهوم الإصلاح من المنظور العصري المتداول يعني " إدخال تعديلات ذات طبيعة تشريعية وتطبيقها على مناحي معينة من تسيير الدولة أو المؤسسات أو الحياة الاقتصادية ... وذلك بهدف تحسينها وتحديثها "؛ وهو مفهوم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمَن يطرحه ويروج له: فالمصلح السلفي يرسم صورة للغد على ضوء فكرة الرجوع للماضي الأبدي؛ والمصلح الثوري يتصور الغد كشيء غير متحقق في الزمان لكنه جزء من قانون الحتمية؛ والمصلح التكنوقراطي ينظر إلى الغد على ضوء واقعية الحاضر الذي يفرض سلطته علينا، ولا خيار لنا غير الاندماج في عالمها وعولمتها .

ويمكن تصنيف ما جاء به الميثاق ضمن هذا النموذج الأخير، الذي يعتقد أن إصلاح التعليم رهين بحلول تقنية من أجل مشكلات تعليمنا .. وهكذا انتقلنا من الحديث عن البرامج والمناهج إلى الحديث عن الكاريكولوم، بما هو خطة عمل تقدم تصورا شاملا عن التعليم على صعيد الأهداف التربوية والمحتويات المعرفية والمناهج الدراسية والآليات والعدد البيداغوجية ...

وهو نموذج لا يختلف كثيرا عن النماذج السابقة من حيث كونه جاء بإيحاء خارجي، من منظمات دولية كصندوق النقد الدولي والبنك العالمي ومؤسسات الإقراض عموما... وتشكل ضمن شروط داخلية غير ناضجة؛ فالنخبة المتنفذة التي اشرفت على الإصلاحات السالفة هي التي تقدم نفسها على أنها مستنيرة وحداثية، هدفها إصلاح التعليم ولاشيء غير الإصلاح، لكن في إطار وضع سياسي قائم كما هو؛ وفي غياب سياسة ثقافية شاملة تمكننا من التوفر على منظور إصلاحي عملي في مجال التعليم الذي سيخلصنا من المغرب المزدوج في أفق بناء مغرب للجميع بكل مقوماته الحقيقية والعميقة...

قد يقول قائل، بأن الإصلاح الأخير للتعليم يختلف عن الإصلاحات السابقة لكونه يمتلك الشرعية، لأنه جاء خلال فترة حكومة التناوب (المعارضة سابقا)، وساهمت فيه مختلف التشكيلات السياسية والنقابية والثقافية، وتم إشراك المعنيين بالأمر بمختلف الوسائل المباشرة وغير المباشرة...

وهذا صحيح من حيث الشكل، لكن في العمق الأمر يتعلق بحكومة لا تتميز عن سابقاتها .. حكومة لا تنبني على أي أساس ديمقراطي، حكومة خاضعة مسخرة فقط لخدمة الانتخابات وتنفيذ برامج المخزن وتمرير مشاريع بعض القوانين لإضفاء الشرعية عليها، وذلك في انتظار إرساء مجموعة من المجالس والهيات والمؤسسات الموازية، ولعلها لم تات إلا لهذا الغرض!!

أما الفعاليات المجتمعية بكل تلاوينها، والتي يوهمنا البعض بأنه تمت استشارتها فهي، أولاً؛ لا تخرج عن دائرة تلك الحكومة، وثانيا؛ غائبة في هذا الواقع: " أحزاب سياسية ما فتئت تعمق تقديم استقالتها، إلا من ميدان الصراع حول المناصب والامتيازات. ونقابات لا تهمها إلا المزايدات في افق منفعة أشخاص بعينهم، وإيديولوجيات ما انفكت تتاجر بكل شيء دون تمييز، ومثقفون ونخبة اختارت البعد ليس عن عالم واقع التعليم فقط، بل عن عالم التفكير والإنتاج والابتكار، بشكل عام."

وعليه ، فإن الميثاق الوطني للتربية والتكوين لا يعدو عن كونه محاولة استنساخ لنماذج أجنبية وزرعها خارج سياقها، فكل منظومة تربوية سوف لن يتم لها النجاح إلا إذا انبثقت من رحم الثقافة والطموح الوطنيين، ضمن مشروع متكامل تُحطم فيه آليات التعليم التبعي بدمقرطته وعلمنته وانفتاحه على مختلف الثقافات .. مشروع يرمي إلى خلق تعليم مشبع بالروح الوطنية مندمج بالتطبيق والممارسة العملية، مرتبط أشد الارتباط بالإنتاج، مفتوح في وجه عامة الناس ـــ لا لنخبة محدودة ـــ ، يجعل شرائح واسعة من الشعب المغربي تلتف حول جملة من الأفكار ـــ وليس حول جماعة من الأشخاص ـــ وتتجند للمساهمة في تدبير الشان العمومي وتدشين مسلسل تراكمي يفضي إلى مراحل ارقى في المنظومة ويخلق شروطاً جديدة للإصلاح والتحديث.. مشروع يجعل هذه الشرائح تتوقف معه في المحطات الأساسية وقفة مراجعة مع الذات، وتقيم حصيلة الأداء، وتبلور الخط المرحلي المناسب الذي يستوعب معطيات الظرف ومستجدات المرحلة ومختلف التحولات التي تطرأ على الساحة الوطنية إن المتامل للتجارب الإصلاحية التي شهدها قطاع التربية و التعليم يلاحظ بأنها كانت تتحكم فيها شروط تكاد تكون بمثابة قوانين حاكمة لها، يبقى فيها التصور الرسمي غير واضح الإستراتيجية والهدف.! ومن أبرز هذه المتحكمات:

١- أن الإصلاح كان يأتي دائما ثمرة إرادة خارجية، بحيث يكون فيه المخزن مُجبَراً أكثر مما يكون فيه مُريداً.. فمثلا، فيما يخص ما سمي " بالميثاق الوطني للتربية والتكوين " ومن كان وراءه، نقتطف لكم من تقرير البنك الدولي الصادر حول المغرب سنة ١٩٩٤ ما يلي: (.. على المغرب أن يقوم بعدة إصلاحات مهمة، منها التنمية وإعادة الهيكلة الأساسية لنظامه التعليمي والتكويني ليصبح فاعلا في الاقتصاد العالمي ...)؛ (... إن أولى الأولويات في مجال التربية والتكوين في المغرب، هو أن يُنْهي كل الأطفال، بمن فيهم البنات على الأقل تعليمهم الابتدائي ...)؛ (... قبل سنة ٢٠١٠ يجب أن يكون التمدرس في السلك الأول من التعليم الأساسي معمما ...)؛ (... إن تعليما عاما جيدا سيفتح الطريق للاندماج مباشرة في سوق العمل أو لتكوين مهني مكمل، ينتهي بدوره إلى عمل محدد ...)؛ (... كما أن الإسهام في تكاليف التعليم العمومي من طرف الطلبة يجب تشجيعه، ويجب أن تكون المنح والمكافآت محدودة في مساعدة الطلبة المحتاجين أو مكافاة الطلبة المتفوقين...)".

هذه المقتطفات لا تحتاج إلى شرح أو توضيح.. فما صنفه الميثاق وجزأه، هي أشياء سبق أن أشار إليها التقرير الدولي!.. فعن أي ميثاق نتحدث؟ وما هو جديد هذا الإصلاح الذي ما فتئت العقلية الثاوية وراءه تتبجح به؟

٢- أن المعارضة كانت دائما تجد نفسها ـــ رغم ما تبديه من ممانعة ـــ مجبرة على استبطان مطالب المخزن وذلك قبل أن تتبناها وتعبر عنها بصيغ جديدة، لا، بل تتصدر التعبير عنها بطريقتها مصبغة عليها الشرعية التي تفتقر إليها من حيث الأساس!. فكم من برنامج كان في عداد البرامج المنبوذة والمشكوك في طويتها، أحيته وتم تنفيذه.. مثلا فيما يتعلق بما بات يُعرف باسم " المدرسة الجماعية "؛ لقد قامت الدولة بمحاولات عديدة من أجل تفويت شؤون الطور الأول من التعليم الأساسي إلى الجماعات المحلية، وهي محاولات مكشوفة لتملصها من أداء واجباتها اتجاه أبناء الشعب، ووضع تلك المسؤولية على عاتق المجالس الجماعية .. ولم تتمكن من ذلك إلا في عهد حكومة التناوب " المعارضة " وإن كان بحلة جديدة قد تكون من تصميم هذه الأخيرة.

- المحاولة الأولى خلال التصميم الثلاثي (65-67)؛ بحيث خرج هذا التصميم بما أسماه " السلك الجماعي " الذي يهدف - حسب زعمه - إلى التعميم التدريجي لتمدرس الأطفال البالغين من العمر ٥ و ٦ و ٧ سنوات، وقد وُضع تحت كفالة المجالس الجماعية على مستوى بناء المؤسسات التعليمية وتزويدها بالأطر المدرسية ودفع رواتبها، وقد تم إخلاء سبيل هذا المشروع في مرحلة التجريب بالذات، وتعرض للنقد باعتباره يرمي إلى التقشف في ميدان يعتبر حيويا بالنسبة للشعب المغربي.

- المحاولة الثانية خلال التصميم الثلاثي (٦٨-٧٠)؛ الذي كان يحث على أن تضمن السلطات المحلية تنفيذ التعليمات المملاة من طرف وزارة التربية الوطنية وتُسنَد إلى الجماعات المحلية مسؤولية المساهمة في إرساء المدرسة والبحث عن القطع الأرضية والمشاركة في البناء والتجهيز وإصلاح المؤسسات التعليمية ودفع أجور المدرسين، ولم تتمكن الدولة من إخراج هذا المشروع من الرفوف.

- المحاولة الثالثة خلال سنة ١٩٩٠ في إطار القانون المالي التعديلي؛ بحيث عُهد إلى الجماعات المحلية بالسهر على برنامج إنجاز المدارس الابتدائية، لا، بل ستوسع صلاحياتها لتشمل " التصور " و " التنفيذ " على السواء ..!

جميع هذه المشاريع الإصلاحية كانت دائماً تصطدم بعتبة الرفض ، وكانت الدولة تجد نفسها دوماً في مواجهة الهيات السياسية والثقافية، وفي مواجهة الفئات الاجتماعية من متمدرسين وآباء وأولياء أمورهم وجمعيات مهنية...

- المحاولة الأخيرة؛ انطلقت مع بداية هذا العقد خلف عباءة " الميثاق الوطني للتربية والتكوين " والتي لازلنا نعيش على إيقاعاتها تحت يافطات مختلفة من؛ لامركزية، خصوصية المنطقة، انفتاح المدرسة على المحيط، الشراكة ،... إلخ.

نقرأ في المادة ١٧١ من الميثاق الوطني ما يلي : " تسهم الجماعات المحلية، في إطار اختصاصاتها، وبشراكة مع سلطات التربية والتكوين، في العبء المالي الناتج عن تعميم التعليم الجيد " .. ولكم أن تتصوروا منذ الآن الشكل الذي ستكون عليه خريطة التعليم بالبلاد؛ فالجماعات الغنية التي تمتلك الموارد والإمكانيات المادية ستوفر لأبنائها تعليماً جيداً يُفضي إلى تخرج الأطر والتقنيين.. والجماعات الفقيرة " غادي ترَدْ المغرب كله غْنم وبْقار " لأنها ليست لديها غير هذه الموارد .. وهو تكريس للمقولة المشؤومة: " المغرب النافع والمغرب غير النافع " .

٣- أن الإصلاح كان يُطرح دائماً بوصفه برنامجاً لمعالجة بعض مظاهر الخلل التي تعوق السير العادي للمنظومة التربوية؛ وهو بذلك لا يطرح موضع سؤال الأسس التي تقوم عليها هذه المنظومة بقدر ما يسعى إلى نيل بعض المكاسب الممكنة التي يجود بها المخزن ويرضى بالتنازل عنها دون المس بثوابته التي تمثل مرتكز نفوذه وقوته.. فمثلا يطرح لنا دمج التربية على حقوق الإنسان في البرامج الدراسية للإصلاح الأخير التساؤل التالي: هل يتعلق الأمر بتنامي درجة الوعي السياسي والمدني داخل المجتمع وما يستلزم ذلك من تعميق مستوى ثقافة حقوق الإنسان؟ أم أن الأمر يتعلق باستثمار هادف نحو بلوغ الاندماج العالمي؟ هل يتعلق الأمر برد الاعتبار للإنسان، للمواطن؟ أم يتعلق بمسار متقدم للدولة، لا يواكبه تقدم في وعي الناس؟ وبالتالي يُصبح دور التربية على حقوق الإنسان هو رفع الفرد إلى طموح الدولة؟

فالتربية على حقوق الإنسان التي جاء بها هذا الإصلاح يطغى فيها الحديث عن الوجبات أكثر منه على الحقوق .. واجبات الأفراد اتجاه المؤسسات واتجاه بعضهم البعض ، وبالتالي فهي تُفرغ حقوق الإنسان من الرهان السياسي وتجعلها أداة للسلم الاجتماعي وذلك عن طريق تحويل حقوق الإنسان من استراتيجية مطلبية إلى استراتيجية أخلاقية.. في حين تقتضي التربية على حقوق الإنسان، التربية على الحق كمفهوم متعدد التجليات، مثل الحق في التعبير، في الشغل، في الإضراب ... لا الاقتصار فقط على الحديث عن الحق في بيئة نظيفة.

وعموماً فإن التربية على حقوق الإنسان، هي أساساً التربية على الحرية كعُدة قانونية وكَتَجل سياسي وكحُضور مجتمعي؛ لذا يتعين أولاً وقبل كل شيء ترسيخ دولة الحق والقانون وتثبيت حقوق الإنسان كإرادة سياسية، وتوطينها كثقافة حياتية، ثم تعليمها كتربية مدرسية...

هذه هي أبرز المتحكمات التي تقاطعت فيها الإصلاحات السابقة، وهي متحكمات وإن كانت تاخذ زمام " المبادرة " في الدعوة إلى الإصلاح، إلا أن ذلك لم يكن بنفس جذري واقعي يُحسب لميزان القوى ويأخذ بعين الاعتبار الخصوصية المغربية، الأمر الذي جعلها تدور في حلقة مفرغة.

مع امتياز طفيف لما سُمي " بالميثاق الوطني للتربية والتكوين "، وهنا لابد من استحضار الإطار العام الذي جاء فيه، فقد جاء في فترة تشهد ضغطاً خارجياً كثيفاً؛ يتمثل في حركة العولمة وما تتبناه من حرية مطلقة لقوانين السوق المالي الواحد الذي يتحدى سلطة الدولة القومية ودولة الرعاية .. وتعرف انكفاءً داخلياً؛ اكتملت فصوله " بتَمَخْزُن " المعارضة البرلمانية التي ما فتئت تنتشي بوصولها إلى الحكومة... ووقوف معظم فصائل المعارضة السياسية مشدوهةً تترقب ما ستسفر عنه الأمور، خاصة وأن مَنْ روجوا لهذا الإصلاح مِمن كانوا مِن رفاق الأمس، في الوقت الذي كانت فيه النقابات غارقة في سباتها العميق، بينما كانت الانتلجنسيا وجل فعاليات المجتمع المدني في فترة إجازة طويلة ..!

هذه الأجواء لطالما انتظرها المخزن أو بالأحرى هيأ لها، من أجل تمرير مشروع يخلصه من عبء ميزانية قطاع كان يصنفه دائماً ضمن القطاعات غير المنتجة!؟

إلا أن هذه الأجواء وإن بدت فيها كفة ميزان القوى راجحة لتمرير المشروع فإنها لم تكن كذلك بالنسبة لتطبيقه، وهذه إحدى المفاتيح التي نتدلى بها لمعرفة أسباب إخفاقه.

مفتاح آخر نهتدي به إلى معرفة سبب عدم تناغم مختلف الفئات معه، يتعلق الأمر هنا "بالتسمية" لنتأملها جيداً، فلعلها استبطنت بوادر فشله:

حمل هذا الإصلاح اسم " الميثاق "؛ وهنا نتساءل، لماذا لم يحمل مثلا اسم " المدونة الوطنية للتربية والتكوين " على غرار " مدونة الأسرة " و " مدونة الشغل "؟ .. الجواب بسيط هو؛ أن الميثاق تعاقد أخلاقي غير ملزم، بمعنى أنه ليس بالضرورة تطبيق كل ما جاء فيه؛ فإذا كانت مدونة الأسرة ومدونة الشغل قد تم حشرهما بمجموعة من القوانين مع وقف التنفيذ، فإن مدونة الإصلاح ستفتح شهية المطالبين بتفعيلها ـــ على الرغم من علتها ـــ فلا داعي للإحراج، لذا سيتم الاكتفاء " بالميثاق " ولا بأس من إلحاقه بمجموعة من القوانين لتنظيم العمل داخله، وهي قوانين ستسري فقط على من لا يعنيهم أمره!

حمل هذا الإصلاح كذلك اسم" الوطني "؛ فرغم إيجابية بعض النقط الواردة فيه، نجد أن صياغته انحصرت داخل جزء محدود من النخبة السياسية وبعض الفئات المتنفذة.. فهل باقي فئات المواطنين لا يهمها إصلاح التعليم؟

إن العكس هو الصحيح، فرغم كون تلك الصياغة تتطلب دراية وتخصصا واهتماما بالموضوع وتفرض مستوى ثقافي معين.. فإن جوهر هذه الصياغة يبقى لا يتطلب مثل هذا التخصص والدراية بشؤون وبنود الإصلاح، فلماذا لم يعمل كل الداعين لهذا الإصلاح على إنزال ذلك المشروع الإصلاحي إلى عموم فئات الشعب المغربي؟ وتنظيم تجمعات وملتقيات جماهيرية يُفسح فيها المجال لمختلف وجهات النظر، ولآراء من الفئات الكادحة.. ربما ستبرز آراء ومقترحات في مجال ما يُراد إصلاحه مختلفة تماماً عما جاء به الميثاق.. إن أي إصلاح يتم في إطار من التسوية، وفي غياب آراء تضمن المصالح الحقيقية للفئات الشعبية، لن يعمل إلا على تزكية طبيعته الممنوحة والبعيدة عن مطامح الشعب المغربي، رغم ما قد ينطوي عليه من إيجابيات جد محدودة .. لقد كان من الضروري تحسيس كل الفئات الكادحة بأهمية الإصلاح.

وعموما فإن غياب الإرادة السياسية لدى الحكومات المتعاقبة، قد حال باستمرار دون المعالجة الشمولية والحقيقية لأزمة التعليم، ومشروع الوزارة المتعلق بالتعليم الأساسي لا ينسجم مع المقتضيات الضرورية للمدرسة الابتدائية التكوينية منها والتربوية والمادية، والغايات المحددة في وثيقة الإصلاح غايات عامة ـــ حتى لا نقول ديماغوجية ـــ لعدم استنادها على مخطط حقيقي لتوفير الوسائل الضرورية، أما الغايات الحقيقية المسكوت عنها فتكشف عنها تعليمات المؤسسات المالية الأجنبية التي تحث على التقليص من النفقات الاجتماعية والحد من مصاريف قطاع التعليم.

فدول آسيوية مثل " كوريا الجنوبية "، لها نفس الإمكانيات الطبيعية، وشاركتنا نفس خط الانطلاق، رفعت شعاراً: " أعطيني سياسة عاملة فاعلة، أعطيك تعليما جيداً متطوراً.." ، فأين نحن منها الآن؟

هذه بعض جوانب الأزمة في نظامنا التعليمي ـــ وغيرها كثير ـــ وهي كافية لإسقاط التهمة عن المعلم الذي لم تتردد بعض الجهات المسؤولة في تحميله مسؤولية هذه الأزمة، الذي هو بريء منها براءة الذئب من دم يوسف .. فالمعلم ما هو إلا منفذ؛ لا يُسمع له رأيٌ ولا تُقبل له مشورة مع أنه طرف أساسي في العملية التعليمية يكتوي بنارها ويحرق أعصابه في أتونها... أبمثل هذه التهم يتم تكريم من أفنى حياته في خدمة هذا القطاع وفي خدمة الوطن، تارة باسم التطوع وتارة باسم التضامن وطوراً باسم التضحية؟... فهو مُطالب بالإضافة إلى التعليم ـــ المهمة المنوطة به ـــ القيام بالتربية والتقويم والتنشيط والتخطيط والبحث والتراسل والتسيير والحراسة والتنظيف.. بل ومهام أخرى خارج الوزارة التي ينتمي إليها كالإشراف على الانتخابات والمساهمة في التلقيح... وباختصار فهو المدرسة ومحيطها، لا، بل هو التعليم بعينه !! فلا غرابة من تحميله مسؤولية أزمة التعليم.

فالمعلم إذ يقوم بهذه الأعمال الزائدة بالمجان، يعي جيدا بأنه حتى تلك الأجرة الزهيدة التي يتقاضاها مقابل التعليم فقط ـــ والتي غالبا ما يقتسمها مع بعض الضعاف من تلامذته ـــ لا تضاهي أتعابه، ومع ذلك فهو يتفانى في تأدية مهمته بأمانة وإخلاص، ولا ينتظر من أحد جزاء ولا شكُوراً ..، قد يتحمل في ذلك شدة الجوع وقساوة الطبيعة، إلا أن الشيء الذي لا يستطيع تحمله هو أن يُتخذ منه شماعة تعلق عليها إخفاقات مشاريع لا ناقة له فيها ولا جمل، "فالحلال بينٌ والحرام بينٌ " على حد قول الفقهاء .

ومن المفيد التذكير ـــ لعل الذكرى تنفع المؤمنين ـــ بأن أغلى جزاء عند المعلم وأعمق شكر بل وأوج السعادة عنده هو عندما يلتقي مستقبلاً بأحد تلامذته وهو في أحسن حال وأرقى درجة منه، هذا ما يحفزه ويضمن له الاستمرارية ولا شيء سواه، وهنا أستحضر مقولة لكارل ماركس: "إن الإنسان كان كائناً اجتماعيا لديه القدرة على رؤية نشاط في الحياة على أنه شيء من إرادته ووعيه، إلا أن حياته أصبحت " وسيلة للحياة " وليست الحياة ذاتها".

فحذار من قتل هذا الإحساس فيه.. ففيه قتل لما تبقى من بصيص أمل في التعليم العمومي.

■ ذ. محمد بالقاسم

مدينة المزمة (رمزمات) في سطور

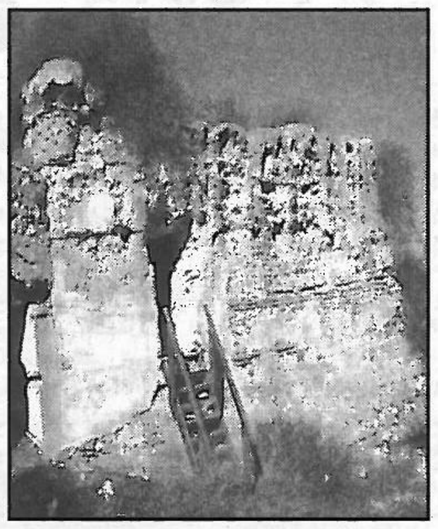

من أبرز المآثر التاريخية التي لا زالت متواجدة إلى اليوم بالريف، أطلال مدينة المزمة المتواجدة أسفل هضاب قرية أجدير قبالة جزيرة انكور، فرغم الدمار الذي تعرضت له عبر مختلف الحقب التاريخية فإن بعضا من أسوارها لا زالت قائمة إلى اليوم متحدية التخريب وعوادي الزمن وشاهدة على حضارة ابتدعها الإنسان الريفي عبر تاريخه الحافل بالإنجازات.

تعتبر مدينة المزمة من المدن والمراسي التي شيدت على طول الساحل الريفي بعيد الإشعاع الحضاري والثقافي الذي عرفته إمارة انكور التي أسسها صالح بن منصور والتي كانت عاصمتها (مدينة انكور) لا تبعد عن مدينة المزمة إلا بحوالي ١٥ كلم.

في الأصل كانت مدينة المزمة عبارة عن ميناء يستعمل في العمليات التجارية التي كانت تهم عددا من المواد (الملح - الشمع - الحبوب - الصوف - الذهب...) بين ضفتي المتوسط وخاصة بين الريف والأندلس، كما كانت تصله السلع القادمة من فاس وغيرها من مدن المغرب إضافة إلى القوافل الآتية من دول جنوب الصحراء (مالي التي كان يطلق عليها حينذاك السودان الغربية)، ومع تزايد الرواج الذي عرفه، بدأ هذا المرسى يتوسع بشكل تدريجي واستقطب العديد من الأسر حتى تشكلت مدينة المزمة التي كان مركزها مسيجا بسور لا زالت آثاره قائمة إلى اليوم. وستتالق مدينة المزمة أكثر بعد الدمار التام الذي تعرضت له مدينة انكور سنة ١٠٨٤م إثر الهجوم العنيف الذي قاده الإمبراطور يوسف بن تاشفين المرابطي، واستمر إشعاعها حتى أواخر القرن ١٥ وقيل ١٧ بعد الخراب الكلي الذي تعرضت له زمن السلطان المولى رشيد.

بعد الدمار الذي تعرضت له وبسبب انعدام الصيانة وأعمال الترميم، ومع تخصيص جزء هام من مساحة المدينة لإقامة المشروع السياحي لنادي البحر البيض المتوسط في الستينيات من القرن المنصرم ثم لبناء مركز لتنمية المرأة وإقامة أعمدة الهاتف النقال لشركة ميديتل للاتصالات، فإنه لم يتبق من مدينة المزمة اليوم سوى بعض الأسوار وبقايا إحدى المرافق التي قيل أنها كانت المسكن الرئيسي لأمير المدينة وقيل أنها كانت لمسجد المدينة.

من خلال الصور المثبتة على الجداريات الإشهارية المتواجدة بكل من شاطئ اسفيحة وقرب مقبرة المجاهدين، يتضح أن الدولة عازمة على إقامة مشروع سياحي على طول الساحل الممتد من اسفيحة وحتى السواني، وإن كانت معالم هذا المشروع لا زالت غير معروفة في دقائقها، فإن ما يقلق المهتمين بالذاكرة والمآثر التاريخية وعموم المواطنين هو مآل أطلال مدينة المزمة التي يشملها هذا المشروع السياحي، والكل يتخوف من أن يكون مصيرها شبيها بمصير أطلال مدينة انكور التي عمد المسؤولون في السبعينيات من القرن المنصرم إلى غمرها بمياه واد انكور بعد أن شيدوا على هذا الوادي سدا أتى على معظم المساحة التي كانت تحتلها هذه المدينة)انكور).

حرف الزاي الأمازيغي: ذلك المحبوب الرشيق... والبديع في كبريائه وأنفته

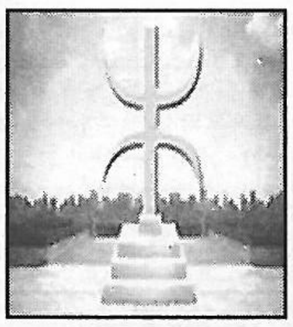

حرف الزاي... ذلك المحبوب الرشيق، والمعشوق الخالد، الجميل في هيئته وشاكلته، والبديع في كبريائه وأنفته؛ وقفة نشمي أبي يرفع هامته بجلال وكبرياء، وعظمته تضاهي عظمة فارس متيم بعشق الوطن الخالد، يتمنى لو يعانق الأمة فردا فردا بذراعيه اللطيفتين، تخطه أناملنا بإتقان متناهٍ على اللافتات واللوحات، في المناسبات والملتقيات، فيخفر المكان بقدسيته العجيبة، ويضفي على الجمع هالته المجيدة، تضعه الواشمات على جسد العذارى عذبا رقيقا، وترسمه الجدات بالحناء على أكف العرائس يوم الفرح والزفاف بشاعرية ساحرة وجمالية فاتنة، يشكله الصائغ على حليه الجميلة وفق مقاييس وتلاوين عديدة، فيسلب عقل النساء ويداعب أحلام العذراء، يحمله الطوارق الأباة معهم في ترحالهم وتجوالهم بين كثبان الرمال والصخور الجرداء، وبين نخيل الواحات وظلالها، تذكارا غاليا عزيزا، وتعويذة نفيسة تقيهم شرور الأيام ومطبات الحياة، وتميمة مباركة تجلب لهم المن والعطاء والصحة والفرح.

زاينا هذا يتوسط علم تيموزغا العزيز علينا جميعا بجلال وعظمة، فنعشقه بحرارة حتى الموت، ونقدمه على باقي الحروف لأنه سيدها وغرتها، ونتخذ منه شعارا خالدا أبديا لأنه المنير...والبهي...والجليل...

نرفعه عاليا... عاليا... شؤ ضمخف لكي ينهل من زرقة السماء بحرارة، ويعانق النجوم والغيوم، ويتعمد من نور الصباح وعبير الليل، ولكي ينسج من ألوان قوس قزح عباءات مزركشة ملونة لعرائس بناتنا في تامازغا العظيمة.

ومن غريب الصدف ونادر المفارقات، نعم... هكذا نقول لكي لا نترك لذوي النفوس المريضة الضعيفة (أقصد عكرمة وصعصعة وسراقة وحنضلة وعلقمة وأبي جهل...) ليلصقوا لنا تهم الردة والوثنية والدجل والسفسطة كعادتهم دائما، ولكي لا ندع مطية لمن تنكر لدمائه وجذوره، وولى وجهه قبلة الشرق ليبحث عن الملاحم والبطولات في المقامات والمعلقات، وسيرة سيف ذي يزن وجرائم بن العاص وعقبة وزهير وبن الوليد... ونوادر البسوس وداحس والغبراء (وأم المعارك = أم المهازل = أم الهزائم). ولمن صدق بغباء نصر تشرين المهزلة، وصفق لخلود الحكام في المشرق وتوريث الجمهوريات، ولمن لا يهمه مجد زاينا وانبعاث أمتنا. نعم... من نادر المفارقات وغريب الصدف أن حرف الزاي بشكله العجيب يرمز إلى ثلاث ديانات سماوية:

١ - الشمعدان أعلى وأسفل رمز للديانة اليهودية...

٢ - الصليب في جزئيه الأعلى والأسفل كذلك يرمز إلى المسيحية.....

٣- الهلال في جزئيه الأعلى والأسفل يرمز إلى الإسلام.

وهذا دليل آخر على مدى انفتاح ايمازيغن.

ولحرف الزاي كذلك سبعة أجزاء، وللرقم سبعة دلالات عميقة وعظيمة في تراث وحضارات الشعوب.

سبع سماوات... سبعة أيام... العجائب السبع... مدينة التلال السبع... القديسة التي أنجبت سبع توائم...

أفلا تدفعنا هذه المفارقات اللطيفة لنتشبث أكثر بهويتنا وأرضنا وثقافتنا والتضحية المستمرة من أجل إدخال زاينا الجميل في منظومتنا الوطنية؟

هذا هو زاينا المحبوب... في بجاية وتاغاست، وسوس أغمات، وطبرق وتمنراست... كلمة مجنحة وسر رباني مقدس، يحمل بين ثنايا روحه نورا وحياة وحرية، وبين تلا فيف قلبه وحدانية وإيمانا وقدسية.

زاينا هذا... ما زال وراء القضبان سجينا حزينا... مكبلا بقيود وأصفاد، يذوق المرارة كل يوم، ونحن وحدنا القادرون على فك أسره.

● عساسي عبد الحميد

وجهة نظر:

لماذا تطال الاعتقالات مناضلي الحركة الثقافية الأمازيغية؟

في إطار الحديث عن الأزمات السياسية التي تعيش على وقعها بلادنا في الفترات الأخيرة؛ والإفرازات التي نتجت عنها؛ وخاصة في ظل حكومة آل الفاسي الحالية؛ سنخصص حديثنا عن المعتقلين السياسيين للقضية الأمازيغية من داخل الجامعة المغربية؛ فعلى ما يبدو أن هذه الاعتقالات السياسية التي تشكل طبيعة موالية لصيقة بالنظام المخزني لقمع الحركات الاحتجاجية منذ فجر "الاحتقلال" لا يمل المخزن المغربي من انتهاجها كلما سنحت له الفرصة؛ واستعمالها كورقة للتهديد في وجه كل معارض لسياسته؛ وفي حق جميع أبناء هذا الوطن.

وقد يبدو للمتتبع للمشهد السياسي المغربي في الحالة الراهنة؛ أنه من البديهي أن ينتهج المخزن سياسة الاعتقال هذه في صفوف مناضلي ال نضشد.بحكم أن قضية الهوية الحقيقية للمغرب المرتبطة أساسا بالقضية الأمازيغية؛ قد أصبحت موضوع الساعة؛ الأكثر شيوعا في المجتمع المغربي بمختلف فئاته؛ ومحط اهتمام جهات دولية كذلك وبالتالي فمن الطبيعي جدا أن يستهدف المخزن مناضلي الحركة الأمازيغية؛ كما استهدف في مرحلة من مراحل المغرب السابقة أو ما يسمى بسنوات الرصاص مناضلي الحركات المتياسرة؛ وكما استهدف الحركات الإسلاموية في السنوات الأخيرة؛ وخاصة منذ الأحداث الإرهابية التي شهدتها مدينة الدار البيضاء. إلا أنه جدير هنا بالذكر والملاحظة أن المخزن المغربي يجد أسبابا وجيهة في اعتقال أولئك المناضلين الثوريين أو المجاهدين؛ كل حسب قاموسه المعجمي. لقد كانت هنالك قواسم مشتركة بين التوجهين المتياسر والإسلاموي؛ المتمثلة في إعلان الرغبة والدعوة إلى إسقاط النظام المغربي صراحة؛ مما برر من جهة ثانية استعمالهم للعنف؛ عن طريق تنظيم خلايا سرية مسلحة؛ استعدادا لإيقاد الثورة الاشتراكية في التوجه الأول؛ ولضرب مؤسسات الدولة التي تعتبر كافرة بهدف نسفها لإقامة الدولة الإسلامية في التوجه الثاني.

هذا التغيير المراد لنظام الدولة من طرف مرجعياتهما؛ كان تغييرا فوقيا أي بدأ التغيير من القمة. وبالتالي فهو يهدد النظام المخزني وعلى رأسه المؤسسة الملكية؛ ولكن هذين السببين المتمثلين في إسقاط نظام الحكم الملكي وتنظيم خلايا سرية مسلحة؛ لا وجود له في الحركات الأمازيغية بجميع تلاوينها. إذن هنا يطرح التساؤل حول سبب اعتقال هؤلاء المناضلين الأمازيغيين المنتمين للحركة الأمازيغية (علي صدقي أزايكو،ثيللي...) والمنتمين للحركة الثقافية الأمازيغية (مناضلي امتغرن - الراشدية؛ أمكناس؛ بومالن دادس..) إن كانوا لا يعتمدون على العنف في نشر أفكارهم وطرح قضاياهم بانتهاجهم لأساليب سلمية، بل إنهم هم أول من طرح ميثاقا لنبذ العنف من داخل الجامعة المغربية والذي لم يلق قبول مكونات أوطم لحد اليوم؛ وكذالك أول من ندد بتفجيرات الدار البيضاء.

هنا إذن يكمن لغز الاختلاف ما بين التوجه النضالي الأمازيغي وباقي التوجهات؛ فالحركة الأمازيغية تستهدف التغيير في المجتمع المغربي للسير نحو الأمام من القاعدة الجماهيرية؛ أي اكتساب الجماهير الشعبية والتغلغل في الأساس الذي يكون وتعتمد وتبنى عليه الدولة. فهذا الخطاب إذن خطاب من الشعب إلى الشعب أولا و أخيرا. وهذا هو نوع الخطاب الذي يخيف ويهدد النظام القائم؛ لأنه يستهدف تغييرا راديكاليا. فالمناضلون الأمازيغ لا يطرحون أسئلة سطحية ومتجاوزة؛ بل أسئلة جلها كانت طابوهات في المجتمع المغربي منذ 'الاحتقلال' أسئلة تطرح في عمق وجود الإنسان؛ ألا وهي الهوية ومن ثم التاريخ؛ الثقافة؛ الدين....

جدير بالذكر هنا، أن المشروع الأمازيغي للتنمية يرمي إلى بناء المجتمع المغربي عبر الاستفادة من الثقافة المتأصلة والسائدة في الشعب المغربي؛ إقتداء بجل الدول المتقدمة التي استفادت من تراثها عبر استثمار ثقافتها من أجل تحقيق التقدم لشعوبها وتطوير اقتصادها (اليابان، النمور الآسيوية، أروبا الغربية.....) وطبعا، فالمناضلون الأمازيغ لم يكتفوا بطرح الأسئلة فقط بل انتقلوا إلى الإجابة عليها بتقديم جابات حقيقية وعلمية مبنية على مختلف العلوم والحقائق التاريخية؛ وتفادت الإجابات الإيديولوجية. هنا يكمن ضعف المخزن المغربي ومناصريه أمام الخطاب الأمازيغي المتسم بالموضوعية والشفافية إذ لا مجال للنقاش فيه. وبالتالي فما على المخزن إلا ابتكار فكرة نشاء "المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية". محاولة منه لاحتواء امتداد خطاب الحركة الأمازيغية؛ عبر تعيين كبار الأطر الأمازيغية في هذا المعهد. لأن الحركة الثقافية الأمازيغية ول من وقف في وجهه-المخزن-وعارضت الفكرة بفضحها لمراميها وأهدافها. وكان هذا الموقف يمثلنضشد على مستوى الجامعة المغربية ككل؛ هذا الإطار الذي سس وحافظ على هيكل تنظيمي؛ وخطاب فكري وسياسي على مستوى الخريطة الجامعية. مام هذا الوضع؛ حاول المخزن العروبي يجاد حلول خرى لكسر شوكة نضال و صمود النضشد. فما كان منه لألا استدراج نضشد إلى مستنقع العنف عبر تسخيره لمجموعة من أياديه الخفية في مجموعة من المواقع الجامعية بتازة، مراكش، اكادير، الراشدية، وأمكناس...بتوريطهم في جرائم لا صلة لهم بها.

هنا يأتي دور القضاء العروبي المنحاز الذي تعمد الحكم على هؤلاء المناضلين رغم تبرئتهم من طرف الشرطة العلمية نفسها. فأصبح بالتالي القاضي و معاونوه يعرفون في شؤون التحقيق والبحث عن الجرائم فضل من الشرطة العلمية التي تخرجت من كليات متخصصة. هنا ذن يظهر تورط القضاء العروبي في اعتقالات ومحاكمات سياسية في حق مناضلي ال نضشد. بل يزيد من تورطها إقدامها على اعتقال مناضلين آخرين بدون عذر؛ ضافة إلى مناضلي الحركة التلاميذية الأمازيغية ببومالن داداس و نشطاء أمازيغيين على مستوى الشارع ثر انتفاضة الشتاء الأسود الأمازيغي.

هذا كله إذن تمارسه الدولة في حق النشطاء الأمازيغيين رهاب باقي المناضلين في مختلف أرجاء الوطن سواء داخل الجامعات أو خارجها؛ وما استهدافها لمناضلي ال نضشد الذين يعتبرون الورثة الشرعيين للمقاومة المسلحة وجيش التحرير المغربي؛ لا محاولة منها-الدولة- لاجتثاث النضال الأمازيغي من منبعه حيث تمثل نضشد المدرسة النضالية التي يتخرج منها كل سنة العشرات بل المئات من المناضلين الذين يتحول نضالهم على مستوى الشارع إلى الممارسة و التطبيق.

إلا أنه قد غاب عن المخزن العروبي أن لمناضلي ال نضشد مبادئ و قيم إذا اعتنقها المناضل يعجز ويستحيل عليه التراجع عنها. فالمناضلون الأمازيغ لا يخافون من دفع حريتهم ثمنا لقناعتهم المبدئية؛ بقدر ما يخافون الموت و هم طريحي الفراش و الشيخوخة؛ إقتداء بالثائر الحر معتوب لونيس.

● سمية بنسعلي

إصدار جديد للمفكر المغربي عبد الله العروي حول: " السنة والإصلاح "

محمد لمرابطي

نشر المركز الثقافي العربي في الآونة الأخيرة كتابا جديدا قيما وغنيا للمفكر المغربي والباحث الأكاديمي الأستاذ عبد الله العروي تحت عنوان: " السنة والإصلاح "، محوره ضمن تسعة فصول ترتبط فيما بينها بشكل متلاحم ووثيق، ووحدة فكرية وموضوعية منتظمة ومتناسقة لا يكاد يعتورها إخلال أو تنافر، ففي الفصل الخامس مثلا، ذكر بما أن إبراهيم هو أب الأمم فإنه يوضع حكما خارج النسق، تجربته فريدة، قابلة للتجدد والتكرار ولكن في صورته الأصلية قبل أي تخصيص، لا هو يهودي ولا هو نصراني، إبراهيم هو الخليل وكفى، ثم يسترسل ماذا يعني لفض أمي الذي طال النقاش حوله إن لم يفد هذه الحال بالذات، محمد أمي، مفروض عليه أن يكون أميا، لأن إبراهيم كان، بل اختار أن يكون أميا، إذ هجر الحضارة، وضع إبراهيم نفسه حتما قبل الكتابة، أما نودي، أما انتشل من بين المتكبرين؟

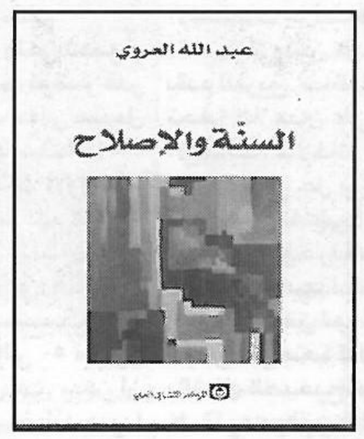

كما يذكر في الفصل السابع بأن الشيعة لا يعارضون فكرة السنة بقدر ما يتشبثون بسنة مخالفة، أما الخوارج فإنهم لا يرضون بأية سنة، بأي تقليد مستقر ومتراكم.

وإذا كان حكم المذهب الخارجي منذ البدء أن يتراجع ويضمحل. فإن المذهب الشيعي عكس ذلك، لم يفتأ ينتشر ويتقوى، بل أوشك أحيانا على الفوز بولاء الغالبية، وحتى بعد أن أخفق مشروعه السياسي، فإنه احتفظ بجاذبية لا تنكر، والسر هو أن المذهب الشيعي يسير دائما إلى أقصى ما يحتمله كل اختيار قالت به الجماعة وأهل السنة، وهذا التطرف النظري والاتساق في المواقف كان بالنسبة للشيعة عامل قوة على المستوى الفكري (الإيديولوجي)، وعامل ضعف وتخاذل على المستوى العملي، إذ كان دأب معتنقي هذا المذهب التردد بين العجز والتقية من جهة وبين الظهور والانتهازية من جهة ثانية.

وكل ما نقوله عن التراث السني، سلبا أو إيجابا، ينسحب على مقابله الشيعي، إذ الأصول واحدة، والمنهج واحد، والمصطلح واحد، لذا وعكس المذهب الخارجي، لا يمكن للمذهب الشيعي أن يرشح نفسه بديلا على المجتمعات السنية.

وفي فصله الثامن، أشار العروي إلى أن السني لا يتصور مجتمعا بلا طبقات، دع الكلام عن سلطة موزعة أو حكم مشترك، لا يحتاج إلى استلهام التاريخ ليقرر أن الديمقراطية هي عين الفوضى والمساواة فتنة مقنعة، يقول هل الكواكب متساوية؟ هل الملائكة سواسية؟ فلماذا لا يكون بين البشر تمييز وتفضيل؟

كما اعتبر الخلاف بين المعتزلي والسني يدور في الواقع حول السلطة، تأصيلا وممارسة.

وعن دور الاستعمار وطريقة تعامله مع السنة فقد تعرض في الفصل التاسع والأخير إلى أن الاستعمار يحل ما عقدته السنة، ينثر ما نظمته، يضيء ما ألحت على طمسه، يقوم بعملين متناقضين: يعيد إلى النور ما ليس بسنة، وفي الوقت نفسه يمنعه من أن يتطور إلى سنة مضادة، إلى بديل.

وفي نظر الآخر، أي الأغلبية الثقافية، كل واحد منا، أيا كان مقامه، يعرف تلقائيا بالسنة، أكان مواليا لها أو معترضا عليها.

وفي ختام كتابه يشير العروي، إلى أنه واجب علينا إنقاذ العلم والسياسة، لا من الدين، إذ المفهوم يتطلب كل مرة مزيد تدقيق، بل من التأويل الذي فرضته السنة، والسنة مؤسسة بشرية، رسمية كانت أم لا، والواجب عام ودائم إذ لا نهاية للصراع.

وفي هذه الحال لا بد من سلطة محايدة، ترسم الحدود وتلزم كل طرف باحترامها، بعد أن علمتنا تجارب مرة كثيرة أن النفس لا تؤتمن.

جمعية ثويزا بطنجة تنظم ندوة فكرية حول:

" الإسلام والثقافات غير العربيةّ: الأمازيغية نموذجا"

تنظم جمعية ثويزا بطنجة ندوة فكرية حول "الإسلام والثقافات غير العربية: الأمازيغية نموذجا"، وذلك يومه الجمعة ١٩ شتنبر ٢٠٠٨ على الساعة التاسعة ليلا، بقاعة الندوات التابعة لفندق الأمنية بويزتو - طنجة. وسيشارق في هذا اللقاء الأساتذة: سعد الدين العثماني، أحمد عصيد، مصطفى المسعودي ومحمد علة كرئيس للجلسة.

مشروع أرضية الندوة

لقد كان قدر شمال إفريقيا أن بلغه الإسلام منذ العقود الأولى التي تلت ظهوره. وكان قدر الأمازيغية أن توجد في هذه الرقعة الجغرافية. ومن ذلك كان قدرها أن توجد مع الدين الإسلامي، ويعتنق السواد الأعظم من أهلها آخر دين الهي ينزل إلى الأرض.

" الإسلام والأمازيغية "،موضوع يجمع بين حدين التقيا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا. وهذا اللقاء يستحق التنوير والبحث، لما يحوم حوله من تصورات وتساؤلات لا تنحصر في خصوصية الحدين ،وإنما لاندراجهما في إطار نظري وفلسفي عام،يشمل علاقة الدين بالثقافة وبالتاريخ وباللغة وبالهوية.

من بين الأسئلة التي تثار بهذا الصدد، موقف الدين الإسلامي من الثقافات غير العربية. وقد لا تنحصر هذه الأسئلة في علاقة الإسلام باللغة العربية من جهة نزول القرآن الكريم بهذه اللغة، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى مسألة المماهاة بين الدين الإسلامي واللغة العربية،إلى درجة أن يعتقد البعض في قدسية هذه اللغة البشرية التاريخية،فيختلط الأمر ،ليتم التشكيك أو التنقيص حتى من عقيدة من ليس لسانه عربيا.

" الإسلام والأمازيغيةً "، قد تطرح العلاقة بينهما أسئلة من نظام تاريخي. فيفتح نقاش مفاهيمي لتحديد الفرق بين ما يعتبر "فتحا" وبين ما يعتبر "غزوا". فتتعارض الأطروحات باختلاف المرجعيات و تضارب الأهداف والنوايا وتعدد الروايات التاريخية. وقد تؤثر ،اليوم، هذه الاختلافات حتى على موقف مختلف الحركات الإيديولوجية القومية العربية أو الأمازيغية أو الإسلامية من الماضي. فتعكسه على خطاباتها السياسية والثقافية. وتجعل العلاقة بين الإسلام والأمازيغية علاقة متوترة في عيون البعض. و هذا ما يظهر في تصريحات مختلف الأطراف التي تراهن على هذين الموضوعين لتحقيق مكاسب سياسوية وإيديولوجية عارضة.

إن تعايش الأمازيغ مع الإسلام لقرون أمر واقع سياسيا. والتفاعل بينهما ثابت بضرورة التاريخ. فالدين الإسلامي قد تغلغل في عمق الأمازيغية. والتاريخ شاهد على اهتمام الأمازيغ بهذا الدين وعنايتهم به واجتهادهم في حفظ وتفسير القرآن والحديث،وإتقانهم لعلوم الفقه. وفي هذا الاهتمام والاجتهاد أثر ثابت للأمازيغ في التاريخ السياسي والاجتماعي والعلمي للإسلام. كما أن الأمازيغية لغة وإنسانا ظاهرة عليها آثار وبصمات الإسلام. وهذا موضوع قد تثار حوله نقاشات و قراءات قد تغني تاريخ الإسلام وتاريخ الأمازيغية على السواء.

واليوم، ومن بين التناقضات التي تثار حول علاقة الأمازيغية بالإسلام نجد ما يروج من مغالطات وادعاءات تعميمية تعمد إلى النيل من الأمازيغية باسم الإسلام ،أو العكس. فيرى البعض في المطالبة بإحياء والنهوض بالهوية الأمازيغية العريقة إحياء للثقافة الوثنية لما قبل الإسلام. فيطلق العنان لربط الأمازيغية ، قدحيا، تارة بالشيوعية الإلحادية،وتارة بالفرانكفونية العلمانية و اللائكية،وتارة أخرى بالاستشراق الاستعماري،وبل وحتى بالصهيونية. بل منهم من يذهب به الخيال "المبدع" إلى الحكم بأن الأمازيغية والفرنكفونية والشيوعية، ترضع من لبن واحد،هو الحركة الاستشراقية ذات الأهداف العدوانية على الإسلام!! ومثل هذه الأحكام "الساذجة" قد نجدها لدى البعض الآخر الذي يلفق للإسلام مسؤولية السعي إلى طمس الهوية الأمازيغية واقبارها ،دون إدراك للحدود الفاصلة بين الإسلام وبين "الايديولوجيا القومية العربية الاستئصالية".

ثمة سؤال إشكالي آخر يثار حول علاقة الإسلام بالأمازيغية . وهو: لماذا لم تحتفظ دول شمال إفريقيا الأمازيغية ،في اعتناقها للإسلام،بهويتها ولغتها وثقافتها الأصلية كما كان الشأن بالنسبة للفرس والأتراك والأفغان وغيرهم من الشعوب الإسلامية غير العربية؟الأسباب وعوامل ذاتية محايثة للأمازيغية، أم لسياقات سياسية وتاريخية موضوعية، أم لظروف أخرى؟...

تلك جملة من الأفكار والأسئلة تطرحها جمعية ثويزا بطنجة ،من خلال تنظيمها لهذه الندوة الفكرية،وتطمح من خلالها إلى إثارة المزيد من الأسئلة حول علاقة الإسلام بالأمازيغية، والاهتداء إلى بعض المقاربات التي قد تساهم في إضاءة هذه العلاقة،ورفع اللبس والتصورات التي تثار حولها. وسيساهم في تأطير هذه الندوة أساتذة متخصصون ، سيتناولون هذا الموضوع، كل من الزاوية التي يراها مناسبة للإحاطة ببعض جوانبه المهمة.

طنجة :٩ شتنبر٢٠٠٨

الإسلام والمسلمون في إسبانيا

كتاب "الإسلام والمسلمون في إسبانيا"، من خلال دراسات ميدانية، أنجزت من قبل مجموعة من الباحثين الإسبان المختصين تحت إشراف الدكتورة الإسبانية "خيما مارتين مونيوث "، وعمل على ترجمة هذه الدراسة من الاسبانية إلى العربية الباحثة المغربية والدكتورة كنزة الغالي، وتعهدت مؤسسة الزمن بنشره بدعم من المديرية العامة للكتاب التابعة لوزارة الثقافة الاسبانية، وتركز الدراسة بالخصوص على فئة المهاجرين المغاربة، بحيث يبتدئ الكتاب بتوطئة يعقبها تقديم، ويشتمل على ثلاثة فصول، يتناول الفصل الأول مسالة الاندماج، وخصص الفصل الثاني للمغاربة في إسبانيا، أما الفصل الثالث فيشتمل على مقاييس اندماج المغاربة في إسبانيا انطلاقا من تجربة المهاجرين، فخاتمة، ثم ملحقات: تتعلق بمخططات وبرامج الإدماج في إسبانيا.

وقد حلل الكتاب ظاهرة الهجرة بالرجوع إلى كل الظروف التي أنتجتها ومنها السياسات العالمية، التي ينجم عنها التفاوت الاقتصادي بين جهات العالم المختلفة مما يؤدي إلى نسبة نموي هزيلة في الدول النامية، التي تحكمها ظروف سياسية يطغى عليها الانفراد بالحكم وسوء التسيير والرشوة، إضافة إلى العوامل الاقتصادية العالمية التي يلعب بخطوطها الأباطرة الأقوياء، وبما أنه لا يتم معالجتها في إطارها الشمولي، فإن التدابير الأمنية ومراقبة الحدود تبقى عاجزة عن حل مشكلتها.

وحسب هذه الدراسة الميدانية فإن هجرة سكان مدن شمال المغرب إلى إسبانيا ترجع لعدة عوامل، منها الاحتكاك بالإسبان الذين كانوا متواجدين بنسبة هامة في شمال المغرب، وبانحدار بعضهم من أبوين، أحدهما إسباني، بالإضافة إلى ما ينشره الإعلام من إثارة ورخاء بإسبانيا، الأمر الذي جعل منها مصدر إثارة وأمل يريد الجميع ان يبلغه، رغم أن بعض المثقفين ما زالوا يركزون على صورة إسبانيا القديمة.

كما تطرقت الدراسة إلى معدل نمو المغاربة الذي يحتل الدرجة السابعة بعد كل من الاكواتوريون، والرومان، والكولومبيون، فالسنيغال والجزائر والبرازيل، إلا أن هذه الاستنتاجات يجب أن تؤخذ بحذر، لمحدودية التحليل ومحدودية المدة الزمنية التي تمت فيها.

وتشير الدراسة إلى أنه تم رفض عدد كبير من طلبات المغاربة المتعلقة بتسوية وضعية إقامتهم بشكل قانوني فوق التراب الإسباني ، بالإضافة إلى الجزائريين والسنيغاليين والباكستانيين، باستثناء الإكواتوريون والكولومبيون الذين كانوا أكثر استفادة من عمليات التسوية، ولوحظ انحياز السلطات الاسبانية خلال عمليات التسوية القانونية للمجموعات غير المسلمة، مثل الأمريكولاتينيون إذ تم إدماجهم في قطاعات معينة منتقاة، هذه الدراسة لم تمكن من الجزم بهذا المعطى، ولكن الأمر مطروح للنقاش وتعميق البحث وتدقيق النتائج .

وتعتبر الدراسة أحداث ١١ شتنبر والعلاقات السياسية المتوترة بين المغرب وإسبانيا من بين العوامل التي تدعو لرفض المسلم عموما والمغربي خصوصا، ويبقى الدور الذي يجب أن تلعبه الجمعيات الإسلامية كبيرا لمحو مشاعر العداء تجاه المسلمين ودحض الصورة السلبية التي يروج لها الإعلام ضد المسلمين، وفي نظر الدراسة فإن تصرف المسلمين يجب أن يفهم سوسيولوجيا، وليس كحالة باثولوجية(مرضية)لصيقة بالإسلام، وقد تركز الاستجواب في الدراسة الميدانية على ثلاث أسئلة أساسية شملت العنصر الذكوري ومقاربة النوع من النساء، كان أولها حول حياة المهاجر في وطنه الأم، وثانيها حول مسار هجرته، وثالثها حول طريقة استقراره واندماجه في إسبانيا.

وأكدت الدراسة أن المهاجر نفسه يجهل كل شيء عن وضع المهاجرين في بلد الاستقبال، لأنه لا يجد ولا يعرف من يمكن أن يزوده بالمعطيات الأولية عن المجتمع الاسباني، ويبقى التعارف المتبادل خطوة أساسية في التعريف بالمجتمعين المغربي والاسباني لتسهيل الاندماج، ويبقى هذا أيضا من بين مكونات المشروع الأوروبي ضمن برنامج "كريكو"، لكن للأسف لم تتبلور مجهودات جادة في هذا المجال.

المخرج السنمائي محمد قيسي يهيئ لإعداد

فيلم حول شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي وحرب الريف

بعد أن انعقد اجتماع بمقر جمعية بادس للتنشيط الاجتماعي والاقتصادي بالحسيمة، ضم مجموعة من الفعاليات والجمعيات المدنية المهتمة بتنمية الريف وذاكرته التاريخية، توجه المخرج السينمائي المغربي محمد قيسي يوم الاثنين ٠٥ غشت ٢٠٠٨ والذي حل بمدينة الحسيمة لهذا الغرض ، رفقة الهيئات ومراسلي بعض الصحف الوط ية والمحلية إلى عين المكان بأجدير والمناطق المتاخمة لها، قصد التعرف على جملة من المواقع التاريخية التي كانت مسرحا لأحداث كبرى عسكرية وسياسية خلال العشرينيات من القرن الماضي، وذلك بهدف إنجاز فيلم أولي تعريفي قصير حول شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي وحرب الريف التحريرية، بحيث سيعرض هذا الفيلم في المهرجانات السينمائية التي تعقد داخل الوطن وخارجه، أملا في الوصول إلى الإحراز على تمويل ودعم مالي من الجهات المختصة والمهتمة، من أجل الوصول إلى إعداد فيلم كبير حول هذه الشخصية الوطنية وحرب الريف الخالدة، والذي قد يستغرق تصويره سنوات عديدة على غرار بعض الشخصيات المجاهدة الفذة.

م.ل

في استجواب مع نور الدين بلوقي رئيس فريق شباب الريف الحسيمي:

طموحنا يتمثل في هيكلة وبناء الفريق ثم تحقيق الصعود

هو نور الدين بلوقي من مواليد ١٩٦٥ بالحسيمة، حاصل على دبلوم جامعي في التسيير ودبلوم في الهندسة من مدرسة فرنسية بالمراسلة، ويدير حاليا مقاولة بمدينة الحسيمة. علاقته بشباب الريف الحسيمي ذات أواصر متينة، ابتدأت منذ أن كان ما يزال طفلا، حيث لعب في صفوف هذا الفريق العريق ضمن فئة الكتاكيت ثم الفتيان، ولأسباب دراسية هاجر الحسيمة، ليعود إلى أحضان مدينته، بعد استكمال دراسته، لأجل مواصلة لعب كرة القدم المفضلة لديه ضمن صفوف المغرب الحسيمي ثم شباب الريف من جديد. الآن، وبعد أن نضج فكريا وعمريا، يقول أن حبه الدفين لفريق شباب الريف دفعه لأن يخوض مغامرة رئاسة تسيير شؤون الفريق التي يدرك مسبقا أنها مهمة شاقة وعسيرة لكنها ليست مستحيلة.

■ نود بداية أن توضح لنا الأسباب والدواعي الكامنة وراء التحاقك برئاسة المكتب المسير لشباب الريف الحسيمي، علما أن المشاكل التي يتخبط فيها الفريق لا تشجع على تقلد مثل هذه المسؤولية الشاقة؟

■■ في هذا الإطار، أود أن أتحدث إليكم بكل صدق، فانطلاقا من كوني ابن الحسيمة ولاعب سابق في صفوف هذا الفريق، فإن محبتي لهذا الأخير لا يمكن أن توصف، الشيء الذي ترتب عنه استعدادي الدائم لخدمة هذا الفريق والتضحية من أجله حتى حينما لم أكن قد تقلدت مسؤولية رئاسة المكتب بعد، بحيث ظللت دائما، حتى وأنا بعيد عن الحسيمة، قريبا من أجواء وظروف فريق شباب الريف، وكنت دائما أفكر في صياغة مشروع كروي محلي يمكن أن يخلص الوضعية الكروية بالمنطقة من الأزمة الخانقة التي تنخرها وما تزال إلى اليوم، وظللت أقول لأصدقائي بأن المشروع الذي أمتلكه يحتاج إلى قليل من المساعدة لأجل بلورته وتجسيده على أرض الواقع؛ وإذن فهذا الحلم الذي ظل يراودني لمدة طويلة في صياغة مشروع إصلاح كرة القدم بمنطقتنا، ربما بدا لي الآن أن الوقت أضحى مواتيا بعد أن كان ذلك مستحيلا فيما سبق؛ خاصة وأن مجموعة من الفعاليات المحلية التي يحذوها نفس الحماس والغيرة على فريق شباب الريف، أجروا معي اتصالات مكثفة لأجل ضمي للمكتب المسير للفريق، فكان أن رحبت بالدعوة، مع اشتراطي ضرورة العمل القاعدي المتأني لبناء الفريق على دعائم متينة، أما الإتيان بي من أجل طي مرحلة انتقالية فهذا أمر مرفوض من قبلي، لأن طبيعة عملي وتكويني لا تسمح لي بتقلد مسؤوليات لا تروق لي ولا تساير المنطق الذي يحكم حياتي العملية ككل، وقد وجدت في هذه الفعاليات الغيورة تقبلا كبيرا لأفكاري وترحيبا ومساندة قويين، ووعدوني بتوفير جميع الإمكانيات المادية والمساندة المعنوية لإنجاح مشروعي، حتى أنهم منحوني كافة الصلاحيات لتسيير الفريق وفق الطريقة التي أرغب فيها، الشيء الذي دفعني إلى الإقدام على هذه المغامرة المحبوبة من دون شك، علما أني لا أتوخى أي مصلحة شخصية ضيقة كيفما كان نوعها من خلال ذلك.

■ يبدو لي أن حديثك يتضمن نبرة ذاتية كبيرة، في الوقت الذي نرى فيه بأن مثل هذه المسؤولية يجب دائما أن تنبني على أسس موضوعية، أقصد أن رئاسة تسيير فريق كيفما كان تحتاج إلى أن يكون المرشح لهذا المنصب من "أصحاب الشكارة" الأمر الذي ربما لا ينطبق عليكم...

■■ أنا متفق معكم تماما، لذلك فأول لقاء جمعني بالفعاليات التي التمست مني رئاسة الفريق، تناول في مجمله ضرورة الإجابة عن السؤال التالي: هل هناك إمكانيات مادية لأجل العمل أم لا؟ وكنت ملحا على أن يكون الجواب حاسما: نعم أم لا؟ وفهمت منهم أن الإمكانيات المادية موجودة، وأن كل ما يلزم هو إيجاد صيغ بديلة ومبتكرة تعمل في سبيل ترسيخ ذهنية جديدة واعتماد أسس مهنية عصرية في تسيير شأن الفريق، لجعله يتطور ويتقدم بغاية تحقيق طموحات أبناء المنطقة في رؤية الفريق الأول لمدينتهم في أعلى الدرجات والمستويات وطنيا.

■ هل لك أن تنور الرأي العام ببعض الأفكار العريضة للمشروع الكروي الذي تسعى إلى تجسيده على أرض الواقع؟

■■ يمكن مثلا التطرق لمسألة اعتماد القاعدة الخلفية للفريق، أقصد ضرورة إنشاء الفئات الصغرى (الكتاكيت، الفتيان) والعناية بها، لأن إنشاءها وإهمالها لا يعني شيئا، فلأجل إنتاج وإنضاج اللاعبين ينبغي تقديم كافة أشكال الدعم لهم ورعايتهم وفق الظروف التي تساعدهم على صقل مواهبهم والتطور دائما نحو الأفضل، وهذا لن يتأتى بدون توفر أطر كفأة لها دراية بهذا المجال، الشيء الذي دفعني بمجرد أن صرت رئيسا للفريق للاتصال برئيس العصبة بهدف حثه على مساعدتنا في إرسال مؤطرين في المستوى للتعاون معنا في تكوين بعض الفعاليات المحلية في مجال التنشئة الكروية، وإذا سرنا بالشكل المرغوب فيه سنتمكن من الحصول على ما يقارب ٢٠ مؤطرا للفئات الصغرى في كل سنة، مما سيعود علينا بالنفع الكبير، وسينتشلنا من العديد من المشاكل التي يتخبط فيها الفريق راهنا...

■ مثل هذه الأفكار تحتاج إلى عقلية محترفة تعمل وفق استراتيجية طويلة الأمد، وهذا غير متوفر عندنا، فهل هذا هو السبب الذي أدى بكم إلى تقديم الاستقالة بعد وقت قصير من تقلدكم لهذه المسؤولية؟

■■ هناك مسألة مهمة، وهي أن فريق شباب الريف هو أول من عقد جمعه العام هذه السنة، وبعد يومين على هذا الجمع العام، شرعنا في عقد أول اجتماع أفرزنا من خلاله ثلاث لجان للعمل: لجنة إدارية، ولجنة تقنية ولجنة مالية. بعد ذلك، شرعت في عملي، حيث ربطت اتصالات مكثفة، اعتمادا على علاقاتي الشخصية والعائلية، بالمدارس الكروية الوطنية المعروفة مثل الرجاء البيضاوي والجيش الملكي، وفي مدة أسبوعين فقط تمكنت من الجلوس مع مجموعة من اللاعبين المتمرسين ذوي الإمكانيات المهمة الذين عبروا لي عن رغبتهم في تعزيز صفوف الفريق، علما أن منهجيتي تقضي بجلب لاعبين متميزين ومعدودين ليستفيد منهم الفريق، واتفقنا على مجموعة من الشروط لإمضاء التعاقد بشكل نهائي؛ كما أني تحدثت إلى عدد مهم من المدربين، منهم المعروفين على الصعيد الوطني مثل حمادي حميدوش وجمال السلامي وحسن بنعبيشة وغيرهم، الذين تداولت معهم في مسألة تدريب الفريق وكانت نقاشاتي معهم مفيدة للغاية...وحين أطلعت الذين وعدوني بمدي بالإمكانيات المادية المطلوبة، أخبروني مجددا بأن هذه الإمكانيات ستأتي، فأجبتهم أن هذا الكلام كان في وقت سابق، فأنا شرعت في العمل ومحتاج لإمكانيات آنية لإنجاح عملنا، وقد عشت خلال تلك الفترة أياما عصيبة أصبت خلالها بالأرق، الشيء الذي دفعني إلى تقديم الاستقالة لتحسيس الجميع بجسامة المسؤولية.

■ هل معنى هذا أن مجهوداتك فيما يتعلق بالاتصالات والتعاقدات القبلية التي كنت أجريتها مع بعض اللاعبين قد ذهبت سدى؟

■■ رغم كل شيء فقد استطعنا التعاقد في الأخير مع كوكبة متميزة من اللاعبين منهم: عماد (اتحاد تمارة - لعب في صفوف منتخب الأمل)، رضا مغني (شباب المحمدية)، كوثر (الوداد البيضاوي)، جمال عبد النور وعبد السلام الفارسي (المغرب التطواني)، ميمون حمادوش. أما فيما يتعلق بالمدرب فقد انتهى بنا المطاف بالتعاقد مع مدرب شاب وطموح أحسسنا بتقارب وجهات نظرنا فيما يخص هيكلة الفريق وبناءه، وهو لاعب سابق للمولودية الوجدية وحاصل على دبلوم التدريب من بلجيكا، تمكن في وقت سابق من تحقيق نتائج إيجابية مع المولودية الوجدية، ثم درب فريق هلال الناظور في وقت لاحق.

■ ما هي الموارد المالية التي بحوزتكم وبالتالي الميزانية المرصودة هذه السنة لتحقيق طموحاتكم؟

■■ وفق تقديراتي الخاصة، ولكي تسير الأمور بالكيفية المرغوب فيها، يجب توفير قدر مالي لا ينزل عن ٤٠٠ مليون سنتيم. فعلى سبيل المثال التعاقدات مع اللاعبين الجدد ستكلفنا ٥٥ مليون سنتيم، كل واحد منهم أخذ الثلث الأول فقط من القدر المالي المتفق عليه، وسنكمل لهم الثلثين المتبقيين خلال شهري دجنبر ومارس المقبلين. فيما يخص الموارد المالية القارة للفريق، هناك ٤٠ مليون يمنحها المجلس البلدي للحسيمة و٦٠ مليون تمنحها الجامعة، إضافة إلى ٥٠ مليون أخرى هي مجموع مداخيل المباريات، يمكن أن تزيد قليلا أو تنقص، كما أن هناك احتضانا جديدا للفريق من طرف شركة تجارة الملابس الرياضية تج التي وعدتنا بمنحة مالية تقدر ب٥٠مليون سنتيم، إضافة إلى المجهودات المتواصلة التي ما فتئ يقوم بها السيد الوالي لدعم صندوق الفريق، وبطبيعة الحال هناك فعاليات محلية وعدتنا بالدعم وأنا واثق من أنها ستفي بوعدها إن شاء الله.

■ هناك لاعبون هم أصلا ترعرعوا في صفوف شباب الريف، لكنهم أبدوا هذه السنة رغبة ملحة في مغادرة الفريق نحو الرجاء الحسيمي بسبب مجموعة من المشاكل التي يمكن تلخيصها في إحساسهم بنوع من الحيف الذي يطالهم فيما يخص التحفيزات المادية...

■■ أولا، أتوجه من خلال هذا المنبر بتهانئي الحارة لفريق الرجاء الحسيمي الذي حقق الصعود هذه السنة، وهو فريق حسيمي لا يقل شأنا عن فريق الشباب، لذا فالتعاون بين الفريقين مسألة لا ينبغي أن تخضع للنقاش، لذلك أنا لا أحب أن يكون ثمة نوع من المنافسة التي تصل إلى حدود التنازع بين الفريقين وإنما يجب أن يكون هناك تكامل لما فيه مصلحة كرة القدم بمنطقتنا، وإذا علمنا أن الفريق الأم للمنطقة هو شباب الريف فعلى الجميع أن يعمل لأجل تدعيم هذا الفريق بالذات، دون أن يعني ذلك إهمال الفريق الثاني، فقط أقصد أنه إذا كان هناك لاعبون محليون متميزون فعلى الجميع أن يشجعهم للانضمام إلى الفريق الأول لأن مصلحة المنطقة وأبناءها هي فوق كل الاعتبارات الأخرى، كما على فريق شباب الريف أن يشجع لاعبين آخرين بالانضمام للفريق الثاني، وهو الشيء الذي حصل بالنسبة لنا حينما أعدنا ثلاثة لاعبين هم أصلا ترعرعوا في صفوف الرجاء لكنهم لعبوا فيما بعد مع الشباب، وحينما تبينت لنا رغبتهم في العودة إلى الرجاء ساعدناهم على ذلك تفاديا لأي نزاعات يمكن أن تفسد الأجواء الرياضية المحلية، لا سيما وأن إنجاح المشروع الكروي والرياضي بشكل عام داخل منطقتنا ينبغي أن يقوم على أسس صحية تتغيى المنافسة الشريفة وليس أي شيء آخر.

■ ماهي طموحاتكم هذه السنة، هل لا زلتم متمسكون بحلم الصعود أم البقاء ضمن نفس القسم يعد نجاحا في حد ذاته؟

■■ أعتقد بأن فريق شباب الريف له من الإمكانيات ما يجعله يستحق اللعب ضمن الدرجة الممتازة، ولكن كل هذا رهين بالعناية والدعم الذي يقدم للفريق، خاصة الإمكانيات المادية التي وحدها تحفز اللاعبين على العطاء أكثر وتحقيق النتائج الإيجابية، فالإخلال بالاتفاقات المعقودة مع اللاعبين يجعلهم في حل من كل التزام وفي حالة إحباط لا تساعد بتاتا على العمل والتألق، وهو الشيء الذي اضطرني مؤخرا للدفع لهم من جيبي الخاص حتى لا يشعروا بهذا النوع من الإحباط وهم على بعد أيام فقط من لعب المقابلة الأولى لهذا الموسم الجديد. وتبعا لذلك يمكننا هيكلة الفريق وبناءه بالشكل الصحيح، وعلى أية حال فأنا متفائل ولكن كل شيء مرهون بالإمكانيات التي ستكون بحوزتنا ونحن نشتغل، لا نشك لحظة في حبنا لفريقنا، لا سيما وأنكم تعرفون كيف أن كرة القدم لم تعد ترفا وإنما أمست تعبيرا عن الهوية، وبالمقابل هناك من اللاعبين من يكسب رزقه من هذه اللعبة، لذلك فالإخلال بالالتزامات معهم يدفعهم لليأس وعدم التضحية...

■ ثمة مسألة مهمة جدا في اعتقادنا، فنحن نعرف كيف أن المكتب المسير لفريق شباب الريف كان دائما موضع انتقادات حادة تكتسي طابع الاتهام في بعض الأحيان، ألا تفكرون كمكتب جديد في إرساء قواعد جديدة للحوار والتعاون مع كافة الأطراف، وعقد لقاءات تواصلية مع الجمهور وكذا ندوات صحفية لتنوير الرأي العام بالمستجدات...

■■ منذ تأسيسنا للمكتب المسير الجديد، قمنا بمجموعة من المبادرات في هذا الإطار، بحيث جلسنا مع جمعيات مدنية وتداولنا في صيغ وأشكال التعاون فيما بيننا لما فيه مصلحة مدينتنا ومنطقتنا ككل، وأعدكم، من هذا المنبر، أننا في المكتب المسير سنحاول على مدار كل شهر تقديم تقرير مالي يستهدف الشفافية والوضوح في العمل، علما أن هناك من الإخوة من يرى في مثل هذا الإجراء إفشاء للأسرار، غير أني مصر على القيام بتقديم هذا التقرير الذي سيكون شهريا. وفي هذا السياق أنا مؤمن جدا بأن تسيير فريق بعقلية أحادية هو أمر فيه الكثير من الغباء ولا يمكن أن يوصل ذلك إلى أي نجاح يذكر، لذلك أؤكد بأن إشراك الفاعلين الآخرين وتغليب منطق التعاون هو الكفيل وحده بالرقي ليس بكرة القدم المحلية فحسب ولكن بكل شيء.

■ كلمة أخيرة للجمهور الحسيمي:

أريد أن أطمئن الجمهور الحسيمي العريض وأدعوه لمساندة فريقه الذي لا شك أنه سيتألق أكثر مستقبلا، وأبشره بتطوير إمكانيات الفريق وتدعيم بنياته فيما سيأتي، وهنا أود الإشارة إلى مشروع مهم للغاية يتعلق بإنشاء مدرسة كروية لفائدة ناشئة الحسيمة، وهو المشروع الذي يقف وراءه النجم العالمي وابن الحسيمة إبراهيم أفلاي الذي كان قد فاز خلال موسم ٢٠٠٦ بلقب أحسن لاعب في فئة الشباب الذي تخصص جامعة كرة القدم الهولندية للفائز به منحة تقدر ب١٠٠ ألف دولار، تشترط في دفعها إقامة ملعب لكرة القدم أو مدرسة كروية أو ما شابه ذلك، وقد اختار أفلاي الوفاء لمنطقته وقرر إنشاء هذه المدرسة الكروية بمدينة الحسيمة، والإجراءات الآن جارية على قدم وساق لتجسيد هذه الفكرة الرائعة، ولحد الساعة فقد بعثوا لنا الآن مبلغا يقدر ب ٤٠ ألف أورو وهو في حساب خاص لفائدة شباب الريف. بناء عليه، أدعو الجميع لأن يكثف الجهود من أجل تحقيق الآمال العريضة لفريق شباب الريف التاريخي، والذي حاول الكثيرون سواء أيام الاستعمار الإسباني أو فيما بعد أن يعرقلوا مسيرته أو يجهزوا عليه لكن مرادهم ظل دائما بعيد المنال بفضل الغيرة الكبيرة لأبناء هذه المنطقة الذين يعرفون جيدا كيف أن شباب الريف هو تجسيد لهوية وتاريخ هذه المنطقة الغراء.

واسمحوا لي في الأخير بتقديم تشكراتي الخالصة للسيد الوالي الذي يبدي عناية خاصة بمصير ومستقبل الفريق، وكذا بعض الإخوان الفاعلين والمسيرين الذين يبذلون جهودا وافرة ويقدمون دعما ماديا كبيرا لصالح الفريق من دون أن أذكر أسماءهم؛ كما أتوجه أخيرا بشكري الخاص للطاقم الجاد لجريدة تيفراز المتميزة حقا، علما أني أعد نفسي أحد قرائها الأوفياء، والتي أتاحت لي هذه الفرصة الغالية للحديث في موضوع فريق شباب الريف الحسيمي الذي نحب ألوانه جميعا.

أنجز الحوار: س. الغزواني
وف.الحمدوي

Taqessist

texsex cem amritc inu
ṯuḏarṯ ḏayem ṯeggur
x yexfawan iḍan
ṯixḍar icem ṯziri
am ṯacḍaḥ x waman
am cem yexḍar aṭram
am yezḏaγ agaxsan
ṯuddumed x yemmam
ḏi maṭṭawen ḥman
yuyri-cem u raji
γa iṣaγwan iseqsan
ij useqsi ujemmaḍin ijen ujemmaḍa
sqaḏaγ rhem nnem
x wafriwen i yeṯban
iyenni ḏayi yesnen
gi dhar u baran
txezzaγd ay ḏurar-in
ad ḥemr-en iγezran
mani ṯyemyeḏ ḏa rγiz
x ṯesreγwin n wussan
texsex cem amritc inu
am yejḏi n warecman
am reɛwin gurugu
icattaḥ bennaɛman

Saɛid Elmusawi (isfuffid u ɛeqqa)

Ṯadukant uskuṯi ag Mahmud darwic

ḏeg was n 9,8,2008 immuti Mahmud darwic, iḍḍad xu yes n ṯuḏarṯ mix ra yenya 67 i segwasen, mig yareyya ḏa zedjiḏ xe ṯgaldant n yezrawiyyan se ṯseṭṭa u zemmur (zzitun) ḏ wawar n wareγ gi ṯendint n ṯayri, ṯayeri iṯmurṯ ḏu car, i ṯemγarṯ i yimil gi ṯuḏarṯ neccan ḏ taryazṯ,
Mahmud darwic ḏ sekwila n ṯagrawla mizγa nermeḏ ṯikri ḏ wawar ḏag ubriḏ azirar ira nexḍar akis nugur, ḏ aṯbir n wafra ḏg janna ig yara ḏa zegza zi yezzudj aḏ yeddar jar nayeṯmas gi ṯmurṯ ines zi yemmuti ḏeg maḍal zi ṯemḏint ar tenni ḍan.
Mahmud darwic izra tyar ne ddunect ḏe gsaggas n 1941 gi barwa gi ljalil gi falestin, igguj suγir ag rwacun ines gi 1948 a lubnan, netta ḏ wis 2 na yeṯmas (5 iwaṯman ḏ 3 neṯwaṯmin), ṯayeri ne ṯmurṯ ines iyezzun ggur ines zi ṯamzi ṯajjiṯ aḏ yeḏwar a felistin s ṯanufra mani γa yessaɛḏa armaḏ ines gi (ibtidai ljalil n ḍḍreɛ ḏ ṯanawi gi kafar yasif).
ṯuḏarṯ n Mahmud darwic zi ṯamzi tazrawiṯ yuri gi waṭṭas ne ljaraid ḏ lmajellaṯ (littiḥad, aljadid, alfajr), manaya aṯ yej aḏiddar ṯimxumbar ag rmexzen n israil, zi ṯyettaf aṭṭas neṯwaraṯin zeg saggas n 1961, zeg seggas n 1972 issara ja neṯnadam n musku ḏ lqahira ḏ bayrut mani γa issas lmarkez n ṯarezzuṯ ṯafilistiniṯ, iḏwar ḏi xef ne lmajella cuun filistinya, gi 1982 i assas majella "karmel" mig yeqqim ḏ ixef ines tta wami yemmuṯ.
ag seggas n1994 iḏward a filisṯin γa ramallah zi ṯyessiḥer u muti ḏu gaji zeg raq ar uraq, ijjad Mahmud ḏarwich 8 idellisen ḏ ktar zi 33 diwan ne ṯqassisin zegsent "aneggaru neṯmaddiṯ" "anzar ifsusen gi rexrif igjan" "ijḍiḍen tmattan gi ljalil" "ṯifray n zzitun" "mayemmi ṯajjiḏ asarḏun waḥḏas" "nubiyat inu tfaqad ze ggiḍas ines" "nettaṯ ḏ aγennij nettaṯ ḏ aγennij".

● ***Farid Elhamdiwi***

Tineγmisin lkungris amaziγ, mani γa yetwag ?

zira tnekkar-ent ṯ zemmar u sewjḏ i lmuatamar wis 5 i lkungris amaziγ gi ṯemḏint n ṯizi wazzu gi reqbayer, ḏawr-ent aru mezgaru zi yugi rmxzen ne dzayer aḏij imeswiza aḏegg-en amerqi ya, zissin smutin amux ksen ayṯ bab umcawar gi lkungres aṯeggen gi lmeγrib zi xḍar-en ja neṯneddam u Gadir, Merrakec, Ṭanja ḏ Meknas, maca imenγi-yen ira yekka-n jaras-en x ṯamḏint mani γa ggan amsagar-a, zi smun-en ari x meknas syisem ne ṯmesmunt "asid", imsebḍa array xe ṯnayen jar yenni xs-en ḏ yenni yugin, ineggura ya qqar-en qa mara yuqeɛ gi meknas ataf qqaz-en amesmir gi ttabuṯ ne lkungres u ataf tqarab-en u tnehkukum-en ag rmexzen iyazzun aḏyaḏef aḏaxer nelkungres, umanaya aḏyaẓ ṯizemmar n 5 iseggasen n rebni ḏwaɛḏar. gij u γzḏis inna Racid Raxa ixef wis 2 ne lkungres gij nṯabrat ines ifsarit gi linternet, qa arraya uγares bu dsas gi zerfan n lkungres, u yanu qa amγar ne lkungres amas Lunes Belqasem igga ari-nes zγas bla maḏi mcawar ag yenni kiḏas.
ug γezḏis nniḍan immuti Racid Raxa ḏ Muḥammaḏ Merraqi (lejna ne lmejles a fidirali n lkungres amaḍal amazigh a meγrabi) as n 17 zu yura yeddaren ar dzayer huma ḏarzun mux ḏas γaggen a ḏe ssaɛḏan amerqi wis 5 gi dzayer su mcawar ḏu swizi ag tmesmunin ṯimaziγin ṯidzayriyyin, u huma a ḏessexs-in ṯimessi ḏu mxumber igi kkar-en ja ne ṯmasmun-in gi lmaγrib, jar ḏa ḏe ddih, ḏ jar n waraḥ ased itγima useqsi yuger mani γa yetwag lkungris amaziγ aseggwasa.

Amerqi n ṯusna

ṯagga ṯmasmunt n "Ṯafsuṯ" ḏg ussan-a yezr-in amsagar n ṯusna mig yeswiza a mas Hmed Lemrabṭi g ij n lɛarḍ umi semma "ṯifawin xi γezḏisen n (lfikr a siyasi) γa mulay muḥand", mig yessas aṭṭas ḏi faṭṭiwjan x ṯzemmar n mulay Muḥand huma ḏig dsas n "dawla" ṯadimuqratiṯ ig yemmas-en x ṯesγarṯ u ṯaras ḏ umsamah ḏ warzem n ṯawwura x ṯusna ḏ umezruy n wayḏuḏ-an ne ddunect mig neddar ḏ mizi γa ne-rmeḏ u a nessarmeḏ, amux yassiwer x ṯuḏarṯ n mulay muḥand gi "Lqahira" ḏ min ra yeqqar gi laḥzab ṯasiyasiṯ ṯimaγrab-iyin ḏu fus iγase-nt gi min yeddar lmeγrib zi ssase-nt ṯira u-fus gi eks-liban.

ⵍⵣⵔⵉⵙⵔⵓⵄⵙ ⴰⵚⴰⴻⵓⵍ
ⵉⵚⴰⵣⴻⵢ!!! ⵚⴰⵄ???

Ahmed Chikhi

ⵣⵅ ⵓⵚⵣⵓⵙⵉ ⵏ ⵣⴻⵔ ⵏ ⴻⵚⴰⵣⴻⵢⵏ; ⴷ
ⵣⵅⵎⴰⵚ ⴻⴷ ⵉⵙⵓⴰ ⵏⴻⵓⵏⴰⵚ (ⴻⵀⵓⴰⵓⵍ)
ⵢⴰⵓ ⵜⵚⵓⵜ ⵏ ⵜⴰⵣⵢⴰ, ⵢⴰⵓ ⴻⵓⵅⵅⵎⵓⴰ
ⴷ ⵓⵓⴰⵍⴰ ⵚⴻⵅ ⵏⴷⴷⴰ. ⵜⵢⴻⵚⴰ
ⴻⵚⴰⵣⴻⵢⵏ ⵏⵜⴷⴰ ⵓⵙ ⵜⴻⵍⴻⵏ ⵢⴰⵓ ⵚⴻⵏ
ⴰⵓⵣⵣⵓ, ⵓⵙ ⵓⵓⴻⵍⴻⵏⵢ ⵛⴻ ⵅⵏ ⵚⴻⵏ
ⴷⴰⵓⵍ ⴻⵏⵓⴰ ⵓⵚⴻ ⴰⵓⴰⵚⵏ ⵏ-ⴰⴷⴰⵏⵓⵓ
(andalusiɣ) ⴷ ⴻⵓⵅⵅⵎⵓⴰ ⵏ ⵓⵚⵏⵢⴻ ⴻⵅ
ⵓⵓⵜⵜⴰⵍⵓ (l'ɛspagnol) ⴷ ⵓⵀⵓⴰⵏⵓⴻ
ⵣⴻ : 1912 ⵢⴰⵓ 1956.
ⴰⵍⴰⵏ ⴻⵏⵓ ⴰⴷ ⵙⴻⵏⴻ ⴷ ⴻⵓⵣⵓⴻⵜⵏ ⴷⵢⵙⴰ
ⵅⵏ ⵏⵣⵓⵅⵓⴻⵓ ⴰⵚⴰⴻⵓⵍ ⵓⵚⴰⵣⴻⵢ
(Congré Mondial Amazigh) .
ⴰⵓⵣⵓⴻ ⴰⵚⵣⵍⴰⵓⵓ : ⵚⴰⵢⴰⵓ ⵓⵙⵜⵍⴰⵅ
ⵛⴻ ⴰⵅⵓⴰⵍⴰ ⵅⴻ ⵜⴻⵣⴻ ⵍⵣⵣⵓ ⵍⵣⵣⵓ
ⴷⵣⵣⴰⵓ ⵓⵜⵅ ⵓⵅⵓⴰⵍⴰ!!!

ⴷⵚⵓⴷ ⵛⴻⵅⴻ

TIFRAZ N ARIF

N°34
Septembre 2008

وجوه خزامية

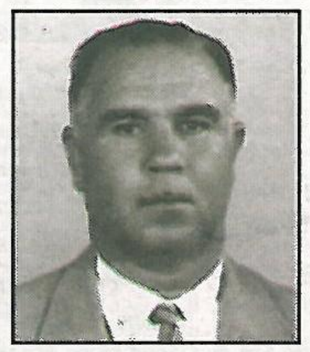

أحمد بوحافة:

ريفي بألوان الطيف وقلب إنساني كاره للزيف

●● إعداد : عبد الحميد الرايس

طيلة فترة الحرب كانت حياتنا معرضة للمخاطر، نعيش يوميا حالة رعب، نترقب فيها سقوط قذائف المدفعية الريفية فوق رؤوسنا، ولم نتاكد من زوال الكابوس الجاثم إلا حينما عاينا مشهد الجنود الإسبان يذرعون ساحل "اسفيحة" بأجذير، وقد انضم إليهم معظم أفراد حامية الجزيرة، نزل الجميع إلى اليابسة للاغتسال في الشاطئ وأحيانا بكل الملابس، فيما البعض منهم يتمرغ فوق رمال الشاطئ الممتد، لقد كان النزول إلى البر الريفي يعني الشيء الكثير للجيش الإسباني، لحظة تاريخية وتحقق لحلم قديم. وبذلك انتهى زمن المقاومة وابتدأ زمن إسبانيا بالريف.

● الاستقرار بالحسيمة/العمل بالتلغراف

في سنة 1930، أي بعد مضي أزيد من ثلاث سنوات على استتباب نفوذ إسبانيا على منطقة الريف، عرض علي الملازم "بيرامو Peramo Teniente"، وكنا حينها لا نزال مقيمين بالجزيرة، أن أتقدم لاجتياز مباراة توظيف مستخدمين بمصلحة التلغراف بالحسيمة، وقد تدخل الرجل الطيب المتعاطف مع عائلتي لدى صديقه الغرناطي "ضون إدواردو Don " Eduardoمدير التلغراف. وبعد أشهر قليلة، توصلت بقرار تعييني، وقد غمرتني سعادة كبرى إثر تسلمي لمرتبي، ناهيك عن الإكراميات وما يجود به الزبناء فتحقق لدي الاستقلال المالي والاستقرار النفسي.

كنت أتنقل يوميا بين الجزيرة والحسيمة، أحيانا على متن الزورق التابع للمصالح العسكرية والذي كان يرسو بشاطئ "كيمادو" بمحاذاة ممر خشبي عبارة عن جسر طويل يمتد عشرات الأمتار من الساحل إلى عرض البحر، وأحيانا أخرى كنت أقطع المسافة فوق صهوة الفرس الذي وضعه رهن إشارتي صديقي الملازم "بيرامو"، وبحكم المراس وجدتني أجيد ركوب الخيل إلى درجة لفتت انتباه "القايد سليمان الأجذيري" الذي ما فتئ يناديني قصد التباري فوق بسيط "اسفيحة"، وكان القائد المذكور فخورا بالفرس الذي أهداه إياه العاهل الإسباني "الفونسو الثالث عشر" إثر زيارته لمدينة الحسيمة، وقد فزت عليه أكثر من مرة، غير أنه كان يبدي تقبلا لنتيجة السباق كيفما كانت بروح رياضية.

بعد أشهر من العمل، بدأت أسأم من حركتي الذهاب والإياب، وبالتشاور مع والدتي، وقد صرت مؤنسها الوحيد بعد زواج شقيقي الأكبر وانتقال شقيقتي مع زوجها إلى اسبانيا، قررنا الاستقرار والعيش بالحسيمة، وما شجعني على ذلك أكثر هو موافقة باشا المدينة آنذاك "عبد الكريم اللوه" على كرائنا لمنزل في ملكيته بمبلغ 8 دورو شهريا.

كانت المدينة الجميلة المستحدثة فوق رمال تغزويث في خضم نشأتها وهيكلتها واستكمال بناء مرافقها الخدماتية المختلفة، إلا أنها كانت تعاني من عدة مشاكل، لعل أبرزها ندرة الماء الشروب لقلة عيون ومنابع المياه في مجالها العمراني. وللتخفيف من وطاة الحاجة إلى هذه المادة الحيوية، لجأ فتيان بقيوة الساكنين بالجوار إلى تعبئة قوارير قصديرية Latas سعتها 20 لترا هي أساسا من مخلفات الجيش الإسباني المستعملة في خزن الوقود، وبعد تنظيفها تملأ بمياه عذبة وتباع للساكنة بثمن زهيد، لكنه كان بالمقابل يشكل دخلا جيدا يسمح لهؤلاء بقضاء حاجاتهم المختلفة.

وقد ساهم النمو المطرد للسكان المستقرين في ازدياد الطلب على اقتناء الخبز، مما شجع على خلق مخابز عصرية تفي لسد احتياجات السكان، وبالرغم من كون الخبز الأبيض Pan Blanco ، الذي تبيعه المخابز هو حلو المذاق ومرغوبا فيه، إلا أنني كنت أشاطر رأي جيراني الإسبان في تفضيل الخبز الرائع الذي كانت تعده سيدة من "تيغانمين" تدعى "حيطوش"، حيث كانت تضعه بداخل سلة كبيرة وتحملها فوق ظهرها، وما أن ترمق من بعيد في الحي حتى يهرع الجميع باتجاهها، ولا أخفي سرا إذا قلت أن خبزها هو بحق أشهى خبز أكلته في حياتي. والشيء بالشيء يذكر، خاصة ونحن نعيش الآن الأجواء الرمضانية وكثرة الطلب على مادة الحليب، أود أن أشير إلى كون الحليب المعروض، بكل أنواعه، في أيامنا هذه داخل أسواقنا هو محض مادة بيضاء لا طعم لها، وشتان بينه وبين حليب الأمس الطازج الشهي الذي كنا نقتنيه من "راعي ومربي الماعز" ، الذي ما أن نسمع رنين جرس نعجته المتقدمة للقطيع، حتى نتهافتCabrero نحو الراعي/البائع ليحلب لنا ما نشاء من الحليب الطري الذي كنا نتلذذ كثيرا بشربه.

● الحرب الأهلية الإسبانية

أثناء الحرب الأهلية، كنت أزاول عملي المعتاد بمصلحة التلغراف، و ليلة حدوث الانقلاب العسكري الذي قاده كبار الضباط الإسبان المقيمين بالمنطقة الشمالية، وقد كنا حينها نشعر بالأجواء المتوترة رغم أننا لم نكن نتبين الأمر بشكل جلي. هكذا، أمرت الإدارة المستخدمين بأن يلازموا مقر عملهم طيلة تلك الليلة، وفي الصباح التالي قمت بتوزيع التلغرافات بسرعة على مختلف الإدارات والمرافق الرسمية.

ولا زلت أذكر جيدا كيف أن هذه التلغرافات الرسمية التي كنت أوصلها إلى مواقعها مقابل إيصال باستلام موقع عليه، كانت مختلفة ومغايرة عن تلك الموجهة بكيفية اعتيادية، إذ كانت مشفرة وعبارة عن أرقام وحروف متلاصقة يستحيل فهمها وقراءتها بدون دليل فك الشفرة إمعانا في السرية وضمان الأمان.

في الأشهر التي تلت الانقلاب، سعت الإدارة العسكرية محليا، والتي كانت مؤيدة للانقلابيين العسكريين بل ومشاركة فيه، إلى ضم مجندين جدد من الريفيين وغيرهم للقتال داخل التراب الإسباني، وفي ظل هذه الأجواء المخيمة توصلت صبيحة ذات يوم وأنا بمقر عملي باستدعاء مستعجل للمثول عاجلا إلى مكتب الحاكم العام العسكري بالمدينة، وفعلا سارعت في الاستجابة، وهناك في الإدارة استقبلني نائبه الضابط "كوي"Guy باحترام وترحاب باديين، وكانت لي به سابق معرفة بحكم عملي، استفاض معي في شرح الدواعي والحيثيات لاستدعائي وخلص في الأخير إلى القول بأن الإدارة الإسبانية تود الاستعانة بخدماتي بحكم إجادتي للغة الإسبانية وبالنظر لعلاقاتي الجيدة مع أبناء بلدتي، وأنه يتوجب علي الانتقال إلى تطوان للعمل هناك على استقطاب العناصر الريفية وتشجيعها لأجل الانخراط في صفوف الجيش الإسباني. وللحقيقة، فقد أربكني طلبه، كيف لا وهو ماثل أمامي ينتظر الرد الفوري، آنئذ فقط تزاحمت الأفكار في ذهني...وفي الأخير اهتديت إلى حل يخلصني من الورطة الوشيكة بكيفية لبقة ومقبولة، حين أجبته: "سيدي الحاكم، لولا حالتي الخاصة ما كان لي أن أرفض طلب إسبانيا التي نعيش بأفضالها ونكن لها كامل التقدير، لكنني مرتبط بوالدتي التي ليس لديها سواي، وهي تأبى مغادرة بلدتها إلى وجهة أخرى، فأرجو منكم سيدي إعفائي من هذه المهمة مع كامل اعتذاري واحترامي. ويبدو أن الحاكم قد تقبل عذري وابتسم لي آمرا إياي بالانصراف".

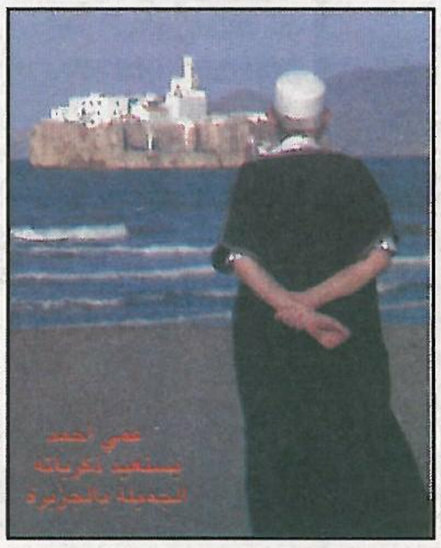

وفي أعماق نفسي، بل وعموم الريفيين وقتئذ، كنا صراحة لا نميل إلى اليساريين، لكن مع ذلك، لم أكن أرضى لنفسي بلعب دور من هذا القبيل، كأن أعمل مستقطبا لأبناء جلدتي بغاية دفعهم إلى التجنيد الذي كان يعني في الكثير من الأحيان الذهاب إلى الموت عاجلا أو آجلا.

● الاشتغال بمصلحة الأملاك المخزنية

في سنة 1946 اقتنت الشركة الإسبانية Torre Quevedo، مصلحة التلغراف التي كانت تابعة للدولة، وعرضت علينا إدارتها الاحتفاظ بالمنصب، إلا أنني آثرت المغادرة وتسلم تعويض مالي. وبفضل خبرتي وتجربتي المهنية، وجدت منصب عمل جديد في إدارة الأملاك المخزنية Dominio كمستخدم، وكما كان الشأن في جميع الإدارات العمومية أثناء فترة الحماية الإسبانية، فإن المدير المسؤول يكون مغربيا، فيما المراقب يكون اسبانيا، وفي مقر عملي كان مدير عملي هو السيد شراط الأجذيري، أما المراقب فقد كان هو الضابط الإسباني المشرف العملي على تسيير الإدارة ومستلزماتها، Diego Lopez Moya وسرعان ما توطدت بيني وبين المراقب صداقة إلى حد استمرت فيه مراسلاتنا حتى بعد تقاعده وانتقاله للعيش بإسبانيا. لقد كان شخصا لطيف المعشر، ذكيا يحسن التدبير الإداري، إذ لما شعر بأن راتبي الشهري لا يفي بتغطية نفقاتي المتعددة، سمح لي بمغادرة عملي للاشتغال في إحدى المخابز العصرية دون محاسبتي على الحضور أو التأخير.

كنت أعتبر نفسي دائما جد محظوظ في اشتغالي مع إسباني نبيل يقدر العمل ويعطف كثيرا على الناس، وبغض النظر عن السياسة ومقالبها والروح العسكرية وآثارها كانت علاقاتنا مع الإسبان الذين تعايشنا معهم مبنية على المودة والمحبة، عايشناهم كجيران وكأرباب عمل وحاكمين...يحتفظ كل منا بشخصيته المستقلة مع تقاسم لحظات الفرح والحزن، أثناء حفلات عيد الميلاد المسيحي مثلا، يقوم جيراننا الأسبان بتوزيع الحلوى والملابس على من بالجوار، وكنا بالمثل نطعمهم من شواء عيد الأضحى. ولا أجد حرجا في الاعتراف بأننا، فيما يخص جانب المعاملة، كنا في أحيان كثيرة جاحدين وناكرين للمعروف، ولتوضيح قولي أرغب في إيراد إحدى الحكايات الواقعية التي كان قد رواها لي صديقي الإسباني التاجر "سيرانو" وكان بطلها هو أخوه المزارع "مانولو" الذي كان يمتلك المزرعة (Finca) الفلاحية بإمزورن، التي يحرسها أحد الرجال الريفيين الذي عرف بتقواه وتمضية جل أوقاته نهارا في ترديد الأذكار الدينية، وذات مرة حدث أن لاحظ "مانولو" نقصا في كميات البطاطس التي يستخرجها من المزرعة، ولكنه لم يقع على جواب لسؤاله المحير، فصمم على استجلاء حقيقة ما يجري، وبادر ذات ليلة حالكة إلى زيارة مزرعته، وهناك انزوى بركن يطل على كافة جوانب المزرعة، وانتظر طويلا قبل أن تقع عيناه على لص منهمك في حفر أحواض البطاطس ودسها داخل كيس من الحجم الكبير. وكم ازدادت دهشته حين أمسك به وتعرف على هويته، إذ لم يكن سوى حارسه التقي الورع...فقال كلمته المشهورة التي أصبحت فيما بعد قولا مأثورا يردده الريفيون على سبيل البسط وكذا التعبير عن خيانة الأمانة: Del dia Mounana Mounana. De noche patata Patata ، ومعناها: "بالنهار مولانا مولانا، وبالليل بطاطا بطاطا".

فلم يجد الحارس المخادع ما يدافع به عن نفسه فانسحب يجر وراءه أذيال الخيبة.

كانت المدينة خلال فترة ما بعد الحرب الأهلية تعرف أمنا وهدوء ملحوظين، بإمكان أي فرد الخلود إلى النوم في الشارع دون خشية أن يتعرض لمكروه، ورغم ميل العسكريين الإسبان عموما إلى العربدة أحيانا إلا أنهم كانوا محكومين بالضوابط الصارمة التي لا تسمح لهم بذلك إلا في أماكن محددة، ونادرا ما يشاهد أحد العسكريين أو حتى المدنيين يتمايل من فرط السكر، بل على العكس وكأن الجميع يزهد في ذلك، وكانت براميل الخمور تظل مصطفة فوق أرصفة الميناء لعدة شهور دون أن يقربها أحد، ولم يكن من عادات الريفيين المسلمين عموما الاقتراب من الخمر إلا ما كان من بعض الريفيين الذين تأثروا بالإسبان بحكم التعايش والاندماج فقلدوهم في بعض سلوكاتهم، وإن نسيت فلن أنسى مغامرات صديق ريفي كان كلما احتاج إلى شراب، وجيبه فارغ، يمم وجهه شطر الميناء حيث براميل الخمر المتنوعة جدا وحراستها شبه منعدمة، ليقوم بإحداث ثقب صغير بمهارة فنية فائقة، ليدلي بعدها أنبوبه الملازم له في مغامراته بهذا الخصوص، ثم يشرع في ارتشاف ما طاب له من شراب حد الارتواء، وعند الانتهاء يسحب أنبوبه السحري بعناية ليضع مكان الثقب سدادة خشبية بذات المهارة ومن غير أن يترك أثرا أو ينتبه لذلك أحد.

■ الحلقة الأخيرة

"الكورنيش" و"الجيلي" و"البيت بول"

حل صيف هذا العام مرتبكا في خطواته، ومضى مخلفا وراءه الكثير من الآثار الجديدة على مستويات عدة، لكن من جهتنا سنحصر الحديث عن أشياء لفتت انتباهنا بشكل قوي وحفزتنا على الكتابة عنها من حيث لا ندري، وبوسعنا اختزال هذه الأشياء في ثلاثة: الكورنيش والجيلي والبيت بول.

بالنسبة للكورنيش الذي بذلت السلطات المحلية جهدا واضحا في تهيئته وفتح أبوابه خلال هذا الصيف، لا يمكن لأحد أن يجادل في أهميته، فقد صار متنفسا حقيقيا لأبناء المدينة، بل إنه أضحى معطى ثقافيا جديدا دخل قاموس لغة الشارع المحلي من أوسع الأبواب، وجسد بالفعل حلما راود الحسيميين منذ وقت ليس بالهين. وإذا كنا لا نجد حرجا في الإشادة بهذا الأثر والثناء على أصحابه، فإن التنبيه إلى بعض النواقص التي اعترته تعد مسألة لا تقل أهمية، ذلك أن السرعة التي تم بها إحداث وتشييد هذا المشروع، لأسباب يعلمها الجميع، أفضت بأصحابه إلى الوقوع في العديد من الزلات التي ما فتئت تنكشف تدريجيا لكل عابري هذا الطريق، ولا نعتقد أن الإنكباب من جديد على إصلاح بعض هذه الثغرات وتدارك تلك الأخطاء سيقلل من شأن صانعيه، إذ لا شيء يولد كاملا مرة واحدة كما هو معروف.

أما بالنسبة لظاهرة "الجيلي" فنقصد بها تلك القمصان أو السترات البلاستيكية المشعة ليلا، والتي تكاثرت كالفطر خلال الصيف الأخير، حيث وقف الناس مشدوهين أمام هذه الظاهرة الجديدة والغريبة، فأينما وليت وجهك، بجل شوارع المدينة، تقع عيناك على رجال مرتدين لهذه السترة "الجيلي" التي ألفنا ارتداءها من قبل رجال الأمن والدرك والجمارك، وربما ذلك ما يمنح هذه السترة نوعا من الهيبة والسلطة حسب أفهام الكثير من المواطنين. ومعلوم جدا، أن أغلب مرتدي هذا الزي هم غرباء عن المدينة، امتهنوا حراسة السيارات من تلقاء أنفسهم وبغير سند قانوني يخول لهم القيام بمثل ذلك، فبات الناس يشتكون من الإزعاج الكبير الذي يسببونه لهم جراء فرضهم أداء "واجبات" وقوف السيارات بمختلف شوارع المدينة، حتى أن هؤلاء "الحراس" يكيلون السب والشتم لكل رافض لأداء هذه "الواجبات" وكان الأمر يتعلق بقانون مسنون دخل حيز التنفيذ وبالتالي ليس بمقدور أحد مخالفة تطبيقه. والأدهى من ذلك، هو أن الكثير من الأطفال غير الراشدين وجدوا في هذه "المهنة" الجديدة ضالتهم، فسارعوا إلى تقليد ما يفعله "الحراس" الكبار، ونهلوا من علم مشايخهم في هذا الميدان، ولبسوا "الجيلي" وشرعوا بدورهم في مضايقة راكبي السيارات وإزعاجهم. أما ما يثير العجب العجاب في كل ذلك، فهو حدوث هذه الأمور أمام مرأى ومسمع رجال الأمن، والسلطات المحلية الأخرى، الذين يظلون طوال اليوم يجوبون شوارع المدينة من غير أن يتساءلوا عما يقوم به هؤلاء، وكأنهم وجدوا في هؤلاء من يعفيهم من بعض المهام المنوطة بهم والمثقلة لكاهلهم، في الوقت الذي نعرف فيه أن تنظيم هذا المجال هو من اختصاصهم بالذات.

وبخصوص "البيت بول Pit bulls"، فنعني بها تلك الظاهرة الغريبة أيضا والمتمثلة في اصطحاب البعض لنوع خاص من الكلاب يطلق عليها اسم "البيت بول"، وهي بالمناسبة كلاب تصنف ضمن النوع الخطير والمهاجم للمارة، كما أن صفتها قبيحة ومرعبة حقا. إذ رغم وقوع أحداث مؤلمة، على صعيد مدينتنا، بسبب مهاجمة هذه الكلاب لبعض الأشخاص والأطفال منهم على وجه أخص، إلا أننا لم نعاين أي إجراء صادر عن رجال السلطة يحد من خطر هذه الكلاب وأصحابها المراهقين الذين يستخدمونها لغايات شتى، مع العلم أن تنامي هذه الظاهرة سيؤدي لا محالة إلى ابتداع أساليب جديدة في الاعتداء على الناس وسرقتهم أيضا، الشيء الذي سيعقد الأمور أكثر ويحول دون معالجة الداء المستفحل في إبانه.

وبناء على ما تقدم، نتساءل: متى ستغدو أمور من قبيل أمن وسلامة وحرية وراحة المواطنين من الأولويات الفعلية والانشغالات الحقيقية للمسؤولين محليا؟ وإلى متى سيظل المواطن معتدى عليه ولا يجد آذانا صاغية لشكاويه التي فاقت حدود التصور؟ وإذن لنكف قليلا عن سياسة ترك الحبل على الغارب.